بوزيـــاني الـــدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارهـــا ــ ومواطنهـــا ــ وأعيانهـــا

الجـــزء الأول

الطبعـــة الرابعـــة
2010

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإهـــــداء

إلى الذين سهروا الليالي في سبيل نحت سطور لا تنمحي..
إلى الذين جدوا وكدوا في سبيل التعليم والتعلم..
إلى الذين اختاروا سلاح القرطاس والقلم، لمواجهة جيوش الجهل والظلام..
إلى الذين آمنوا بأن الفقر.. كل الفقر يكمن في فراغ الأدمغة، وضحالة العقول..
إليكم جميعا أهدي هذه الباقة المزخرفة من تراث بلادي، وهذه العينات من فرسان العلوم بهذه الربوع.

بوزيـــاني الـــدراجي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

يدخل هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأعمال التي تعالج موضوع العصبية القبلية في المغرب الإسلامي. فبعد كتاب القبائل الأمازيغية؛ سوف تتبعه كتب أخرى؛ من بينها كتاب يدرس موضوع القبائل العربية في هذه الديار، وكتاب دول المغرب ودور العصبية في قيامها وسقوطها، وكتاب العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية، وكتاب أثر العصبية القبلية في النظم: السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية.

بدأت في الاشتغال بموضوع العصبية خلال السبعينيات؛ عندما وجدت نفسي في خضم إعداد أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. وفي تلك الأثناء؛ وجدت عونا كبيرا من أستاذي الفاضل الدكتور لقبال موسى؛ فعملت بتوجيهاته المفيدة؛ فكان لي خير عون وسند؛ وبالمناسبة أشكره شكرا جزيلا على كرمه العلمي، ومعاناته، وسهره في قراءة ما كنت أعرضه عليه من فصول بحثي؛ فلا يبخل بالنصيحة والتوجيه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعتبر موضوع القبائل الأمازيغية من المتطلبات الملحة، والهامة التي كان من الواجب العمل على معالجته في وقت سابق؛ غير أن ذلك لم يتحقق لأسباب عديدة؛ نتركها للمهتمين بها. لذا لم يحدث أن ظهر في سوق الكتب ــ في العصر الحديث ــ أي كتاب، أو دراسة شاملة ــ باللغة العربية ــ عن القبائل الأمازيغية بالمغرب الإسلامي؛ مع أننا شاهدنا مراجع أخرى ظهرت؛ وكانت تدرس موضوع القبائل العربية في بلاد المغرب. ولما أحسست بهذا الفراغ العجيب..!! أردت تدارك الأمر؛ والبدء بموضع القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي. لعلي أكون قد قمت بسد ثغرة في تاريخ بلادنا؛ لم يقم أحد بسدها ــ بشكل شامل ــ منذ عصر ابن خلدون؛ الذي انفرد ــ حتى يومنا ــ بهذا العمل الهام.

وليس معنى هذا أن المؤرخين في البلدان المغربية تجاهلوا ــ تماما ــ موضوعا كهذا. بل قام بعضهم؛ مثل: مبارك الميلي، وعبد الوهاب ابن منصور بالحديث عن القبائل الأمازيغية؛ ولكن بشكل مقتضب؛ أو ضمن دراسة تاريخية عامة لا تخصهم وحدهم. كما قام أساتذة آخرون؛ مثل: لقبال موسى، ومحمد بن عميرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإعداد دراسات تخص قبيلة معينة؛ مثل كتاب دور كتامة للدكتور لقبال؛ وإن كان قد أشار لبعض القبائل الأخرى باختصار؛ ثم كتاب دور زناتة لابن عميرة. أما المراجع الأجنبية المتوفرة؛ فقد أشار بعضها إلى عينات من القبائل الأمازيغية؛ التي أثارت اهتمامهم؛ ولكن ضمن مواضيع تاريخية عامة؛ لا تخص القبائل الأمازيغية كلها تقريبا؛ وبشكل مقتضب كذلك.

ومن جهتي فقد بذلت جهدي كي يشمل عملي هذا أقطار المغرب كافة؛ دون استثناء. كما تناولت فيه القبائل الأمازيغية التي عرفت في العصور الوسطى كلها. مرتكزا بصفة خاصة على ما كان ابن حزم قد ذكره باقتضاب، وما انتشر في مصادر عربية كثيرة؛ أهمها العمل العظيم الذي أنجزه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون. كما استعنت ـ أيضا ـ بما كتبه بعض المستشرقين؛ مثل: غوتييه Emile-Félix. Gautier، وليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، وجورج مارسي Georges Marçais وغيرهم..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يقتصر عملي هذا على التعريف بأسماء القبائل الأمازيغية، وذكر أماكن سكناهم فحسب؛ كما حدث في كثير من المصادر والمراجع؛ بل توسعت في الحديث عن الأدوار التي قامت بها تلك القبائل: سياسية منها، وعسكرية، وثقافية. كما حرصت على إبراز أعيانهم؛ بشكل استوفي نشاطاتهم العلمية، والثقافية، والسياسية. وبهذا أكون قد عملت على إزالة طبقات الغبار التي حجبتهم، وأنست الناس في أصولهم الأولى. ومن جهة أخرى وضعت منجزات أولئك العباقرة، والعظماء بين أيدي أبناء هذا الجيل الحائر؛ لكي يتعرف على نهج أسلافه، وما تم إنجازه بواسطتهم من كنوز أثرت التراث العربي الإسلامي؛ دون تعصب، ولا تحزب، ولا انكماش، أو تنكر.

وهكذا سيجد القارئ بين يديه عينات أدبية في منتهى الروعة؛ من إبداع أبناء هذه الأرض الخصبة؛ التي أنجبت عبقريات؛ تسابقت في دروب النماء؛ لبناء، وتشييد صرح الحضارة العربية الإسلامية؛ شرقا وغربا. وكانت إسهاماتهم عظيمة الشأن، كريمة، المنبت، دائمة الفائدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولابد هنا من تقديم عرض ولو بإيجاز عن المنابع التي يمكن أن ينهل منها كل دارس لتاريخ البلاد المغربية وسكانها؛ منذ العهود الأولى. ففي البدء – ولمنع المغالطات، وكبح جماح الذين يحلقون في الخيال، أو الذين يصرون على إبراز شيء وإخفاء أشياء – يستحسن الإشارة إلى المصادر التي يستقي منها الباحثون – بمختلف معتقداهم وتنوع اتجاهاهم – مع الإجابة على مدى أهميتها، ودرجة الصدق فيها.

وعليه فما تقدمه المادة التاريخية – حتى الآن – لا يخرج عن نطاق المصادر: **اليونانية**، **والرومانية**، **والعربية**، **والعينات الأثرية** التي كشفت منذ عهد الاحتلال الفرنسي. والعيب كله ليس في المصادر المذكورة؛ بقدر ما يتمثل في مستعملي تلك المصادر.. إذ أن مبعث الالتباس – هنا – هو تلك التأويلات التي سلطت على المادة التاريخية المطروحة للبحث من جهة، وإصرار بعض الدارسين على الاكتفاء بنوع معين من أنواع المصادر المعروضة؛ دون الأنواع الأخرى من جهة ثانية. وهذا هو ما يفسر انطلاق العناق للأهواء والميول المشبوهة..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولمنع الأنزلاق في الاتجاه الخاطئ يستحسن تناول الموضوع بحذر وجدية وشمولية.. وقبل الخوض في أعماقه لا بد من الإشارة باختصار إلى تلك المصادر واحدة فواحدة.. فأولى المصادر المكتوبة زمنيا ــ فيما يخص تاريخ سكان بلاد المغرب ــ هي المصادر اليونانية؛ غير أنها لا تفي بالحاجة المطلوبة؛ نظرا لمحدوديتها، واقتصارها على حيز ضيق لا يتجاوز برقة؛ وإن كان هيرودوتس قد تعرض ــ باقتضاب ــ لما سمعه عن منطقة التاسيلي؛ إلا أنه لم يزر تلك الجهات؛ كما حدث بالنسبة لبرقة، ومصر، وغيرهما من الأقاليم؛ وإنما نقل أخبار تاسيلي مشافهة. وعليه يمكن القول أن معلوماته لم تكن واسعة ولا دقيقة في هذا المجال. وكل ما ذكره هي بعض أسماء القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ مثل قبائل: **الناسامونين**، **والماكاي**، **والقارامونت**، **والأوليميدين**، **والجيتول**. وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بلاد ما كان يعرف قديما بلوبيا أو ليبيا. كما قال باقتضاب شديد: أن بعض تلك القبائل كانت تشتغل بالصيد؛ إذ يركب أفرادها عربات؛ تسحبها أربعة خيول؛ يطاردون بها طرائدهم..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد المصادر اليونانية تأتي المصادر الرومانية؛ وهذه المصادر محدودة العطاء؛ ولا تهتم إلا ببعض الجوانب؛ التي يكون الرومان فيها يمثلون المادة الأولى؛ كما أنها محتكرة من طرف بعض المؤرخين الأوروبيين، والفرنسيين على الخصوص؛ نظرا لقصر باع الدراسات المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، واكتفائها بالمراجع الفرنسية؛ على الرغم مما تحمله من شحنات سياسية تخدم احتلالهم لبلاد المغرب. ومن هذه الكتابات الفرنسية ــ المعتمدة حاليا من طرف كثير من الباحثين ــ ما يتصف بالنزاهة، ومنها ما يميل إلى التحيز والمغالطة.. ولا يتسع المجال هنا لإحصائها، والتعليق عليها؛ ولكن يمكن ذكر عينتين منها على سبيل التوضيح. فمثلا اتفق كثير من المحللين على أن المؤرخ الفرنسي شارل أنديه جوليان Ch. André Julien، يتحلى بالنزاهة والموضوعية؛ حتى وإن صرح ببعض الآراء التي لا يقره عليها كثير من المؤرخين. وفي الجانب المقابل يقف إيميل فيليكس غوتييه E. F. Gautier موقفا متحيزا، وتغلب عليه المغالطات والارتجالية في غالب الأحيان؛ وهذا باعتراف زميله شارل أندريه جوليان الذي يتهمه بالمغامرة، والمخاطرة في الأحكام كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول.. ومن يراجع كتبه سيكتشف بسهولة مغالطاته..

أما أوسع المصادر شمولا وأهمية وعناية بأبناء البلاد المغربية فهي المصادر العربية التي كتبها وتناقلها المؤرخون، والنسابة العرب، والأمازيغ ــ على السواء ــ باللغة العربية. وهذه المخطوطات فيها ــ بالطبع ــ الغث والسمين.. كتبت جلها باسلوب كان سائدا في تلك العصور؛ وقد نقده ابن خلدون؛ ولا داعي لشرحه هنا.. ويمكن مراجعة ذلك في مقدمته الفذة. وإلى جانب كثافة المصادر العربية السطحية توجد مصادر أخرى في منتهى الدقة والموضوعية؛ وهي قليلة؛ أمام زخم وكثافة الكتب ذات الطابع الإخباري الروائي. منها ــ على سبيل المثال ــ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون؛ وكتب أخرى عديدة سيشار إليها عند الحاجة. وقد احتلت المصادر العربية مكانة أولى بين المصادر الأخرى؛ لأنها تنفرد بمعالجة تاريخ المغرب بكافة سكانه: أمازيغا كانوا أو عربا. ومن هنا تأتي أهميتها؛ حيث يفهم لماذا كان الباحثون والمؤرخون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرنسيون والأوروبيون يتسابقون على اقتنائها، ودراستها ونقدها.؟ كما تعتبر هذه المصادر العربية بمثابة معين رئيس للدارسين المحدثين؛ من البلدان المغربية، ومن غيرها.

بقي الآن جانب آخر؛ يمكن تفسير التاريخ بواسطته؛ هذا الجانب يتمثل في العينات الأثرية التي اكتشفت في بلاد المغرب ومصر وجهات أخرى. وهذه العينات الأثرية استغلت من أجل تعزيز ودعم بعض النظريات المطروحة للبحث والدراسة الآن.. منها ما يتعلق بمواضيع أنثروبولوجية، وتفسير النشاطات الحضارية والتاريخية؛ ومنها ما أخضع للأبحاث المخبرية وتتبع السلالات البشرية. وقد احتكر هذا الميدان العلمي — في السابق — بعض العلماء الفرنسيين والأوروبيين؛ إلا أن أبناء البلدان المغربية شرعوا مؤخرا في الاعتناء بهذا الميدان؛ وإن كان ذلك بجهد محتشم... وما يعيب تلك الدراسات هي أنها تستند إلى نظريات جنسية وانثروبولوجية لم ترق إلى الحقائق الثابتة. ومع هذا تبقى تلك النظريات محل بحث وعناية؛ لأنها أقرب إلى الحقيقة، وأكثر صدقا من روايات الإخباريين الخيالية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكما سبق قوله فكل ما قيل عن بلاد المغرب ـ قديما ـ لا يخرج عن نطاق أصناف المصادر المذكورة آنفا. لذا فقد كان لزاما علينا مراعاة المنهج الصحيح؛ الذي يحتم العودة إلى قدر ما من تلك الأصناف. على أننا أعطينا الأولوية إلى المصادر ذات المصداقية؛ وإن لم نهمل الإطلاع على المصادر الضعيفة السند، والاستفادة ما أمكن منها.

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القبائل الأمازيغية

1)ـ البحـث عـن الجـذور:

فعلى الرغم مما تم إعداده من كتب ودراسات متباينة، وبلغات مختلفة، وفي عهود شتى؛ فإنها بكاملها لم تفصل ـ قطعيا ـ في حقيقة الأصول الأولى للمجتمعات المغربية. غير أن الفرضيات التي وضعت لا سبيل إلى نكرانها ـ تماما ـ أيضا. وهكذا تبقى الحقيقة معلقة حتى يظهر ما يسندها علميا، أو ينفيها نهائيا. وعليه فلا بد من الإشارة إلى مختلف الفرضيات؛ وذلك بتلمس المؤشرات التي تقترب من الحقيقة.

إذن يمكن إجمال المناهج المتبعة في تتبع الأصول الأولى لسكان بلدان المغرب ضمن أسلوبين: الأول هو المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني هو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية، والأعمال المخبرية. فأما الأسلوب الأول فيمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة؛ التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن بلدان المغرب وشعوبها. ذلك لأن المصادر اليونانية والرومانية شحيحتان في المادة التاريخية التي تدرس أصول سكان بلاد المغرب. أما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر العربية القديمة ـــ كما سبق ذكره ـــ ففيها ما يتصف بالموضوعية، وفيها ما تخللته الأساطير والخرافات.

أ ـــ تسميات وتعاريف:

محاولة معرفة التسمية الحقيقية لسكان المغرب قديما تتطلب عرض الآراء كلها؛ أوجلها على الأقل؛ لأن المصادر التاريخية مازالت ـــ حتى الآن ـــ عاجزة عن إقناع القراء بالأصول الأولى لسكان هذه الديار، وبالمسميات التي عرفوا بها إلى وقت قريب. فتسميات: **لوبي**، **وإفري**، **وبربر** كلها أطلقت على أبناء هذه البلاد؛ منذ القدم حسب ترتيبها زمنيا. فالأولى شاعت لدى اليونانيين، والثانية قد تكون من مبتكرات الفينيقيين، والثالثة سماهم بها الرومان بتأثير من اليونان. مع أنها كلها لا تعبر عن الحقيقة كلها؛ نظرا لكونها مسميات صدرت عن أطراف خارجية، ولم تحض باعتراف شامل من قبل المعنيين بالأمر. فكلمة **بربر** مثلا سماهم بها الرومان؛ بعد أن ورثوا معناها عن اليونانيين. ويقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية **فارفاروس** Varvaros وهي تعني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغط، وتداخل الأصوات في الكلام؛ بذلك فهم ينعتون بها كل الذين لا يتكلمون لغتهم؛ ومن هنا سموا إيطاليا **بربارِيا**[1].

ولما انتقلت سيادة العالم إلى الرومان حذوا حذو اليونان؛ فسموا – بدورهم – كل الشعوب التي لا تنتمي إليهم، أو قاومت نفوذهم **بربرا**؛ تحقيرا واستخفافا. من ذلك عبارة **بارباريسي** أو **باربارجيا**؛ التي كانوا ينعتون بها القبائل الخارجة عن نفوهم؛ مثل القبيلة المسماة بهذه التسمية في جزيرة سردينيا. كما كانوا يسمون المحيط الهندي **البحر البربري**، وخليج عدن **بالخليج البربري**؛ وسموا أيضا ثلمة من نهر السند **باربايكوم**. وفي مصر العليا مدينة سميت **بارباري**. وفي معبد الكرنك بمصر عثر على كتابة تعود إلى زمن رمسيس الثاني؛ ذكر فيها أن ذلك الفرعون قد أخضع شعبا في الجنوب سموه **بيرابيرتا**؛ وهذا يبعث شكوكا في المصدر الأول للكلمة؛ فهذا النص يدل أن الكلمة مصدرها الأول ليس اليونان؛ إذ يجوز أن يكون اليونانيون قد أخذوها عن المصريين.. وفي الصومال توجد **بربرة**؛ كما سميت الشعوب

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 262.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجرمانيــة **((بـاربــار))** بمعـنى القســاة والهمــج الجهلــة. وقــد اجمــع الباحثــون عــلى أن كلمــتي **بربــر وبربــار** تعنيــان: إمــا اللغــط والرطانــة والضوضــاء؛ أو الهمجيــة والقســوة. ولــم تكــن هــذه التسميــة ـــ في يــوم مــا ـــ تسميــة صحيحــة؛ لأي جنــس مــن الأجنــاس؛ وإنمــا كانــت بمثابــة النَّبَــز والشتيمــة. ولمــا حــاول بوســكي G. H. Bousquet تفسيــر كلمــة **بربــر** قــال: أنهــا مشتقــة مــن كلمــة **بربــاروس** BARBARUS وهي كلمــة لاتينيــة تنعــت بهــا فئــات مختلفــة؛ ليســت خاضعــة لسلطــان الرومــان؛ والقصــد منهــا هــو وصــف تلــك الفئــات بالتخلــف[2].

وإذا كانــت هــذه التسميــة لا يختــص بهــا سكــان البــلاد المغربيــة وحدهــم؛ فمــا هــو الاســم الــذي أقــره هــذا الشعــب العريــق، وأطلقــه عــلى نفســه؟ وهنــا يستحســن التذكيــر بــأن شعــوب المغــرب كانــت ـــ في الحقيقــة ـــ تعيــش ضمــن قبائــل، وأحــلاف قبليــة كبــرى عديــدة؛ لا يجمعهــا اســم موحــد؛ معتــرف بــه مــن طــرف القبائــل كافــة؛ بــل تســمى كــل قبيلــة باسمهــا، أو كــل حلــف باســم غالــب عليــه. وهــذا شبيــه بمــا عرفــه العــرب القدمــاء؛ الذيــن كانــوا يتكتلــون ـــ بدورهــم

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p: 8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ضمن قبائل مختلفة ومتناحرة؛ حتى جاء الإسلام فجمع شتاتهم، ووعاهم بوحدة الهوِيَّة. ومع ذلك لم ينسوا انقسامهم الرئيس إلى يمنيين وعدنانيين..

وعند تتبع مسألة المجتمعات المغربية تاريخيا سيتضح من خلال خبر مفاده: أن جماعة من **قبيلة لواتة** أرسلهم عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب بالمدينة المنورة؛ فسألهم ـ كما جرت عادة العرب ـ عن نسبهم؛ فأجابوا: أن جدهم هو **مازيغ**[1]. وإن صحت هذه الرواية؛ ستكون هي المرة الأولى في ـ العهد الإسلامي ـ التي وردت كلمة **مازيغ** كاسم لجد هذا الشعب؛ ربما تكون اسما لجد فئة منه؛ كما يعتقد بعض الباحثين[2].. وثمة من يرى أن كلمة **أمازيغ** قديمة جدا؛ ربما عادت إلى العهود الفرعونية[3]، أو عصور السيادة الإغريقية.. ودلت بعض الأبحاث على استعمال كلمة قريبة من عبارة **مازيغ**؛ حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتايوس Hekatoios (الذي عاش في القرن السادس قبل

---

[1] طبقات مشائخ المغرب، ج: 1، ص ص: 16 ـ 17.

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p:10-11.

[3] عروبة البربر، ص: 178.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الميلاد)؛ فسمى فئات منهم بـ (مازييس Mazyes؛ وهذه الكلمة قريبة من عبارة **مازيغ**.

أما هيرودوتس Herodotos – في القرن الخامس قبل الميلاد – فقد ذكر اسما هو (ماكسييس Maxyes؛ وهي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرف؛ فسمو الشعب النوميدي: (مازاس) أو (مازكيس) أو **(مازيكس)** -- Mazaces -- Mazax -- **Mazikes**. وهكذا ترى أن الكلمة المسطرة قريبة جدا من العبارة المتداولة الآن.

ويبدو أن كلمة **أمازيغ** لم تنتشر بشكل واسع في الزمن الأول للفتح؛ إذ تغلبت عليها كلمة **بربر**؛ التي وجدها المسلمون متداولة بين الناس عندما فتحوا البلاد؛ فبادروا إلى منح هذه الكلمة مدلولا أكثر طهارة ونقاء مما كانت عليه قبل مجيئهم؛ وذلك تبعا لما نصت عليه التعاليم الإسلامية السمحة؛ التي تنهى عن التنابز بالألقاب؛ كما جاء في التنزيل الحكيم: **((يا أيها الذين آمنوا لا يسخَرْ قومٌ من قومٍ عسىَ أن يكونوا خيرا منهم ولا نساءٌ من نساء عسىَ أن يكُنَّ خيرا منهُنَّ ولا تلمِزوا أنفسَكُمٌ ولا تنابَزوا بالألقاب**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان ومن لم يتبْ فأولئك هُمُ الظالمون))[1].

ب ـ الأساطير نصف الحقيقة:

وعليه فقد اختاروا المدلول الذي ينسجم مع فلسفة الأسماء عندهم؛ لذا فقد وجدوا أن أقرب دلالة إلى ذهنهم ومنطقهم؛ هي التي تجعل من كلمة **بربر** عبارة مشتقة من اسم إنسان؛ افترضوا أنه جد هذا الشعب؛ أو يكون فعلا جدا لهم. غير أن بعضهم الآخر رأى في كلمة **بربر** ما يدل على اللغط والرطانة أثناء الكلام؛ وربما قال بهذا الرأي الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني؛ لأن اليونان ـ حسبما ورد ـ منحوا المفهوم نفسه لكلمة **بربر**. ولكن الإخباريين ـ كما هي عادتهم ـ نسجوا قصصا وأخبارا؛ حاولوا من خلالها تفسير أسباب تلك المسميات.. وقد ملئت صفحات كثيرة بتلك الروايات والأساطير العجيبة؛ التي تتحدث عن الشعب الذي سموا أعضاءه **بربرا**.. فقال بعضهم أنهم أبناء **بر ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار**؛ واضعين

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ذلك بعض الأساطير والأشعار؛ الهدف منها هو دعم مزاعمهم وافتراضاتهم[2].. ومع هذا فهي تدل على النزعة الإنسانية في انتحال الأشياء، والمواقف؛ بغرض دعم مزاعم، وافتراضات معينة؛ على الرغم من أنها ليست منطقية؛ نظرا لغياب الدليل العلمي من جهة، وبعدها عن المعقول من جهة أخرى. من ذلك؛ أنهم زعموا أن جد البربر المدعو **برا**؛ قدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو ابن قيس؛ ولما طال غيابه بَكَتْه شقيقته **تماضر** بقولها:

لِتَبْكِي كُلُّ بَاكِيَةٍ أخَاهَا
كَمَا أبْكِي عَلىَ بَرِّ بن قَيْسِ
تَحَمَّلَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَأضْحَى
وَدُونَ لِقَائِهِ أنْضَاءُ عِيسِ

ومما نسب إلى تماضر أيضا:

وَشَطَّتْ بِبَرٍّ دَارُهُ عَنْ بِلاَدِنَا
وَطَوَّحَ بَرٌّ نَفْسَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

---

[2] أنظر هذه الأخبار والأشعار في العبر، مج: 6، ص ص: 176 ــ 192.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَأَزْرَتْ بِبَـرٍّ لَكْنَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ
وَمَا كَانَ بَرٌّ فِي الحِجَازِ بِأَعْجَمَا
كَأَنَّا وَبَرًّا لَمْ نُغِرْ بِجِيَادِنَا
بِنَجْدٍ وَلَمْ نُقَسِّمْ نِهَاباً وَمَغْنَمَا

وهكذا ترى المسحة الأسطورية في هذه الأقوال.. **فبر** يهرب **منفردا**؛ من أخيه إلى بلاد بعيدة كالمغرب..! أي من قارة إلى أخرى؛ بكل بساطة ودون عناء..! ولما أصبح في تلك البلاد النائية؛ علمت أخته أن كلام أخيها شوهته لَكْنَة أعجمية..! ومع هذا لم يسأل المتحمسون لهذا الخبر أنفسهم: كيف علمت تماضر بذلك رغم البعد، وانعدام وسائل الاتصال..؟! هذه واحدة من الحكايات؛ أما الأخرى فيزعم رواتها: أن من أسموه الملك **النعمان بن حمير بن سبأ** فاجأ أبناءه ـــ في أحد الأيام ـــ فقال لهم: إني عزمت على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها..؟! فلبوا أمره على الفور؛ وتوجهوا إلى حيث اختار لهم المقام الأبدي..!! وهؤلاء الأبناء هم: **لمت** (أبو لمتونة)، **ومسفو** (أبو مسوفة)، **ومرطا** (أبو هسكورة)، **وأصناك** (أبو صنهاجة)، **ولمط** (أبو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمطة)، **وإيلان** (أبو هيلانة)، **ومصمود** (أبو مصمودة)، **وكزول** (أبو كزولة)، **وأجانا** (أبو زناتة)..ألخ. فنزل هؤلاء الاخوة في بلاد المغرب متفرقين: منهم من سكن جبل درن، ومنهم من اختار سكنى السوس وطنجة، ومنهم من استقر في درعة، ومنهم من توقفت رحلته في إفريقية والمغرب الأوسط. والحكاية كما يقول ابن خلدون طويلة. وهكذا ترى كيف يضيق أبٌ بأولاده..؟ فيتخلص منهم؛ بنفيهم ــ دون حماية كافية ــ إلى مغرب الشمس، وبحر الظلمات.. حيث نهاية العالم القديم آنذاك؛ ولا هدف له من ذلك؛ سوى أنه يرغب في الأعمال الخيرية..!! ويحب تعمير بلاد المغرب الشاغرة..!! تلك البلاد التي بدت له ــ فجأة ــ بأنها فارغة من السكان، ومحتاجة إلى من يعمرها.. فعمرها النعمان بفلذات كبده..؟!!

وثمة حكاية أخرى يقول أصحابها: أن ملكا من التابعة يسمى **افريقش بن قيس بن صيفي**؛ غزا بلاد المغرب؛ فسميت باسمه إفريقية؛ بعد أن قتل بها من أسموه بالملك **جرجيس**، وتقول الرواية أيضا أن إفريقش هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختــط الأمصــار، وشيــد المــدن بتلــك الجهــات النائيــة قبــل أن يعــود إلى بــلاده في المشــرق..! وتقــول الروايــة كذلــك: أنــه لمــا لاحــظ رطانــة سكــان تلــك البــلاد، واختــلاط الأصــوات في لهجاهــم؛ قــال متعجبــا: **"مــا أكثــر بربرتكــم"..!** فسموهــم ــ منذئــذ ــ **بربــرا..** غيــر أن روايــة أخــرى تقــول أنــه حشــد قبائــل شــتى؛ عبأهــم في الشــام؛ لغــزو بــلاد المغــرب؛ مــن هــذه القبائــل: حميــر، ومضــر، والقبــط، والعمالقــة، وكنعــان، وقريــش؛ فلمــا سمــع لغطهــم؛ سماهــم البربــر؛ ثــم أنشــد:

بَرْبَــرَتْ كَنْعَــانُ لَمَّــا سُقْتُهــــــــــا
مِنْ بــلَادِ الضَّنْكِ لِلخِصْــبِ العَجِيــبْ
أيُّ أرْض سَــكَنُــوهَــا وَلَقَــــــدْ
فَازَتِ البَرْبَــرُ بِالعَيْــشِ الخَــصِيـــــبْ

وثمــة حكايــة أخــرى تقــول أن **أبرهــة ذا المنــار** ــ ملــك اليمــن ــ هــو الــذي تركهــم ببــلاد المغــرب بعــد أن فتحهــا وليــس إفريقــش..**!** وهكــذا تلاحــظ اختــلاف الروايتيــن.. ثــم يمكــن التســاؤل: مــا هي الطريــق الــتي سلكهــا إفريقــش هــذا..**؟!** وهــل تركــه الفراعنــة يمــر بســلام؛ كمــا مــرت قبائــل بــني هــلال بعــده بقــرون؟**!** وإن صــح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلـك..! أيكـون مـرور هـذه الجيـوش بمصـر حـدث هـذه المـرة بـدون ضجـة تذكـر..؟! وهـل مـن سبيـل آخـر يكـون قـد سلكـه..؟ ثـم مـا هي المـدة الزمنيـة الـتي بـقي فيهـا إفريقـش هـذا بـلاد المغـرب؛ الـتي يقـال أنـه منحهـا اسمـه..؟! وكمـا هـو معلـوم فـإن تخطيـط المـدن، وتشييـد الأمصـار يحتـاج إلى سنـوات وسنـوات؛ فمـا هي وسائلـه السحريـة الـتي استعملهـا في إنجـاز مشاريعـه الخارقـة..؟! أمـا الـذي قالـوه عـن تعبئتـه لعـدد مـن القبائـل المختلفـة في بـلاد الشـام؛ بغـرض غـزو المغـرب؛ فإنـه ـ عـلى مـا يبـدو ـ تمكـن مـن تعبئـة أمـم، وشعـوب مختلفـة؛ وليسـت قبائـل فحسـب كمـا قيـل..! ومـن الزاويـة التاريخيـة لـلأدب العـربي؛ يبـدو أن **إفريقـش بـن قيـس بـن صيـفي، وتماضـر بنـت قيـس** ـ في هـذه الحـال ـ يكونـان قـد سبقـا مـن عـرف حـتى الآن مـن شعـراء الجاهليـة الأوائـل؛ **كالمهلهـل بـن ربيعـة، وامـرؤ القيـس بـن حجـر..!** وعليـه.. يكـون تاريـخ أول نـص شعـري جاهـلي؛ هـو تاريـخ أبيـات تماضـر أو إفريقـش..!

ولـم تنتـه الحكايـات عنـد هـذا الحـد؛ إذ وردت روايـات أخـرى كثيـرة ومتناقضـة؛ منهـا: أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم الخليل..!** أو أنهم جماعات متفرقة من أهل اليمن..**!** أو أنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا ــ مع **الغساسنة** ــ بعد نكبة سيل العرم.. أو أنهم من **لخم وجذام**؛ الذين أخرجهم أحد ملوك الفرس من فلسطين؛ فنزحوا إلى مصر أولا؛ ثم واصلوا هجرتهم نحو المغرب؛ بعد أن منعهم الفراعنة من الاستقرار بمصر.. وأشهر الروايات هي التي تقول: أنهم من أصحاب **جالوت**؛ وهم أخلاط من: **الكنعانيين، والعمالقة**؛ نزحوا جميعا إلى المغرب بعد مقتل جالوت؛ حيث تم ذلك بواسطة إفريقش.. كما يزعم آخرون أن الذي طردهم من فلسطين هو داود عليه السلام بالوحي؛ ونقل ابن خلدون عن أولئك الإخباريين نصا جاء فيه **((قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض))**[1]..**!** أما آخرون فيقولون أنهم هربوا إلى مصر؛ بعد مقتل جالوت؛ فأخرجهم القبط منها؛ فنزحوا إلى برقة، ثم إفريقية، ومنها إلى المغربين: الأوسط والأقصى. وثمة أخبار أخرى تنسبهم إلى **حام ابن نوح**؛ بينما قال آخرون أنهم أبناء **سام**

---

[1] **العبر، مج: 6 ص: 185.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابـن نـوح.. وقـد وردت في هـذا الأمـر حكايـات عجيبـة يضيـق المجـال بذكرهـا كلهـا.. عـلى أن بعـض الإخباريين لـم يعممـوا كغيرهـم؛ واكتفـوا بضـم فئـة مـن البربـر إلى أهـل اليمـن؛ هي: القبائـل الكتاميـة؛ والقبائـل الصنهاجيـة؛ **كتامـة وصنهاجـة.** وقـد ظلـت هـذه القائمـة مفتوحـة للأهـواء؛ إذ تسابـق النـاس لإضافـة أنفسهـم أو مـن يحبـون..

جـ ـ نقـد واعتـراض:

تـولى ابـن خلـدون الـرد عـلى تلـك المزاعـم؛ مفنـدا إياهـا واحـدة فواحـدة.. فَبَـدَأَ بالادعـاء القائـل: أن البربـر مـن أبنـاء **يقشـان بـن إبراهيـم** عليـه السـلام؛ فذكـر أن بيـن **داود** (وهـو قاتـل جالـوت) **وإسحـاق** (وهـو أخـو يقشـان) حـوالي عشـرة آبـاء؛ لا غيـر؛ ثـم يتسـاءل: فهـل يعقـل أن يتشعـب أبناؤهـم، وأن يتناسلـوا بهـذه الكثافـة العظيمـة الـتي عليهـا شعـوب البربـر.؟! بعـد ذلـك ينتقـل إلى الادعـاء الثـاني؛ فيقـول مـا نصـه: **((وأمـا القـول بأنهـم مـن ولـد جالـوت، أو العماليـق؛ وأنهـم نقلـوا مـن ديـار الشـام، وانتقلـوا؛ فقـول ساقـط؛ يكـاد يكـون مـن أحاديـث خرافـة؛ إذ مثـل هـذه الأمـة؛ المشتملـة**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أمم، وعوالم ملأت جوانب الأرض؛ لا تكون منتقلة من جانب آخر، وقطر محصور؛ والبربر معروفون في بلادهم، وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من الأمم؛ منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات؛ في شأن أوليتهم... وإفريقش الذي يزعمون أنه نقلهم؛ قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم، وعجمتهم؛ وقال: ما أكثر بربرتكم؛ فكيف يكون هو الذي نقلهم؛ وليس بينه وبين أبرهة ذي المنار من يتشعبون فيه إلى مثل ذلك؛ إن قالوا أنه الذي نقلهم؟))[1]. أما المزعم القائل بانتمائهم إلى النعمان بن حمير، أو إلى قيس بن عيلان بن مضر؛ فيرفضه ابن خلدون تماما؛ بدعوى أنه منكر من القول؛ محتجا برأي محمد بن حزم؛ عندما نفى — بدوره — هذه المزاعم؛ حيث قال: **((قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام؛ وادعت طوائف منهم إلى اليمن؛ إلى حمير؛ وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، ولا شك فيه. وما علم**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 190.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا؛ ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))[2]. ويبدو أن الاعتراض على هذه المزاعم لم يقتصر على ابن حزم وابن خلدون فحسب؛ بل صدر عن علماء آخرين؛ منهم: البلاذري الذي نقل في كتابه فتوح البلدان رواية جاء فيها: **((وحدثني بكر ابن الهيثم قال: "سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس؛ وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر؛ وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام. وكان منازلهم على أيادي الدهر فلسطين؛ وهم أهل عمود؛ فأتوا المغرب؛ فتناسلوا به"))**[3]. وهذه الرواية سبقت زمن ابن خلدون وابن حزم على السواء؛ ذلك أن البلاذري عاش في عهد المأمون العباسي، ونقلها عمن سبقوه.

وواصل ابن خلدون نقده؛ فتصدى لمزعم ابن قتيبة القائل: بأن البربر من أولاد جالوت؛ الذي نسبه إلى قيس بن عيلان. فاستبعد ابن

---

[2] الجمهرة، ص: 495.

[3] فتوح البلدان، ج: 1، ص: 265.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلدون هذا الادعاء؛ محتجا بكون قيس بن عيلان من ولد **معد**؛ المعاصر **لبختنصر**. وهذا الأخير – كما هو معلوم – طارد العرب، واضطهدهم؛ الأمر الذي حدا بالنبي **أرميا** إلى تهريب **معد** نحو الشام؛ خوفا عليه من سخط بختنصر؛ ذلك الملك الغشوم؛ مدمر المعالم الدينية التي شيدها ببيت المقدس داود وسليمان؛ قبل ذلك بأربعمائة وخمسين سنة تقريبا. إذن فمعد جاء بعد داود؛ بنسبة زمنية تتوافق مع تلك القرون الأربعة على الأرجح؛ ثم يتساءل ابن خلدون: كيف يكون قيس عيلان بن معد أبا لجالوت المعاصر لداود.؟! وبهذا التحليل المنطقي؛ نسف ابن خلدون أوهام ابن قتيبة. ومع هذا لم يكتف بالتفنيد، والرفض لآراء الأسلاف؛ بل أرسل دلوه هو الآخر؛ لتفسير الأصول التاريخية للأمازيغ؛ فانتهى إلى القول: ((**والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليقة. وأن اسم أبيهم مازيغ،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واخوهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو كِسلوحيم بن مصرايم بن حام))[1].

لم يشذ ابن خلدون برأيه هذا ــ كما قد يبدو لبعضهم ــ فقد سبقه إليه علماء آخرون؛ مثل القديس أوغسطين SAINT AUGUSTIN الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا؛ حيث كتب في إحدى رسائله: **((إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون: نحن كنعانيون))** Si vous demandez à nos paysans ce qu'ils sont, ils répondent, nous sommes CANANEENS))[2] . فهذا النص كتبه فيلسوف من هذه الديار؛ قبل الفتح الإسلامي بقرون. ويتفق فيه مع أقوال ابن خلدون، وبعض مؤرخي المغرب الإسلامي. وهم جميعا يستندون إلى معلومات تناقلها النسابة الأمازيغ؛ أبا عن جد. وإن اتفقوا على انتمائهم إلى كنعان؛ فإن الخلاف ظل ماثلا بخصوص انتماء كنعان نفسه إلى حام. وهذا الرأي قال به بعض العلماء المحدثين ممن اشتهروا بالتحقيق والضبط؛ مثل العلامة الألماني بروكلمان؛ في كتابه تاريخ اللغات السامية. ويرى هذا الباحث الكبير أن اليهود هم الذين

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 191.

[2] E. F. GAUTIR, Le Passé de L'Afrique du Nord, p:139.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية؛ لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين. على أن يحيى بن خلدون ــ وهو أخو عبد الرحمن ــ أورد بعض الأقوال منها: أن بعض المؤرخين القدماء نسبوا البربر إلى جد يدعى **بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام**، وآخرون إلى **عملاق بن لاود بن أرم بن سام**؛ وهذا طبعا رأي من ينسبهم إلى العمالقة..

ويتبين مما سبق؛ أن دلالة كلمة بربر ــ في مفهوم المسلمين ــ كانت إما نسبة لأحد الأجداد يسمى **بربر**، وإما نعتا لطريقة كلامهم، ولغطهم، وبربرتهم التي لا يفهمها العرب. فالتسمية ــ في هذه الحال ــ جاءت من خارج ذلك المجتمع المعني بالأمر؛ ولم تصدر عن قناعة منه. وعليه فمن حق أبنائه أن يعترضوا على تلك المسميات التعسفية؛ كما أنهم أهلا لكي يطلقوا على أنفسهم الاسم المناسب؛ وبما أن جلهم يحبذوا اسم **أمازيغ**؛ فاليكن لهم ذلك.. إذ الراجح أن تكون هذه هي تسميتهم الحقيقية؛ خاصة عندما نعود إلى ما جاء في الرواية التي تقول بأنهم انتسبوا ــ أمام عمر بن الخطاب ــ إلى جد يدعى **مازيغ**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على اعتبار أنه اسم لجدهم؛ وهذه إحدى وجهات النظر. أما الرأي الآخر المفسر لمعنى أمازيغ فيقول بأنها تعني صفة من صفاتهم؛ وهي:((**الأحرار النبلاء**)). وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي؛ حين قال باحتمال أن تكون كلمة أمازيغ نسبة رفيعة لشخص أو لفئة أرستوقراطية قديمة[1].. وربما تكون هذه الكلمة كما وردت في النصوص اليونانية واللاتينية ــ السابقة الذكر ــ بهذا المعنى؛ الذي نعت هذا الشعب به نفسه..

ومن جهة أخرى يستحسن الإشارة إلى المعلومات التي ذكرها الباحث محمد على مادون في كتابه عروبة البربر؛ حيث أورد بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة (**بر**) في العهد الجاهلي؛ بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ إذ أتت الكلمة في كثير من المرات بعدة معاني؛ منها: كاسم لشخص يدعى **بر**، ومرات تأتي بمعنى (**ابن**). ومما قدمه هذا الباحث بعض النصوص المنحوتة في عينات أثرية؛ مثل: الوثيقة التي أعطاها رقم **4**؛ وهي عبارة عن نقش مدون بالأبجدية الصفائية؛ المتفرعة

---

[1] **Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 10 - 11.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الخط المعروف بالمسند؛ عثر عليه في موقع عرعر بشمال الجزيرة العربية؛ جاء فيه ما نصه[1] :(2) **(لـ: سعد بن أسد ذ آل بر)** ومعناه: دُوِّنَ هذا النقش من أجل **سعد بن أسد من قبيلة بر.** وهذا يدل على تواجد قبيلة ــ في تلك الجهات ــ كانت تدعى **آل بر.** كما أورد الباحث اسم فخذ من قبيلة لخم وهم: **بنو بر بن كعب بن غنم بن كليب.** وفي النقش المسجل تحت رقم: (1206) ضمن مدونة النقوش العربية القديمة للباحث نفسه؛ الذي عثر عليه بمنطقة الصفا؛ جنوب سورية؛ جاء فيه اسم قبيلة أخرى تدعى: **ألحج بن بر.** كما أورد الباحث ــ أيضا ــ عينات أخرى تفيد وقوعها بمعنى **(ابن)** وهذا يرجح الرأي الذي قصده؛ وهو احتمال أن تكون كلمة **بربر** هي: **(بر ــ بر)** أي: **(بر ــ ابن).** أنظر ما جاء في كتاب عروبة البربر؛ هذا الكتاب القيم الذي نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

والآن ما هي حقيقة هذا المجتمع الأمازيغي؛ الذي تسبب في هذا الجدل المزمن..؟ فالمتأمل في

---

[1] **عروبة البربر، ص ص: 18 ــ 19.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر التاريخية التي تهتم بالمغرب الإسلامي؛ سيندهش ـ لا محالة ـ عندما يلاحظ ظاهرة؛ قد تكون فريدة من نوعها بين الشعوب؛ تلك الظاهرة هي سعي شعب ـ بمختلف قبائله ـ إلى إثبات انتمائِهِ، وانْتِسَابِهِ إلى شعب آخر؛ قدم إلى بلاده بقوة الاحتلال..! والأمر الذي يزيد المتأمل دهشة..! هو ما عرف عن هذا الشعب من ميل للتمرد، وعدم الخضوع؛ والانقياد للمحتلين.. وكراهيته للغزاة الأجانب، واستنكافه عن الانتماء إليهم.. فما هو السر هنا إذن..؟ فحينما نتتبع حركة الفتح الإسلامي في كامل الديار المفتوحة؛ شرقا، وغربا؛ سيتضح أن شعوبها لم تحاول الانتساب إلى قحطان، أو إلى مضر؛ فما هو السبب يا ترى..؟ قد تكون الإجابة ـ هنا ـ كامنة في النزعة، والغريزة الإنسانية التي لا تقبل بغير طبيعتها.. فلا يمكن لها أن تنفصل عن ذاتها.. كيفما تكون تلك الذات.. كما أنها لا تزج بنفسها في محيط غريب عنها؛ إلا في حالات تحالف، وتزاوج؛ على أن لا يتم خلالهما نفي لكيانها.. وبهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات؛ التي عرفتها قبائل المغرب الإسلامي؛ بعد أن مرت الصدمة الأولى؛ التي أحدثها الفتح المسلح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكـذا وقفـوا جميعـا موقفـا واحـدا ــ تقريبـا ــ يتفقـون فيـه علـى أنهـم مـن أصـول عربيـة، أو بالأحـرى مشرقيـة. وهـذا الادعـاء وافقهـم فيـه الفاتحـون أيضـا.. فلـم يرفضـوه؛ مـع أنهـم أشـد الخلـق تعصبـا لجنسهـم. كيـف سلَّمُـوا بذلـك.. وهـم السـادة الأقويـاء..؟ الذيـن احتلـوا تلـك البـلاد عسكريـا..؟ يبـدو أنهـم لـو لـم تكـن لديهـم قناعـة بذلـك الطـرح لمـا قبلـوا بـه.

ومـع هـذا لا بـد مـن التذكيـر بـأن الخـلاف ــ في وجهـات النظـر بينهـم ــ لـم ينحصـر إلا في تحديـد مصـدر الهجـرة لا غيـر.. هـل كانـت مـن اليمـن أم مـن الشـام..؟ ويبـدو أن أسبـاب هـذا الخـلاف تكمـن خلفـه التأثيـرات المنبعثـة عـن **العصبيـة القبليـة**؛ الـتي تجلـت في قطبيهـا: اليمـني والمضـري. وقـد استطـاع ابـن حـزم تلمسهـا؛ حيـن أشـار إلى مـا وصفـه بـ "**تكاذيـب أهـل اليمـن**". وهـذا يمكـن أن يكـون للصـراع بيـن العصبيتيـن: المضريـة (القيسيـة)، واليمنيـة (الكلبيـة) في بـلاد المغـرب دور رئيسـي؛ في انتشـار هـذه الأخبـار المتضاربـة في قحطانيـة الأمازيـغ، أو قيسيتهـم. كمـا أن الصراعـات الداميـة بيـن الأمازيـغ والعـرب؛ في بـلاد المغـرب والأندلـس ــ وهـم جميعـا إخـوة في الديـن ــ دفـع بأهـل الخيـر والإصـلاح؛ مـن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطرفين — بغرض شريف طبعا — إلى تأكيد الأخوة الجنسية، والدينية. وهذا ما حدا بشاعر من أهل الأندلس؛ وهو عبيدة بن قيس العقيلي كي يقول:

أَلاَ أَيُّهَا السَّاعِي لِفُرقَة بَيْنَنَا
تَوَقَّفْ هَدَاكَ اللَّهُ سُبلَ الأطَايِبِ
فَأقْسِمُ أنَّا وَالبَرَابِرُ إخْوَة
نَمَانَا وَهُمْ جَدٌّ كَرِيمُ المَنَاصِبِ
أَبُونَا أَبُوهُمْ قَيْسُ عَيْلاَنَ فِي الذرَى
لَهُمْ حُرْمَة تَشْفِي غَلِيلَ المُحَارِبِ
فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْنٌ مَنِيعٌ وَإخْوَة
عَلَى رَغْمِ أعْدَاءِ لِئَامِ المَنَاقِبِ
فَإنَّا لِبَرٍّ مَا بَقَى النَّاسُ نَاصِرٌ
وَبَرٌّ لَنَا رُكْنٌ رَفِيعُ المَنَاكِبِ
نُعِدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَابِقَ ضُمَّراً
وَبيضاً تَقُطُّ الهَامَ يَوْمَ التَّضَارُبِ
وَبَرُّ بْن قَيْس عُصْبَة مُضَرِيَّة
وَفِي الفَرْعِ مِنْ أحْسَابِهَا وَالذّوَائِبِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَقَيْــسُ قِــوَامُ الدِّينِ فِيكلِّ بَلْــدَةٍ
وَخَيْــرُ مَعَدٍّ عِنْدَ حِفْظِ المُنَاسِــبِ
وَقَيْــسٌ لَهَا المَجْدُ الَّذِي يُقْتَدَي بِــهِ
وَقَيْسٌ لَهَا سَيْفٌ حَدِيدُ المَضَــارِبِ

ويقــول الطرمــاح بــن ساعــدة القيــسي أيضــا:

يَا آلَ بَرِّ بْن قَيْــسٍ مَرْحَبــاً بِكُــمُ
قَيْــسٌ أبي وَأَبُوكُم حَيْثُ نَنْتَسِــبُ
مَا قُلْتُ إلاَّ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أعْلَمُــهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ إلَى وَقْــتٍ لَهُ سَبَــبُ
اللَّــهُ يَعْلَــمُ أنِّي مَــا كَذَبْتُكُــمُ
وَالقَوْلُ أقْبَحُــهُ البُهْتَانُ وَالكَــذِبُ
بَــرُّ بْنُ قَيْسٍ وَعِيــلاَنَ لَهُ شَــرَفٌ
عَالٍ إلَيْهِ انْتَهَى الافْضَالُ وَالحَسَــبُ
نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي بَــرٍّ وَإنْ غَضِبَــتْ
يَوْماً فَدَامَ لَهَا الإرْغَــامُ وَالغَضَــبُ

تلــك هي وجهــة نظــر بعــض العــرب فيمــا يخــص الأمازيــغ؛ أولئــك العــرب الذيــن يجاهــرون بالانتمــاء الواحــد للأصــل العــربي. والآن فمــا هي وجهــة نظــر الطــرف الآخــر؟ فهــذه قصيــدة لشاعــر أمازيــغي؛ وهــو يزيــد بــن خالــد الزنــاتي الأندلــسي يمــدح فيهــا قومــه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أَيُّهَــا السَّائِــلُ عَــنْ أحْسَابِنَــــا
قَيْــسُ عِيــلاَنَ بَنُــو العِــزِّ الأَوَلْ
وَبَنُــو بَــرِّ بْــنِ قَيْــس مَنْ بِــهِ
تُضْـــرَبُ الأَمْثَــالُ فِي كُلِّ أَهَــلْ
نَحْنُ مَا نَحْــنُ بَنُــو بَــرِّ النَّــدَى
عَــرَفَ المَجْدَ وَفِي المَجْــدِ دَخَــلْ
إنْ نُسِبْنَــا فَبَنُــو بَــرِّ النَّــدَى
طَــارِدُ الأَزْمَــة نَحَــارُ الأَبــلْ
وَابْتَــنَى المَجْــدَ فَــأَوْرَى زَنْــدَهُ
وَكَفَانَــا كُلَّ خَطْــب ذِي جَلَــلْ
إنَّ قَيْســاً يَعْتَــزِي بَــــرٌّ لَــهُ
وَلِبَــرٍّ يَعْتَــزِي كُــلُّ بَطَــــلْ
حَسْبُــكَ البَرْبَــر قَــوْمِي إنَهُــمْ
مَلَكُوا الأَرْضَ بِأَطْــرَافِ الأَسَــلْ
وَبِبِيــضٍ تُضْــرَبُ الهَــامُ بِهَــا
هَــامُ مَنْ كَانَ عَنِ الْحَــقِّ نَكَــلْ
أَبْلِغُــوا البَرْبَــرَ عَــنِّي مَدَحــاً
حِيــكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْــرٍ مُنْتَحَــلْ

هــذه اعتقــادات بعــض الشعــراء مــن الطرفيــن: العــربي والأمازيــغي. أمــا مــا تــراه القبائــل، ويؤمــن بــه الملــوك والأمــراء؛ فقــد كــاد جلهــم يجمعــون عــلى انتسابهــم؛ إمــا لحميــر، وإمــا لمضــر، وإمــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للعمالقة، أو لبني كنعان. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب؛ مثل: لواتة؛ يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة؛ يزعمون أنهم من كندة؛ من السكاسك، ومثل زناتة؛ تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة؛ فروا أمام بني إسرائيل؛ وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا، وزواوة، ومكلاتة؛ يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير... والحق الذي شهد به المواطن، والعجمة أنهم بمعزل عن العرب؛ إلا ما تزعمه نسابة العرب؛ في صنهاجة، وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم؛ والله أعلم))**[1].

وهكذا ترى الخلط، والتناقض الذي وقع فيهما ابن خلدون. ففي نص سابق؛ يجزم بأنهم من أبناء كنعان بن حام. بينما يسلم — في قوله هذا — ببعض الاستثناءات المتعلقة بكتامة وصنهاجة؛ مع أنه في مواضع أخرى من كتابه العبر يميل إلى اعتبار زواوة من كتامة؛ بينما يستثنيهم — هنا — من الانتماء العربي؛ معللا ذلك بالمواطن، والعجمة؛ مع أن

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 192.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـــذا التعليـــل ينطبـــق عـــلى صنهاجـــة، وكتامـــة. ومـــن جهـــة ثانيـــة أيَّـــد رأي ابـــن حـــزم؛ حيـــن قـــال: **((ولا كـــان لحميـــر طريـــق إلى بـــلاد البربـــر؛ إلا في تكاذيـــب مـــؤرخي اليمـــن))**؛ ولكنـــه غيـــر موقفـــه هـــذه المـــرة؛ مـــع صنهاجـــة، وكتامـــة؛ علمـــا بـــأن هاتيـــن القبيلتيـــن تشكـــلان كتلـــة ضخمـــة بيـــن قبائـــل الأمازيـــغ؛ ربمـــا قـــدرت بنصفهـــم. وعنـــد العـــودة إلى مـــا قالـــه عنهـــم في المجلـــد الســـادس مـــن كتـــاب العبـــر؛ سيظهـــر مـــدى تناقضـــه وتذبذبـــه.. والغريـــب أنـــه لا يصـــدق ـــ هـــذه المـــرة ـــ مـــا قالـــه نسابـــة الأمازيـــغ؛ بينمـــا يتحيـــز لأقـــوال النسابيـــن العـــرب؛ دون أن يقـــدم مبـــررا معقـــولا.. فمـــا هـــو السبـــب يـــا تـــرى..؟ هـــل هي الثقـــة المطلقـــة فيمـــا يقولـــه نسابـــة وإخباريـــون مثـــل: ابـــن الكلـــبي، وابـــن إسحـــاق..؟! ومـــن علامـــات تناقـــض ابـــن خلـــدون وبلبلتـــه أنـــه ـــ مـــن جهـــة ـــ يجـــزم بانتســـاب (البربـــر) إلى كنعـــان بـــن حـــام، أو إلى العمالقـــة؛ ومـــن جهـــة أخـــرى يصـــرح ـــ في موضـــع آخـــر ـــ بإنكـــاره لهـــذا الطـــرح؛ وذلـــك حســـب مـــا جـــاء في قولـــه السابـــق الذكـــر: **((والبربـــر معروفـــون في بلادهـــم وأقاليمهـــم؛ متحيـــزون بشعارهـــم مـــن الأمـــم منـــذ الأحقـــاب المتطاولـــة قبـــل الإســـلام.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم)). وعليه فما هو السبب في اضطرابه إذن..؟ قد يكون ذلك بسبب حيرته وعدم قدرته على تكوين فكرة واضحة حول الموضوع؛ نظرا لتشعبه وكثرة الآراء فيه؛ وبالمقابل اصطدم بالفراغ المهول في المادة التاريخية المغربية؛ حيث لم ينجز من قبل ما يمكن أن يستند إليه؛ سوى تلك الفرضيات المتزاحمة، والمتناقضة؛ المقدمة من طرف النسابين والإخباريين الأمازيغ والعرب على السواء..

د ـــ *حديث الحفريات:*

وبعد هذا.. ماذا يمكن أن نقول نحن عن الأصول الأولى للأمازيغ.؟ قبل الإجابة؛ علينا ـــ أولا ـــ التسليم بأن هذه البلاد لم تكن فارغة من الجنس البشري؛ طوال فترة زمنية تمتد إلى عشرات الآلاف من السنين. وحتى ابن خلدون نفسه يعترف بهذا عندما يصرح بأن (البربر) كانوا في ديارهم منذ حقب زمنية بعيدة.. وهذا القول لا يمنع ـــ طبعا ـــ من قدوم هجرات عديدة إلى بلاد المغرب من جهات مختلفة.. ولترسيخ الفكرة، والتعمق في عرض المعطيات الداعمة للرأي السابق؛ لا بد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحديث عن هذا الموضوع في جانبه العلمي المعزز بالمكتشفات الأثرية. ومن هذا المنطلق نبدأ بالحديث عما تم إنجازه في الحفريات المختلفة.

والجدير بالذكر – هنا – هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه **إنسان الأطلس** ATLANTHROPES ؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها – بهذه الربوع – إلى 400.000 سنة ق.م؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه Sinanthrope؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى Pithecanthrope. وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة؛ التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقدر العلماء الفترة التي عاش خلالها **بالعصر الحجري السفلي** Le Paléolithique inférieur. وتأتي بعد هذا – زمنيا – البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل **أرحود** بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من: الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان **نياندرتال** Homme de Néanderthal نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق. وقد حدد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلمــاء زمــن وجــوده بفتــرة تنحصــر بيــن 40.000 و 25.000 سنــة ق.م. بمعــنى أنــه عــاش خــلال **العصــر الحجــري الأوســط** Le Paléolithique moyen؛ وقــد تــردد العلمــاء في الإقــرار بإنسانيــة هذيــن المخلوقيــن؛ نظــرا للصفــات البهيميــة التي يتميــزان بهــا؛ غيــر أن استعمالهمــا لبعــض الأدوات الحجريــة؛ جعــل بعضهــم يعتقــدون أنهمــا يمكــن أن ينسبــا للإنســان العاقــل.

وما هــو مؤكــد ــ حــتى الآن ــ أن البقايــا الإنسانيــة الــتي لا شــك فيهــا؛ يعــود تاريخهــا إلى **العصــر الحجــري المتأخــر** L'Epipaléothique؛ المحــدد زمنــه بفتــرة تمتــد مــن 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهــذه البقايــا الإنسانيــة تــم اكتشــاف العينــات الأولى منهــا في **مشــتى العــربي** بالجزائــر. ثــم اكتشفــت عينــات أخــرى في منطقــة **قفصــة بتونــس**؛ ســمي صاحبهــا **إنســان مــا قبــل المتوســطي** Protoméditerranéen؛ وهــو يختلــف في تقاطيــع جمجمتــه عــن إنســان مشــتى العــربي. ولا يعــرف ــ حــتى الآن ــ كيــف ظهــر هــذا الإنســان في شمــال إفريقيــا.. وهكــذا بقيــت التســاؤلات حولــه قائمــة إلى الآن.. هــل قــدم إلى هــذه الديــار مهاجــرا..؟ أم انحــدر عــن الإنســان ذي الصفــات البهيميــة السابــق الذكــر..؟ فأمــا الاحتمــال الأخيــر فقــد استبعــده العلمــاء؛ نظــرا لكونــه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يختلف كثيرا عن النياندرتالي. وعليه فقد رجحوا فرضية أن يكون قدم من الشرق؛ عبر الجنوب التونسي. ويبدو أن هذا ممكن ـ حينها ـ لأن إمكانية الاتصال متوفرة عبر الجنوب الشرقي؛ حيث تتواجد منطقة **التاسيلي** في الجنوب الجزائري؛ تلك المنطقة التي كانت تزخر بالحيويّة، وبالتجمعات البشرية. ومما يعزز هذا الاحتمال؛ هو اتضاح ما للإنسان القفصي من ميول فنية للتعبير عن مشاعره؛ وهذا بالطبع من السمات البارزة في التجمعات الإنسانية بالتاسيلي. بالإضافة إلى ذلك لاحظ المختصون تشابها واضحا بين **إنسان مشتى العربي**، والإنسان المسمى **أيبيرو مغربي** L'Ibéromaurusien؛ وعليه فقد رجحوا انتمائهما إلى فرع واحد؛ انتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا عبر جبل طارق. وهذه الأصناف وُجِدَ أشباهها في الساحل الشرقي من البحر المتوسط. لذا رجحوا فكرة أن يكون هذا الإنسان قدم مهاجرا من تلك الجهات المشرقية؛ وعليه تكون هجرة هذا الإنسان من الشرق إلى الغرب احتمالا وارداً..

أما العصر الحجري الحديث Le Néolithique؛ الذي حدد بحوالي 4.000 سنة ق.م؛ فقد ظل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سائدا ببلاد المغرب؛ حتى ظهور المراكز التجارية الفينيقية الأولى. وقد اكتشفت بقايا هذا العصر في شمال البلاد وجنوبها؛ حيث تميزت بقايا الإنسان المكتشفة بالجنوب (في الهقار، والتاسيلي) باختلاطها بأصول سودانية[1]. وفي هذا العصر بالذات بدأت الصحراء تكشف عن وجهها الشاحب؛ بعد الجفاف الذي أخذ يحل بالبلاد تدريجيا. وعليه يمكن ــ في هذه الحال ــ للهجرات أن تحدث؛ هروبا من الجفاف؛ من الجنوب نحو الشمال، ومن الشرق نحو الغرب؛ سعيا وراء المناطق الخصبة أين يسهل العثور على الغذاء. أما الافتراض القائل بحدوث هجرات من الشمال إلى الجنوب؛ في تلك الحقبة التاريخية القديمة؛ فقد استبعده العلماء؛ نظرا للظروف الطبيعية القاسية؛ التي كانت تكتنف قارة أوروبا؛ بعصورها الجليدية. وعليه فقد رجحوا حدوث هجرات بشرية من شمال إفريقية؛ نحو أوروبا بعد نزوح الجليد عنها.

---

[1] للاستزادة بمعلومات أوسع في هذا الموضوع يستحسن الإطلاع على ما جاء في:
L'Homme Avant L'Ecriture, sous la direction de André Varagnac. et L'Homme par Gustav Schenk. et Initiation a la Prehistoire de L'ALGERIE.
وتاريخ إفريقيا الشمالية. لشارل أندري جوليان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـ ـ القول الفصل:

والسؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين..؟ بالطبع فالجواب الشافي لا يمكن انتظاره حاليا؛ لكن من السهل تكوين صورة تتميز بشيء من الوضوح في هذا المجال؛ لو أن الدارسين اختاروا الموضوعية، وابتعدوا عن الأحكام المتأثرة بالأهواء والميول الخاطئة. من هنا لا بد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جدا في هذه الديار؛ ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة؛ أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقب موغلة في القدم. وبهذا لا يمكن تكذيب ـ بشكل قطعي ـ الأقوال التي مفادها أن هجرات بشرية أتت من الشام أو من اليمن؛ لأن الحروب والجفاف والكوارث الطبيعية كانت ـ عبر الأحقاب التاريخية ـ أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى. وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها؛ ولا سبيل إلى نكرانه.. ومع هذا لا يمكن قبول الأساطير كما جاءت؛ دون تمعن فيها أو نقدها. مع أنها وإن لم تكن هي الحقيقة كلها؛ فقد تكون نصفها أو جزءا منها على الأقل..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذا؛ فالقول الفصل هو أن سكان البلاد المغربية مشكلين من مزيج بشري؛ تكون ــ عبر قرون وقرون ــ من سلالات مختلفة، وأجناس متباينة؛ انتقل أسلافهم إلى هذه الديار ضمن موجات بشرية عديدة، وهجرات إنسانية كثيرة؛ في فترات تاريخية يتعذر حصرها بالكامل. وكثير من الدلائل العلمية تثبت أن سكان هذه البلاد لا يجمعهم جنس واحد. وقد جمع شارل أندريه جوليان الأعمال المخبرية التي قام بها علماء مثل: برتولون Bertholon وشانتر Chantre ولوبلان Leblanc. ثم خلص إلى القول: ((**وهذا البحث في الأصناف الغالبة ما زال في بدايته؛ وسيكون ثمرة المستقبل؛ إذ أن مقارنة هذه الأصناف من حيث الشكل الظاهري هي وحدها التي ستسمح بإقامة تصنيف علمي. وفي الوقت الحاضر يكون من الصلف أن نقوم بعمل آخر غير تضمين النتائج الحاصلة التي تدل على تجزؤ بلاد البربر من حيث أجناسها. إلا أنه ــ ما إن يتيسر لنا معرفة البربري الذي يمكن تسميته بحق: المغربي ــ حتى يبدو صنفا اجتماعيا له خصائصه الواضحة. وبقدر حرصنا على طرافة البربري؛**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتمكن من إبراز ضرب من الوحدة لتاريخ بلاد البربر))[1].

ونظرا لكون شبه الجزيرة العربية منطقة معروفة بتصدير الجماعات البشرية المهاجرة منذ قديم الزمان؛ فمن الجائز ـــ إذن ـــ حدوث بعض الهجرات؛ انطلاقا منها نحو مصر أولا، ثم ينتقل أصحابها بعد ذلك؛ كمرحلة تالية إلى بلاد المغرب؛ التي كانت تعرف ـــ آنئذ ـــ باسم **لوبيا** أو **ليبيا** La Libye. وكما هو معروف لدى المهتمين عما يمكن أن تحدثه الحروب من: خلخلة واضطراب يشجعان على النزوح، ويتسببان في تشريد الجماعات المهزومة؛ هربا من القتل والاضطهاد والعبودية. لذا فاحتمال هروب فئات من أنصار جالوت المقتول نحو مصر، ثم بلاد المغرب أمر وارد، ولا يستدعي الرفض والنكران.. وعليه فلا غرابة من حدوث تلك الهجرات؛ وإنما الغرابة تكمن في عرضها بتلك الصورة الأسطورية الساذجة؛ المعتمدة من قبل الإخباريين؛ الذين حصروا الهجرات في شخص واحد، أو بعض الأشخاص المحدودين.. وبذلك فلا حرج في الاعتراف باحتمال وجود فئات ـــ

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 70.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلاد المغرب ـ تنسب نفسها إلى كنعان أو العمالقة أو الأقباط أو حمير أو مضر.. فمزاعمهم تستحق التقدير ما لم يثبت عكسها..

وجملة القول؛ ففيما اتضح من معطيات تاريخية صحيحة؛ ثبت أن سكان البلاد المغاربية الحاليين هم نتاج مزيج بشري تشكل من: إنسان مشتى العربي، والإنسان القفصي، وعناصر سودانية نزحت من الجنوب؛ وكلما مرت السنوات ازدادت هذه التركيبة البشرية مزجا وتعقيدا؛ بفضل استيعابها واحتوائها لفئات بشرية جديدة؛ قدمت مهاجرة من الشرق، والجنوب والشمال. ومع مرور الزمن تفاعلت تلك الموجات البشرية المهاجرة واندمجت مع غيرها من الجماعات المستقرة من قبل، أو الآتية بعدها؛ فأضحى جميعهم يمثلون مجتمعا واحدا؛ انصهر في بوتقة التاريخ الواحدة؛ التي شكلت عبقرية هذا الشعب المتميزة، والمطعمة بالتجارب الإنسانية المختلفة. فعرف هذا المجتمع ـ عندئذ ـ لدى بعضهم باسم **البربر**، وعند الآخرين باسم **الأمازيغ**. ومن هنا يمكن قبول الأقوال التي تنص على مجيء الجماعات العربية، واليهودية، والحامية من بلاد العرب.. ولكن لا يعني هذا أن جميع من في بلاد المغرب قدموا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضمن تلك الهجرات.. وهكذا ليس هناك ما يدعو إلى الحرج أو الاستنكار؛ عندما يعتقد بعضهم أنهم ينتسبون إلى قحطان أو كنعان أو غيره.. فكل ذلك محتمل وجائز ما لم يثبت عكسه، أو يظهر ما ينفيه.. وهذه الظاهرة ــ كما هو معلوم ــ لا تختص بها بلاد المغرب فحسب؛ بل عرفتها جل شعوب المعمورة؛ في العالم القديم بقاراته: الآسيوية، والأوروبية، والإفريقية. ومن خلال ما سبق؛ يبدو أن البحث عن حقيقة شعب الأمازيغ لا يكفي القيام بها في بلاد المغرب فحسب؛ بل يستحسن الشروع في أبحاث معمقة في بلاد المشرق؛ كـ: مصر وإثيوبيا واليمن ووسط الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب. فالحقيقة كما يظهر مدفونة في تلك المناطق..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2)ـ لغة الأمازيغ وآدابهم:

لا سبيل إلى نكران أنه كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية **تيفيناغ**، أو **تفنغ**؛ التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة؛ وهي ما زالت مستعملة ـ في هذه الأيام ـ ضمن الأوساط **التارقية**؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonnantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن.. وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالليبية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم. بل تعتبر من أقدم الكتابات في لغات القارة الإفريقية؛ إلى جانب الكتابة الإثيوبية المعروفة بالمَرَوِيَّة[1]. كما أنها مصنفة ضمن أقدم لغات العالَم. وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى: فمن قائل أنها تنتمي إلى العائلة السامية، إلي قائل بانتمائها إلى العائلة اللغوية الحامية؛ بينما اشتط آخرون في حكمهم بكونها يافثية الأصل..

والحقيقة التي أجمع عليها الثقاة والمحققون هي أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيرا

---

[1] عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص: 28. ثم ص ص: 158 ـ 160.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كبيرا..(هذا — بالطبع — إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسر: سامية وحامية ويافثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الشديد من اللغة المصرية القديمة. كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند؛ بفروعها: الثمودية، واللحيانية، والصفائية[1]. وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية؛ وهذا ما يمكن استشفافه من أبجدية **تيفيناغ** أو **تفنغ**؛ فاسمها يدل على هذا.. ويبدو أن هذه الأبجدية كانت تجد عناية من طرف أبنائها، أو من قبل فئة منهم في العهد الفينيقي؛ وهذا ما يفسره وجودها بين قبائل التوارق. ومع هذا لم يتم العثور على مؤلفات كتبت بهذه الأبجدية؛ ما عدى بعض مشاهد القبور.. وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة **تفنغ** تكتب من اليمين إلى الشمال؛ مثلها مثل الخط الفينيقي. ومن جهة أخرى يعتقد بعضهم أن شيئا من الشبه يجمع بين الأمازيغية (الليبية) وما

---

[1] للمزيد من المعلومات حول تقارب الأبجديتين أرجع إلى كتاب عروبة البربر لمحمد علي مادون؛ فهو يحتوي على مادة غزيرة ومستوفية الشروط؛ يمكنها تعزيز هذا الرأي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اكتشف من كتابة في جنوب أسبانيا L' Ibérique؛ بالإضافة إلى التشابه بينها وبين خط الاتروسك L'Erusgue وخطوط يونانية فرعية أخرى.. وربما حدث هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito-Sémitique[2]..

أ ـ البديل الأجنبي:

أما في العهد الروماني؛ فما يهم هو أن بعض الأمازيغ كتبوا مجلدات عديدة؛ مثل: **أبوليوس** الماضوري (آبولي) Apulée؛ ذلك الأديب والخطيب ابن بلدة (مداوروش)؛ الذي تربع ـ في وقته ـ على عرش الآداب والفلسفة؛ وكتب مجموعة من المؤلفات؛ في شتى العلوم، والفنون؛ ولكنها باللغة اللاتينية؛ منها: مجموعة أشعار ضمها كتاب الأزاهير، وقصة الحمار الذهبي التي شاع ذكرها؛ وكان يقول: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة**

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 21 - 22.، وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 288.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية، أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب))[1]. ثم يوبا الثاني Juba 2؛ الملك الأمازيغي الذي اغترب وذاب في اللاتينية والإغريقية؛ فكتب مجموعة من الكتب في ميادين كثيرة؛ منها: التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والطبيعية، والشعر، والفنون كـ: الموسيقى والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها. وربما يكون أحد كتبه المعنون بـ ليبيكا Libyca Les ــ في أجزائه الثلاثة ــ مفيدا في الجوانب التي تخص المجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛ ولكنه ــ مع الأسف ــ يبقى بين ما فقد من مؤلفاته[2]. كما أنه كتب كتابا آخر يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية؛ سماه: آرابيكا Les Arabica؛ واعتناؤه ببلاد العرب يبعث

---

[1] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 252.

[2] نفسه، ص ص: 172 ــ 173.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على التساؤل.. ثم القديس **أوغسطينوس** (أوغسطين) Saint Augustin (ابن تاجسته أو سوق أهراس) الذي تجاوز صيته حدود بلاد المغرب؛ بل اعتبر من أبرز فلاسفة عصره.. كتب هو الآخر مؤلفاته باللاتينية؛ ومن كتبه: الاعترافات، ومدينة الله؛ وهو الذي قال: (**(إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب؛ بل لغتها أيضا**))[3]. هذا وكانت مدن إفريقية ونوميديا الرومانية تزخر نشاطا وحيوية بحلقات التعليم والخطابة والمحاورات؛ كل ذلك باللغة اللاتينية التي كان الأمازيغ الأثرياء يتعلمونها في مدارس الرومان الخاصة. أما سكان الأرياف فقد ظلوا يجهلون تلك اللغة؛ ويتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة..

وبالإضافة إلى الذين ذكرناهم من علماء الأمازيغ؛ ثمة ــ أيضا ــ أدباء ومحامون آخرون؛ كانوا يكتبون ويعبرون باللاتينية كذلك؛ منهم: القانوني الشهير **سالفيوس جوليانوس** Salvius Sulianus؛ والشاعر **منيلوس**، والخطيب الفيلسوف

[3] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 248.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرواقي **كرنيتوس**، والخطيب **سبتيموس سواريوس** الذي أصبح حفيده إمبراطورا على روما نفسها، ثم الشاعر والخطيب والمؤرخ **فلوروس**، ثم **فرونتيوس** وهو من مدينة سيرتا؛ وكان أستاذا لأبناء الإمبراطور، وخطيبا، ثم أصبح قنصلا[1]. غير أن شارل أندريه جوليان يبدي بملاحظة خاصة إذ يقول: **((إن هذا التكوين تبدو آثاره في المؤلفين الأفارقة: المسيحيين منهم، والمشركين. ففي قرطاج تعلموا كيف يستسيغون الأفلاطونية الحديثة، والتصوف الفلسفي، وتأملات مدرسة الإسكندرية؛ وفيها تحمسوا لسلسطيوس، وفيها كذلك هذبوا ميلهم الطبيعي إلى الخطابة العنيفة اللاذعة المتحدية. إنهم لم يكونوا بارعين في الكتابة بقدر ما كانوا بارعين في الجدال المرتجل. ولقد نشأ عن طبعهم الذي كان يحملهم إلى الاهتمام بمادة فكرية غير متنوعة ضرب طريف من التفكير والتعبير يزخران حيوية))**[2].
إذن فحتى أندريه جوليان يميل إلى الاعتقاد بأن الأمازيغي يبدع في ميادين الخطابة والارتجال؛

---

[1] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 250.
[2] نفسه، ص: 250.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكثر منه في الأعمال الكتابية.. وما يمكن إضافته ـــ هنا ـــ إنه إذا لم يكن ما قاله جوليان صحيحا؛ فعلى الأقل فهم يتحملون ـــ عبر التاريخ ـــ مسئوليتهم في عدم العناية بلغتهم، والتراخي في العمل على تطوير أبجديتها الخاصة (التيفيناغ). وهكذا يصبح أصحاب هذه اللغة هم الذين تسببوا في ضياعها وتخلفها؛ وليس الدول التي حكمتهم..

ب ـــ كتابة سكونية:

هذا عن العهود القديمة جدا؛ أما في العهد الإسلامي فقد كان أكثر وضوحا؛ نظرا لما سمحت به الحفريات الضئيلة؛ التي مكنت من رسم تلك الصورة الباهتة في موضوع اللغة الأمازيغية وأبجديتها قديما، وما قدمته المؤلفات باللغة الأمازيغية. وإذا ما راجع الباحثون ـــ موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية؛ ومن خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة ـــ يجد أن بعض المختصين قد حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن مجموعات ثلاث؛ تعتبر بمثابة لهجات أساسية؛ يتفرع عنها عدد كبير من اللهجات المحرفة والمعدلة؛ حسب المناطق الجغرافية.. وهذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللهجات الرئيسية هي: اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية[1]. وتنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في المغربين: الأوسط والأدنى؛ (ويشتملان الآن على: الجزائر وتونس وليبيا)؛ كما توجد بشكل أضعف في المغرب الأقصى. أما اللهجات المصمودية فتتمركز تقريبا في المغرب الأقصى؛ وهي التي كان يسميها أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيذق) **باللسان الغربي**؛ ربما كان قوله هذا إشارة منه إلى اختلاف هذا اللسان عن لهجته الصنهاجية[2].. أما اللهجات الصنهاجية فهي منتشرة — هنا وهناك — في مناطق محددة من المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية التي تتاخم حدودهما الصحراوية..

وقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة في اقتضاب إلى اللهجات الزناتية؛ التي قال أنها تختلف عن بقية اللهجات الأمازيغية. وفي هذا السياق يقول في تمييزه لزناتة: **((وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر))**[3]. ثم يدخل في

---

[1] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 19- 21.

[2] أخبار المهدي بن تومرت، ص: 112.

[3] العبر، مج: 7، ص: 3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض الجزئيات؛ حين يتطرق لمعنى كلمة زناتة؛ فيقول: ((**فاعلم أن أصل هذه اللفظة؛ التي هي زناتة؛ من صيغة جانا؛ التي هي اسم أبي الجيل كله... وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم بالمفرد تاء؛ فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان**))[1].

ومع أن ابن خلدون لم يتطرق إلى موضوع الخط الأمازيغي القديم؛ فإن سلفه الرقيق القيرواني افترض وجوب وجود خط لهذه اللغة؛ وإن كان ــ في حقيقة الأمر لم يعرف عنه شيئا ــ ولكنه رأى أنه من غير المعقول ألا تكون لهذه اللغة حروف كانت تكتب بها في

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 13 ــ 14.

القديم[2]. وقد خصص الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة الأفارقة [أي الأمازيغ] ولغتهم بلهجاتها.

فبخصوص اللغة يقول: ((**إن هذه الشعوب الخمسة** [قسم الأمازيغ إلى خمسة أقسام] **المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن** [الأسر] **تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم ((أوال أمزيغ)) أي الكلام النبيل؛ بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات. ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين؛ وهم سكان اليمن كما أسلفنا. ولكن أنصار الرأي المخالف يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقية وفتحوها. وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة بحيث لم تترك أي كتاب يؤيد إحدى النظريتين؛ على أن هناك**

---

[2] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 71.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلافا في اللهجات؛ لا في النطق فحسب؛ ولكن أيضا في معنى كثير من الألفاظ))[3].

وهذا القول يفيد أن المؤرخين ـــ في تلك العصور ـــ لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق تكتب بها.. والسر على ما يبدو يكمن هنا؛ إذ كان الرجال التوارق لا يهتمون كثيرا بتعلم خط التيفيناغ؛ بينما اعتنت به المرأة وحافظت عليه ضد الضياع طوال قرون كثيرة.. وما ذكره الحسن الوزان بخصوص الحالة المزرية التي كان عليها الأمازيغ؛ تلك الحالة التي منعتهم من تقديم أدلة مكتوبة عن أصولهم أو أصول لغتهم لا يمكن تعميمه بهذا الشكل؛ لأن الحقيقة التاريخية تنص على وجود عدد من الأمازيغ كانوا ـــ قبل الفتح الإسلامي ـــ في مستوى علمي يؤهلهم لإعطاء رأي مكتوب في ذلك؛ ولكنهم لم يفعلوا..!! أو ربما تكون أعمالهم تعرضت للضياع أو التلف.. وفي العهد الروماني أيضا كان كثير من الأمازيغ مولعين بالتأليف والمحاورات الفكرية؛ وإذا لم يصل إلينا حتى الآن ما يفيد أهم كتبوا عن أوضاعهم وأوضاع

---

[3] **وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 39.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شعبهم فلا يعني ذلك أنهم لم يكتبوا تماما؛ خاصة إذا علمنا أن كثيرا من إنتاجهم يكون قد ضاع..

ومع هذا فما ذكرناه — من قبل — لا يجعل الأمازيغ بكاملهم — كما قال الوزان — تغلبت عليهم البداوة، واستحكم فيهم الجهل؛ فلم يكتبوا كتبا يشرحوا فيها حالهم وأصولهم.. فأما تعميم الجهالة عليهم؛ فغير صحيح، وأما كتابة الكتب فقد كتبوا عشرات المجلدات في العهد الروماني؛ وربما في العهد الفينيقي. ولكن ما عثر عليه حتى الآن — حقيقة — لا يفي بالحاجة المطلوبة.. كما تميز الأمازيغ في العهد الإسلامي بالثراء الفكري، وغزارة الإنتاج العلمي المكتوب في ميادين عديدة كـ: العلوم الدينية، والفلسفة واللغة والآداب، والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والفلك؛ وغيره من العلوم الدينية والدنيوية. ولم يصلوا — في أي عصر كان — إلى ما وصلوا إليه في العصر الإسلامي؛ من رقي وسمو في العطاء الأدبي والفلسفي والفني، وفي العلوم كافة؛ بحيث ملئوا الأندلس بإبداعاتهم، وأضاءوا المشرق بآدابهم، وفنونهم، ومبتكراتهم.. وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل لاحقا..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما رأي الحسن الوزان بخصوص الأبجدية المستعملة في كتابة اللغة الأمازيغية؛ فهو يقول أن المؤرخين العرب كانوا يعتقدون بعدم وجود كتابة خاصة بالأمازيغية؛ وهم يرون أنها كانت تكتب بالحروف الفينيقية واللاتينية؛ لأن العرب عندما فتحوا إفريقية لم يجدوا سوى اللاتينية. ثم يقول: ((**هم** [أي العرب] **يعترفون بأن للأفارقة لغتهم الخاصة؛ ولكنهم يلاحظون أنهم يستعملون عادة في كتابتها الحروف اللاتينية... وفي الوقت الذي كان حكم إفريقية بيد المبتدعة** [يقصد الفاطميين] **الفارين من خلفاء بغداد؛ أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم... ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم؛ لكنهم افتقدوا هذه الكتابة؛ من جراء احتلال الرومان لبلاد البربر... ذلك أن بلاد البربر كلها؛ سواء منها مدن الساحل أو مدن الداخل ــ أعني المدن المشيدة قديما ــ لا تحتوي على أية كتابة في الأضرحة أو في جدران أي بناء إلا وهي بالحروف اللاتينية دون استثناء. ولا أظن أن الأفارقة استعملوا هذه الحروف، واتخذوها**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكتابة لغتهم الخاصة؛ إذ لا شك أن الرومان لما انتزعوا هذه الأماكن من أيدي أعدائهم؛ محوا ــ حسب عادة المنتصرين ــ جميع النقوش الحاملة لآثار المغلوبين بخطهم الأصلي قصد إذلالهم؛ وجعلوا عوضها كتابتهم الرومانية))[1].

جـ ــ التسامح المطلق:

أما موقف الفاتحين العرب فكان متسامحا في هذا الجانب؛ ولم تكن اللغة الأمازيغية في العصور التي سبقت العهد العثماني مضطهدة، أو مكبوحة؛ لأن الحكومات والدول التي تعاقبت في حكم ديار المغرب كلها؛ كانت جميعها أمازيغية الأصل.. فمنذ سقوط الدولة الأغلبية لم تقم في بلاد المغرب سوى دول من قبائل أمازيغية؛ وحتى قبل سقوط الأغالبة؛ فقد كانت في بلاد المغرب دول أمازيغية قائمة مثل: الدولة الرستمية بتيهارت، والدولة المدرارية بسجلماسة؛ وحتى الدولتين: الإدريسية بفاس، والفاطمية بإفريقية؛ فقد كانتا ــ في حقيقتهما ــ أمازيغية التكوين والمنبت.. وفي هذه الدول كانت الأمازيغية مستعملة في حدود قدراتها

[1] وصف إفريقيا، ج: 1، ص ص: 69 ــ 70.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعبيرية.. وخلال وجود الدولة الرستمية سجلت بها بعض الكتب الدينية؛ أضف إلى ذلك ما أنجزه ابن تومرت من رسائل في الدين؛ منها: ((التوحيد)) و ((المرشدة)) و((العقيدة))؛ إذ كان ابن تومرت يعمل على تسهيل وصول توجيهاته الدينية إلى عامة السكان؛ لذا فقد حرص على كتابة بعض كتبه الدينية باللغة الأمازيغية؛ التي كتبت بالحروف العربية. ولكنه تجنب ترجمة أصول الدين الإسلامي إلى الأمازيغية (القرآن والحديث).

ولم يحدث – في يوم ما قبل الغزو الفرنسي – أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعترض عليها من طرف أي كان من الناس؛ وإنما كان قصورها، ومحدوديتها التعبيرية هي أساس مشكلتها، والسبب في اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية.. وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية أيضا اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل: رينيه باسيت René Basset وستيفان قزيل Gsell (Steph.) وغوتييه Emile-Félix Gautier وويليم مارسي William Marçais؛ وآخرون.. وكانت دوافعهم في هذه الأبحاث مختلفة: منها ما هو في سبيل العلم والمعرفة، ومنها ما كان لأغراض مشبوهة.؛ تخدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعمارهم.. ومع هذا فلم تخرج أبحاثهم عن التعرف على هذه اللغة كعينة أنثروبولوجية؛ لذا فقد بقيت اللغة الأمازيغية محصورة ضمن مناطق معينة، ولم تحض بعناية جادة لترقيتها، ولا لتدريسها في المدارس أيام الاحتلال؛ مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. ولما استقلت الجزائر أصبح الأمر مختلفا بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سارعوا إلى تشجيع بعض الموجات المشبوهة؛ مما سمح لبعض المندسين والمغرضين من انتهاز الفرصة المواتية لهم؛ لكي يملئوا ذلك الميدان المهمل؛ بغرض ضرب استقرار البلاد؛ منطلقين من خلف البحار طبعا؛ موهمين الناس بأن ثمة مشكلة لغوية بالجزائر.. والغريب أنهم يصرون على معادات اللغة العربية؛ وتحميلها ما لحق باللغة الأمازيغية من تخلف؛ في الوقت الذي تقف فيه العربية في خندق دفاعي واحد مع الأمازيغية ضد هيمنة الفرنسية.. وبالمقابل يمجد هؤلاء المغرر بهم اللغة الفرنسية؛ ويدافعون عنها دفاعا مستميتا؛ يفوق دفاعهم عن الأمازيغية نفسها.. أو حتى دفاع الفرنسيين عن لغتهم.. وعليه يستبعد أن يخدم هذا السلوك مصلحة الجزائر..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3)ـ الفـن الأمازيـغي:

يمكـن حصـر أقـدم النمـاذج الفنيـة للإنسـان المغـربي القديـم فيمـا كـان ينجـزه مـن نقـوش ورسومـات عـلى الصخـور، وفي بعـض الأدوات الضروريـة الـتي يصنعهـا كـ: الحـلي والأواني. وقـد يكـون ذلـك الإنسـان ينجـز نقوشـه ورسوماتـه بغـرض مصلـحي؛ وليـس لغـرض المتعـة، أو لدوافـع فنيـة بحتـة. كمـا أن اكتشـاف مجموعـة مـن المقابـر؛ ذات الشكـل الهـرمي، والمخـروطي يفـضي إلى تشكيـل تصـور متقـدم؛ لمـا وصـل إليـه ذلـك الإنسـان القديـم مـن تطـور في فـن العمـران. هـذا بالإضافـة إلى نشاطـات فنيـة أخـرى كالموسيـقى والغنـاء والرقـص والتمثيـل..

أ ـ لغـة النقـوش والرسـوم:

تعتبـر النقـوش المنحوتـة عـلى الصخـور في بـلاد المغـرب بمثابـة السجـل المفتـوح؛ يسمـح للمهتميـن بقـراءة تاريـخ هـذه البـلاد ـ منـذ حقـب زمنيـة قديمـة جـدا ـ لـم يكـن الإنسـان فيهـا قـد توصـل إلى اكتشـاف الكتابـة بعـد.. لـذا فقـد حـاول الإنسـان المغـربي أن يسجـل تاريخـه ومعتقداتـه بوسيلـة تعبيريـة مبتكـرة؛ وتتمثـل في لغـة الخطـوط الهندسيـة، وألـوان الطبيعـة المحيطـة بـه؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتفنن وأبدع أيما إبداع.. وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا؛ حتى سخر الله له أفواجا من العلماء والباحثين الأوروبيين؛ فنفضوا عنه غبار الزمن المتراكم عبر العصور الطويلة.. إذ انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ بمبادرة من جورج بارتليمي فلامون J. B. Flamand؛ الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة؛ عبر مناطق عديدة من شمال إفريقيا. ويبدو أن إنجازات هذا الجيولوجي العلمية اختلطت بالأعمال العسكرية الاستعمارية؛ إذ شارك في احتلال عين صالح ضمن الحملة الفرنسية عليها سنة 1899م.. وقد صدر كتابه ((الحجارة المكتوبة)) Les pierres écrites؛ بعد عامين من وفاته؛ أي في سنة 1921م؛ ومنذ هذا التاريخ أخذت أعداد الباحثين تتضاعف؛ جريا وراء ما تقوله النقوش، وما تخفيه من أسرار ضمن سطورها وأشكالها.. وقد تضاعفت قائمة الباحثين الأوروبيين في هذا الميدان؛ بحيث لا يتسع المجال لشرح إنجازاتهم كلها. فمن أولئك الباحثين من اعتنى بما في الصحراء، وتخومها الشمالية مثل: إيميل فليكس غوتييه E. F. Gautier،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهـــ. بـــروي H. Breuil، وم. ريغـــاس M. Reygasse ، وت. مونـــورد. Th. Monod. ثـــم الذيـــن ركـــزوا أعمالهـــم عـــلى ليبيـــا مثـــل: ب. قرازيـــوزي، P. Graziosi، ول. فروبنيـــوس L. Frobenius. ثـــم مـــن المهتميـــن بالمناطـــق المعروفـــة ببـــلاد البربـــر الشرقيـــة وتونـــس: م. سولينيـــاك M. Solignac، وآرمبـــورغ Arambourg، والدكتـــور غوبيـــر Dr. Gobert. أمـــا النـــواحي الوهرانيـــة، وشمالهـــا وجنوبهـــا فـــ: ر. فوفـــري R. Vaufrey، وبـــالاري Pallary[1]. وأخيـــرا هنـــري لـــوت Henri Lhote في أعمالـــه القيمـــة بـــ: التاسيـــلي والهقـــار والجنـــوب الوهـــراني[2].

وقـــد لوحـــظ تقـــارب شديـــد بيـــن مـــا عثـــر عليـــه في المناطـــق الصحراويـــة المختلفـــة ومـــا تـــم اكتشافـــه في المناطـــق الجنوبيـــة مـــن وهـــران.. الأمـــر الـــذي يـــدل عـــلى سيـــادة حضـــارة واحـــدة في تلـــك الربـــوع كلهـــا؛ وأغلـــب الباحثيـــن يعـــودون بأقـــدم النقـــوش المنحوتـــة عـــلى الصخـــور ــــ في بـــلاد المغـــرب كلهـــا ــــ إلى الحضـــارة الـــتي ميـــزت العصـــر الحجـــري المتأخـــر Epipaléothique، والعصـــر الحجـــري الحديـــث Néolithique. وثمـــة مـــن صنـــف وحـــدد النقـــوش

---

[1] تاريـــخ إفريقيـــا الشماليـــة، ج: 1، ص: 58. مدنيـــة المغـــرب العـــربي في التاريـــخ، ص ص: 38 ــــ 41.

[2] أنظـــر كتابيـــه: A La découverte des fresques du Tassili, et Vers D'Autres Tassilis.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنتشرة في هضبة التاسيلي ـ زمنيا بشكل نسبي ـ حسب النشاطات المعيشية التي كان يحياها أولئك السكان القدماء؛ مثل[1]:

ـ عصر **الصيادين** الذي ساد من 5000 ق.م. إلى 3500 ق.م.

ـ وعصر **الرعاة** الذي ساد من 3500 ق.م. إلى 1000 ق.م.

ـ وعصر **الحصان** الذي ساد في الألف الأخيرة قبل الميلاد.

ـ وعصر **الجمال** الذي ظهرت بوادره خلال المائة سنة التي سبقت التاريخ الميلادي؛ وبالتحديد في سنة 46 ق.م. خلال معركة تابسوس (رأس الديماس)؛ التي دارت بين يوليوس (قيصر روما) والملك الأمازيغي يوبا الأول؛ الذي تحالف مع خصم سيزار اللدود بومبي (بمبايوس). على أن باحثين آخرين صنفوا تلك الفترات الزمنية إلى أقسام أخرى؛ منها ما وصل إلى خمسة أصناف؛ ودلالتهم على ذلك ما كان يغلب على الصور والنقوش من حيوانات..

---

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: **41** ـ **65**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ عصـــر الصياديـــن:

يسميـــه باحثـــون آخـــرون: فتـــرة الـــرؤوس المستديـــرة؛ لأن صـــور رؤوس الإنســـان فيهـــا تظهـــر في شكـــل مستديـــر. وعصـــر الصياديـــن هـــذا تميـــزه رســـوم ونقـــوش حيوانـــات مثـــل: الفيـــل، والزرافـــة، ووحيـــد القـــرن، والنعامـــة، والوعـــل، وجامـــوس النهـــر، والتمســـاح، والسمـــك؛ والأرويـــة خاصـــة. وممـــا يميـــز هـــذه الفتـــرة ويمنحهـــا وضوحـــا أكثـــر؛ أن الحيوانـــات المذكـــورة كانـــت ترســـم منفـــردة؛ وليســـت في شكـــل قطعـــان. كمـــا كانـــت تلـــك الحيوانـــات في الغالـــب ترســـم بحجمهـــا الطبيـــعي. وأسلـــوب التصويـــر يميـــل إلى الطبعيـــة. وفي حـــال النحـــت تكـــون الخطـــوط عميقـــة وتأخـــذ الشكـــل اللاتيـــني (V)؛ مـــع ميـــل إلى الدكنـــة والقتامـــة. وقـــد تخيـــل بعضهـــم التقنيـــة الـــتي كـــان يتبعهـــا ذلـــك الفنـــان القديـــم في إنجـــاز نقوشـــه؛ وذلـــك أنـــه كـــان يبـــدأ برســـم الموضـــوع المـــراد نقشـــه؛ أولا بواسطـــة مـــادة تظهـــر مـــا يريـــد رسمـــه؛ ثـــم يشـــرع في حفـــر نقـــاط متتاليـــة فـــوق الخطـــوط المرسومـــة؛ بواسطـــة منقـــاش مـــن عظـــام الحيوانـــات، أو مـــن الصـــوان المدبـــب؛ وبعـــد ذلـــك يكمـــل عملـــه بوصـــل النقـــاط، حـــتى تصبـــح خطـــا متصـــل؛ ثـــم يجتهـــد في صقـــل تلـــك الخطـــوط وتعميقهـــا بأداة حجريـــة صلبـــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحادة.. ومما يلفت النظر ـ في هذه الفترة ـ أن صور الإنسان كانت قليلة جدا؛ وما اكتشف منها حتى الآن تظهر ذلك الإنسان مُلَثَّماً بقناع من جلد الحيوانات؛ بينما تكون أسلحتهم عبارة عن هراوات، وعصي معقوفة. كما يبدو الكلب كرفيق دائم لأولئك الصيادين؛ وعليه فقد يكون هو الحيوان الأليف الوحيد الذي تظهره تلك الفترة.

ـ عصر الرعاة:

أما عصر الرعاة فيسميه آخرون: فترة الجاموس؛ بسبب انتشار صورها بشكل واسع. وعصر الرعاة هذا تضحى فيه الصور أصغر حجما؛ وتبرز النزعة الإطلاقية المظهرية. وهنا تغدو الرسوم متضمنة لعينات جماعية أكثر فساحة؛ وبذلك يتضح التطور الذي ساد؛ بتجاوز الصور الفردية. وفي هذه الفترة ظهرت الخطوط في شكل (U) اللاتينية؛ بعمق أقل حدة وأضعف سوادا. ومن الحيوانات المرسومة في هذه الفترة: وحيد القرن، والنعامة، والغنم البري، والغزال، والخنزير البري، والأسد، وحمار الوحش، وبقر الوحش، والسمك. وهنا بدأت صور جاموس النهر تميل نحو الاختفاء؛ بينما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصبح صورة الثور هي الصورة السائدة والمنتشرة بين رسوم هذا العصر؛ حيث تظهر في شكل قطعان كاملة؛ وإلى جانبها الأغنام والمعز؛ في رعاية الرعاة وحراسة الكلاب. ورسمت جلود تلك الثيران وحوافرها وأذناها بدقة متناهية تبعث على الإعجاب. ومن جهة أخرى تظهر الرسوم تلك الثيران بقرون منوعة؛ منها: المعقوفة نحو الأمام، أو الأسفل؛ بحيث تشبه أنياب الفيل؛ كما تتميز تلك الثيران بالنحافة؛ الأمر الذي يبعث على الاعتقاد بأنها كانت تستعمل لحمل المتاع والأشخاص؛ لما كان عليه رعاتها من ميل إلى الرحلة وانتجاع الكلأ. وكانت أثداء البقر ممتدة إلى الخلف؛ مما يفيد أنها كانت تحلب من خلفها؛ وليس من الجوانب. أما الرعاة فكانت صورهم تظهرهم عراة؛ وأحيانا يكونون مستورين بمآزر؛ وكانوا يظهرون في الرسوم منشغلين بحيواناتهم، أو منهمكين في الأعمال البيتية، أو منهمكين في أداء بعض الطقوس أو منشغلين بالاحتفالات، أو بعض الأعمال الزراعية. أما أسلحتهم فقد أصبحت هي السهام والأقواس. كما تظهرهم بعض الرسوم وهم في وضع القتال؛ وقد اكتشف هنري لوت صورا لبعض المحاربات من النساء؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كـن فيهـا يظهـرن بثـدي واحـد؛ ولا يعـرف إن كـان ذلـك سببـه اختـلاط الأمـر عـلى الرسـام؛ بحيـث لـم يتمكـن مـن التمييـز بيـن الصـورة الجانبيـة والصـورة الكاملـة؛ أو أنـه كـان صادقـا في تصويـره لنسـاء تعمـدن بتـر أحـد ثـدييهـن؛ بهـدف إزالـة العائـق الـذي يمنعهـن عـن استعمـال القـوس بشكـل جيـد عنـد اللـزوم. وثمـة مـن يقسـم هـذا العصـر إلى فتـرة مستقلـة تـأتي قبـل عصـر الحصـان وتسـمى عصـر الماعـز والغنـم؛ لأنهمـا أخـذا يظهـران في منتصـف هـذا عصـر الرعـاة.

ـ عصـر الحصـان:

أمـا العصـر الـذي نسـب إلى الحصـان؛ فسـمي بذلـك نتيجـة لكثـرة صـور هـذا الحيـوان في الرسـوم المنحوتـة عـلى الصخـور في تلـك الفتـرة الزمنيـة. وسمـاه بعـض الباحثيـن أيضـا عصـر الدبابـة (العربـة). وبالإضافـة إلى الحصـان تشتمـل رسـوم ذلـك العصـر عـلى صـور: الماعـز، والغـزلان، والنعـام، والزرافـات، والأسـود الصغيـرة، والريـم؛ عـلى أن صـورة الحصـان كانـت تهيمـن عـلى تلـك الرسـوم. وكـان الإنسـان يظهـر فيهـا بأسلحـة جديـدة مثـل: الـدروع، والرمـاح. كمـا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخــذت صــور الرجــال والحيوانــات تبــدو في شكــل هنــدسي. وكــان الحصــان يبــرز مــن خــلال العربــات الــتي يجرهــا. فلتلــك العربــات عجلتــان أو أربــع؛ ويجرهــا جــوادان أو أربعــة جيــاد وكانــت تظهــر باستمــرار وهي في حــال طــراد. وتعلــو تلــك العربــات مظــلات تغــطي السائــق الواقــف عــلى منصتهــا وبيــده زمــام الخيــل.

ـ عصــر الجمــل:

أمــا عصــر الجمــل ـ الجمــل ذي السنــام الواحــد طبعــا ـ فيظهــر فيهــا هــذا الحيــوان مــن خــلال رســوم أقــل جــودة وإتقــان فــني؛ ممــا عــرف في الفتــرات السابقــة كــ: عصــر الصياديــن، وعصــر الرعــاة. ويســمى هــذا العصــر أيضــا بفتــرة التيفينــاغ؛ بسبــب وجــود هــذه الكتابــة منقوشــة عــلى الصخــور؛ إلى جانــب الصــور المنقوشــة والمرسومــة. ويبــدو أن هــذا العصــر استمــر طويــلا؛ بحيــث يمكــن دمــج الفتــرة الإسلاميــة ضمنــه؛ لأن بعــض النقــوش أخــذت تظهــر الحــروف العربيــة إلى جانــب حــروف التيفينــاغ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ متحف الشمس والهواء:

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة تاسيلي كثيرا من العلماء والفانين؛ واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق؛ أضخم وأعظم متحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر يقول: ((**تذكرت معرض لوت** [هنري] **في باريس؛ فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني. وقد اكتشف ميدان جديد؛ يدهش عشاق الفن، ويدور برؤوسهم؛ وهو مع ذلك ليس بالميدان المجهول كلية. ووافقني موسو** [رينيه] **على رأيي وقال: "طالما أن عشاق الفن هؤلاء لا يهتمون إلا بالشكل واللون. أما الأخصائي فيستثيره هذا الاكتشاف بالطبع؛ ولكنه لا يشعر بالسعادة الفكرية. فهو يواجه عددا من المشاكل الجديدة التي لا يستطيع حلها والأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها. فهو أشبه ما يكون بمحاسب يريد أن يصفي حساباته وأن يستخلص نتائجها؛ ولكنه يواجه كل لحظة بندا جديدا من الحساب؛ لم يكن لاحظه في البداية... فقد أضاف لوت**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هنري] نفسه مادة جديدة؛ عندما قام بأول جرد منظم للصور الصخرية في وادي جرات [جراد] في عام 1959م. وقد نقل فريقه أربعة آلاف صورة من مجموع هذه الصور؛ مستخدمين طريقة جديدة استعملوا فيها المطاط السائل. وكان بين هذه الصور؛ أعظم النقوش التي سبقت التاريخ، والتي عرفت حتى الآن؛ تصور زرافات ارتفاعها أكثر من عشرين قدما، وحيوانات وحيد القرن التي يبلغ طولها 25 قدما، والفيلة التي ترتفع خمسة عشر قدما عن الأرض. ولكن بالإضافة إلى اكتشافات لوت؛ فلا يكاد يمضي شهر واحد على الصحراء؛ منذ أن استيقظت من نومها الطويل؛ إلا وتظهر اكتشافات جديدة يزاح فيها الستار عن صور صخرية جديدة. وقد تم اكتشاف نحو من عشرين ألف صورة في السنوات القليلة على الجدران الصخرية في الصحراء. وأعتقد أن هذا الرقم هو – على كل حال – أقل من الحقيقة"... ويسرد متحف صور الصحراء قصة الحركة، والحضارات المتعاقبة، والأجناس، والشعوب، والقبائل، والعشائر التي أتت معها إلى الصحراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بفنهـا؛ أو ورثـت عـن أسلافهـا تقاليـد فنيـة كانـت قائمـة ثـم حملـت رسالتهـا. ولكـن مـاذا تمثـل هـذه الأساليـب الفنيـة المختلفـة؟ وهـل يكـون كـل أسلـوب منهـا تعبيـرا عـن فنـان فـرد، أو عـن مدرسـة، أو عشيـرة؟ وهـل تطـورت هـذه الأساليـب في وقـت متزامـن وبصـورة مستقلـة أو في تسلسـل تاريـخي؟ وهـل في الإمكـان تتبـع آثـار أي نظـام متسلسـل تاريخيـا؛ سـواء بصـورة نسبيـة أو مطلقـة؟ وأيـة حضـارات أو أجنـاس أو شعـوب أو قبائـل أو عشائـر لهـا علاقـة بهـذه الأساليـب؟ وهـل كـان سكـان الصحـراء مـن السـود أو السمـر أو الحمـر أو البيـض؟ كانـت هـذه الأسئلـة الـتي نوجههـا إلى بعضنـا البعـض. أمـا القائمـة الحقيقيـة فأطـول مـن هـذه بكثيـر))[1].

ب ــ الأثـاث والحـلي:

النمـوذج الثـاني ــ مـن الإنجـازات الفنيـة ــ هـي الحـلي الـتي كـان يتحـلى بهـا ذلـك الإنسـان المغـربي القديـم، ثـم المتـاع والأثـاث الـذي كـان يستعملـه في أداء أغراضـه الحياتيـة. والسبـب في

---

[1] الصحـراء الكبـرى، ص ص: 42 ــ 44.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصنيف ما ذكر بين النماذج الفنية هو تلك العناية التي كان يخص بها حليه ومتاعه؛ بحيث يتفنن في تصميم أشكالها، ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف؛ قصد إضفاء شيء من الجمالية عليها. هذا وقد كان ذلك الإنسان المغربي القديم ـ في الحقيقة ـ ينظر إلى ما ينجزه من فنون؛ على أنه عمل عادي تقتضيه الحياة؛ وليس ترفيها، ولا متعة تخص نخبة معينة. أما الحلي ـ فكما هو معروف لدى المختصين ـ فهي مستمدة من أصول قديمة؛ لها علاقة وطيدة بالسحر.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي: أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام؛ بالإضافة إلى المَغـرَة التي يلون بها رسوماته، ويضفي عليها ـ بواسطتها ـ جمالا ورونقا. أما الإنجازات الفنية فينجزها على: بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة بالمعادن الحديدية والنحاسية، والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصور المتأخرة..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان المغربي القديم يستمد مواضيعه الفنية من الطبيعة المحيطة به؛ وتغلب على أعماله الأشكال الهندسية؛ تلك الأشكال المميزة للفن الأمازيغي حتى الآن. ويبدو أنه كان يتجنب رسم الخطوط المنحنية بقدر الإمكان؛ وإن اضطر إليها فقد لا يبدع فيها. وقد أظهرت الأبحاث بأن المرأة لها اهتمامات فنية أكثر مما هو عليه الرجل؛ إذ كانت ــ في معظم الأحيان ــ هي التي تقوم بزخرفة الأواني الخزفية، وما لديها من متاع كالأفرشة مثلا. وجملة القول فالفن الأمازيغي حافظت عليه المرأة؛ وظل هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا.. وهو ما تظهره الشواهد بالأوراس، وبلاد القبائل، والهقار، والتاسيلي.. وغيره من المناطق الجزائرية، والمغربية المتعددة..

هذا؛ ولابد ــ هنا ــ من الإشارة إلى أن الفن الأمازيغي ــ بنماذجه كلها ــ قد تطورت أغراضه، ومواضيعه، وتقنياته؛ عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق؛ إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى؛ جلبها معهم المحتلون لبلاد المغرب؛ من إغريق، وفينيقيين، ورومان، فعرب، وأسبان، وإفرنج إلخ.. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاختلاط أبنائه بشعوب أخرى كذلك عن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية؛ مثل الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها؛ وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحي الفن الأمازيغي مطعما بالتراث الإنساني؛ الذي أبدعته ثقافات متنوعة؛ كانت معروفة منذ حقب قديمة جدا..

جـ ـ الفن المعماري:

ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم؛ هي تلك المصاطب أو القبور الرابضة في بعض المناطق من بلاد المغرب؛ منها ـ على سبيل المثال ـ القبور التي عثر عليها في منطقة الهقار؛ وهي التي أدهشت الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر؛ حيث وصفها بقوله[1]: **((وينتشر فوق مناجم البلاتين عدد كبير من القبور الحجرية ذات أشكال غريبة؛ فبعضها لا يرتفع أكثر من شبر فوق سطح الأرض، وبعضها على شكل اسطوانة قطرها ثلاث ياردات، وبعضها على شكل "حز" برتقالة** [شقها]**، كما أن بعضها**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص: 189.

على شكل زوج من "البوصلات" لكل منهما قدمان؛ طول الواحدة منهما عشرون ياردة، ويمتد بينهما حجر مسطح على طول ثلاثين ياردة من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه "نقرة" غير مفتوحة مثل "خرم" الإبرة. ويعزو الطوارق هذه القبور وما شابهها من القبور المماثلة في الصحراء الوسطى إلى مردة [عتاة] **أسطوريين؛ يعتقدون أنهم عاشوا في الصحراء قبلهم. وعلى الرغم من الحفريات التي قام بها غوتييه ومولود؛ إلا أن الخبراء ما زالوا حائرين أمام هذه التماثيل؛ فالقبور تمثل أضرحة تعود إلى ما قبل الإسلام، وتشير إلى نظام متطور في اللحد والدفن. والأكثر من هذا أننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الناس. فقد حافظت القبور على سرها)).**

وحسبما يظهر فقد طرأ تطور تدريجي على تلك القبور البدائية؛ بحيث أضحت تشيد في أشكال هندسية ملفتة للنظر. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرام صغيرة. وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كليوباترة سيلينه (ومعناها القمر) بولاية تيبازة هو الشكل الأكثر تطورا بين مجموعة الأهرام المخروطية المنتشرة في بلاد المغرب كلها؛ هذا بالإضافة إلى مدراسن القريب من باتنة، وجدار الرابض غرب تيارت. وثمة من يرى من الباحثين أن أهرامات مصر مستمدة في أصولها من بعض هذه النماذج اللوبية..

ولابد هنا من إثبات ما قاله ــ أيضا ــ الباحث السويسري جورج غيرستر عن هياكل أخرى شيدت قديما في منطقة الهقار؛ حيث قال: **((وتقف ثلاثة أبنية كاكواخ الأسكيمو "أغلو" فوق التل في المنطقة. إنها مبنية من الحجارة المنحوتة، وقد وثقت بعضها بالطين؛ وتشبه إلى حد كبير ــ عند الفحص ــ خلايا النحل. وأحد هذه الأبنية خال، أما الآخران فمغلقان. إنها تبدو كمخازن الذرة؛ التي بنتها ــ في الظاهر ــ إحدى القوافل المسافرة من السودان نحو الشمال))**[1].

أما بخصوص الفنيات التي تميزت بها مساكن المغاربة القدماء؛ فيمكن استنتاج ذلك من خلال تتبع التطور الذي عرفته تلك

---

[1] الصحراء الكبرى، ص: 189.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدور؛ من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي. فمن الكهوف والأكواخ (ماقاليا) أخذ ذلك الإنسان القديم يتطلع إلى التفنن في مسكنه. غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة؛ إذ كانت سهلة للتفكيك والنقل.. أما الذين اختاروا الاستقرار منهم فقد تفننوا في مساكنهم؛ التي كانت في البداية عبارة عن كهوف زينت ببعض النقوش؛ ثم أضحت أكوخا مبنية بالطين والحجر. وغالبا ما يتم اختيار الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج؛ التي تخصص لحفظ الذخائر ضد السلب والنهب. ومع مرور الوقت أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع؛ حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة؛ ويترك وسط الدار معرضا للهواء الطلق. وقد غدت دور الأمازيغ بعد مدة تميل إلى الجمال، وتوفير الراحة لسكانها؛ وذلك نتيجة لاحتكاكهم بعناصر طارئة من حضارات عديدة؛ جاورتهم واختلطت بهم؛ فكان التأثير واضحا جليا؛ وهو ما يمكن تتبعه في هذه الأيام؛ من إنجازات الكيانات، والدول الأمازيغية المختلفة..

وكما استفاد أبناء هذه البلاد من فنون أمم وحضارات عديدة؛ فقد استفادت أمم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخـرى ــ أيضـا ــ مـن الفـن المغـربي؛ منـذ حقـب ضاربـة في أعمـاق التاريـخ. ويعـزز هـذا الـرأي النـص الـذي ورد في المختصـر الكبيـر لموسوعـة لاروس؛ وترجمتـه هي: **((مهمـا بلـغ نمـو الرجـل النياندرتـالي** [الموجـود بأوروبـا] **فهـو لـم يعـد يظهـر في آخـر الطـور الموستيـري إلا في شكـل إنسـان متأخـر؛ وإن هجـوم رجـال جـدد؛ قادميـن مـن إفريقيـة؛ عـن طريـق إيطاليـا وأسبانيـا؛ هـو الـذي سيبـث عقليـة مغايـرة؛ تنبـني عليهـا وتنجـر عنهـا نشـأة الفنـون))**[1].

د ــ *الموسيـقى والغنـاء والتمثيـل:*

تملكتـني حيـرة؛ مبعثهـا مـا جـاء في كتـاب ورقـات لحسـن حسـني عبـد الوهـاب؛ فيمـا يتعلـق بالفنـون الجميلـة والموسيـقى ــ عـلى الخصـوص ــ لـدى الأمازيـغ؛ إذ ينـفي هـذا الباحـث وجـود فنـون جميلـة أو موسيـقي لديهـم.. وهـذا هـو قولـه بالضبـط: **((مهمـا تتبـع الباحـث رسـوم الحضـارة، والمجتمـع البربـري؛ الـذي يقطـن شمـال إفريقيـة ــ مـن قديـم الزمـان ــ فإنـه لا يجـد للفنـون**

---

[1] Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنيـة المغـرب العـربي، ص ص: 42 ــ 43.

الجميلة – ومنها الموسيقى – أدنى أثر يذكر؛ وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من ناحية الجنوب – الصحراء الكبرى والسودان – فالقبائل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت تصوت بألحان أقرب ما تكون إلى إيقاع السودانيين... ويمكن الاستدلال على بساطة الموسيقى – لأي شعب كان – بآلات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي (الشبابة) يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو نوع من الرباب ذي وترين لا غير (القمبري)؛ وهو عين ما يوجد عند الزنوج البدائيين. وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها، التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل (زواوة) – كتامة قديما – وبلاد (الريف) وأهل جبال المغرب من (السوس) الأدنى والأقصى؛ فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز بعض مقامات السلم؛ شبيه ما يشاهد عند السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعا بين السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد، ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة حتى بلغت قرارات البربر))[1].

لقد اندهشت ــ حقا ــ من أقوال هذا الباحث المعروف بالتدقيق والتحقيق. ومما زاد اندهاشي؛ ذلك المزج والخلط بين حقب مختلفة؛ فهو يخلط بين فترة ما قبل التاريخ وبعده. وكان من الأفضل أن يخصص فقرة للحديث عن الموسيقى في ذلك الزمن ــ إن وجدت طبعا من خلال النقوش المكتشفة ــ ثم ينتقل إلى زمن القرطاجيين، ثم العصر الروماني؛ وبعد ذلك يدخل في موضوع الموسيقى في العهد العربي الإسلامي. ولكنه أشار بشكل خاطف لخلو النقوش من أي إشارة للموسيقى؛ ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن العهد العربي. مع أن العصر الروماني لا يخلو من عينات،

---

[1] **ورقات، ق: 2، ص ص: 171 ــ 172.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونماذج تؤكد اهتمام فئة من الأمازيغ بالموسيقى؛ في شكلها المتطور..

والجميع يعلم المجهودات الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون ــ بشتى أنواعها ــ في بلاده؛ مثل الموسيقى التي أنشأ ــ لتدريسها ونشرها ــ معهداً خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدريسه في شرشال كذلك. هذا بالإضافة إلى معهد النحت الذي أسسه في عاصمته شرشال. ولم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم.. وهذا ما حدث في شعوب أخرى؛ فليس أفراد تلك الشعوب بكاملهم فنانين.. وعليه فمجرد وجود تيار فـي معين ــ حتى وإن كان خفيفا ــ فذلك يعني حصول النشاط وتوفره. ولكي يتسنى دراسة هذا الميدان بشكل معمق ودقيق؛ يستحسن دراسة، وتمحص الفترتين: الفينيقية والرومانية؛ فلعلهما يمنحاننا معلومات أوسع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأشمل.. وقد مرّ معنا ما قاله المحامي والأديب الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة))**[1]. إذن فالشبابة التي استهان بها حسن حسني عبد الوهاب كانت من الآلات المحببة لذلك الأديب الفيلسوف؛ الذي جال في مصر، وبلاد الإغريق، وبلاد الرومان؛ وسمع ما فيها من آلات متطورة، كما سمع وتعرف على نماذج عديدة من الفنون الموسيقية؛ ولكنه مع ذلك ظل محبا لآلة الشبابة؛ لأنها من تراثه، وقادرة على أداء ما تفيض به نفسه من أغراض..

أما القول بالتأثيرات الزنجية؛ فلا يعني ذلك خلو البلاد من الفنون الموسيقية بالتمام؛ خاصة إذا علمنا أن التأثيرات الزنجية قد تعود بداياتها إلى آلاف السنين.. وهذه التأثيرات هي إحدى سنن الكون؛ فالشعوب كلها تتأثر وتقتبس من غيرها؛ وبذلك تتبادل الإنسانية الخبرات والتجارب، وهكذا تمتزج الثقافات،

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 252.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتلقح الحضارات بعضها بعضا؛ ومن هنا يأتي التنوع والثراء.. وقد مر أيضا ما جاء في موسوعة لاروس التي تنص على التأثيرات الفنية لبلاد المغرب على أوروبا في الحقب الحجرية: **((وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقية؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيبث عقلية مغايرة؛ تنبني عليها وتنجر عنها نشأة الفن)).** ((une invasion d'hommes nouveaux venant d'Afrique, par L'Italie et L'Espagne, répandra une mentalité différente, provoquant la naissance de l'art.))[1] . إذن فالتأثير متبادل، والتأثير قديم ــ أيضا ــ قدم الإنسانية نفسها.. فما العيب في ذلك..؟

4)ــ النظام القبلي:

تدرج المجتمع المغربي القديم ــ منذ عصور قديمة جدا ــ في تنظيم حياة أبنائه، وتطويرها بالانتقال من شكل الأسرة الأغنية (العائلة)؛ إلى صورة أوسع؛ وذلك عندما تكاثر أفراد النموذج المذكور من الأسرة. وبمرور الزمن أصبحت تلك الأسر تشكل ما صار يعرف الآن بالعشيرة، أو القبيلة.. وكغيرهم من المجتمعات

---

[1] Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنية المغرب العربي، ص ص: 42 ــ 43.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القديمة اضطرهم الحياة القاسية للانسياق وراء هذا النهج الاجتماعي؛ الذي فرضته الطبيعة والمعروف بالقبلية أو القبيلية.. فالمشهور عن المجتمع الأمازيغي أنه كان مؤلفا من قبائل لا تحصى؛ مقسمة بدورها إلى أجزاء أصغر؛ يمكن أن تكون بمثابة بطون وأفخاذ وعشائر؛ كما كان عليه التقسيم القبلي عند العرب.. وقد تشكلت تلك القبائل من الأسر (العائلات المتطورة، ومن مجموعات أخرى؛ تكون قد انضمت إليها بواسطة الحلف والجوار. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الحروب قد اضطرهم إلى التكتل ضمن أحلاف أوسع من مستوى القبيلة؛ فتضحى في شكل جمهرات كبرى؛ ينتج عنها كيانات قد تقوم مقام الدول؛ مثل الأحلاف التي شكلت كيانات في المناطق الشمالية من بلاد المغرب؛ وهي: موريطانيا، ومازيسولة، وماسولة.. وللاستدلال على هذا ــ من خلال النصوص القديمة التي وردت عن الإغريقيين والرومانيين ــ يمكن تلخيص ما تمت معرفته عن القبائل المغربية قديما بسرد أسماء بعض منها مثل: **ماسايسيلي** Masaseli، **وباينوراي** Banivrae، **وأوتولولي** Autoles، **وكاناري** Canarii، **والجيتول** Gaetulia، **والقارمونت**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(كارمانـــتي) Garamantes، **وأيثيوبيــا** Aethiopia، **وماسيـــلي** Massili، **وفـــزاني** Phazonii، **وماكـــاي** Macae، **وناسامـــوني** Nasamones، **ومارمايـــداي** Marmaridae، **وماريوتـــاي** Mareotae، **ولواتـــه** Louatah[1].

وطبعـــا ليســـت هـــذه كـــل مـــا في ديـــار المغـــرب مـــن قبائـــل.. فقـــد كتـــب هيرودوتـــس واصفـــا بـــلاد المغـــرب الجنوبيـــة بقولـــه: **((فهنـــاك في الداخـــل؛ صحـــراء ليبيـــا؛ وعـــلى أرض هـــذه القفـــار؛ تقـــوم مساحـــات واسعـــة مـــن الرمـــال تمتـــد مـــن طيبـــة في مصـــر إلى أعمـــدة هرقـــل... ويعيـــش العمونيـــون عـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام مـــن طيبـــة؛ وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى منهـــا إلى الغـــرب؛ تقـــع العقيلـــة؛ وهي واحـــة يـــزرع فيهـــا أهـــل نسامـــون أشجـــار النخيـــل... وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى مـــن العقيلـــة؛ جبـــل رمـــلي آخـــر؛ فوقـــه ينبـــوع وواحـــة مـــن أشجـــار النخيـــل كغيرهـــا مـــن الواحـــات. وفي هـــذه المنطقـــة يعيـــش شعـــب قـــوي وعظيـــم يـــدعى القارمونـــت. وهـــذا الشعـــب يغـــطي الأرض بالملـــح ثـــم يـــزرع القمـــح..؟؟! وهنـــا تعيـــش أيضـــا الثيـــران الـــتي تـــرعى الكـــلأ وهي تسيـــر إلى الـــوراء للسبـــب التـــالي: فقرونهـــا ملويـــة إلى الأمـــام؛**

---

[1] عروبـــة البربـــر، ص ص: 178 ـــ 179.

ولذا فهي تضطر إلى المسير إلى الخلف عندما ترعى الكلأ... ويطارد هؤلاء القرامونت الأحباش ــ الذين يعيشون في الكهوف ــ بعربات تجرها جياد أربع. ويعتبر هؤلاء الأحباش الذين يعيشون في الكهوف أسرع الناس عدوا. لكن ساكني الكهوف يأكلون الأفاعي والسحالي وغيرها من الحيوانات الزاحفة. ولا تشبه اللغة التي يتحدثون بها لغة أي شعب آخر؛ فهم يهذرون مثل الوطواط))[2].

فإذا ما دقق الباحث فيما ورد ضمن المصادر الإغريقية والرومانية سيتضح له أن أولئك الأحباش أو الإثيوبيين؛ كما تسميهم تلك المصادر (ومعنى الكلمة بالإغريقية: الرجال الذين أحرقتهم الشمس)؛ ليسوا من الزنوج؛ فهم بلون بني؛ وتقاطيع وجوههم تختلف عن التقاطيع الزنجية.. وربما كانوا منتشرين في كامل الصحراء؛ ومنهم حسبما يبدو الشعوب التي عرفت بـ: **البافور، والتيبوس**[1]. أما شعب القارمونت فهو من الجنس الأبيض؛ وقد كان

---

[2] الصحراء الكبرى، ص ص: 49 ــ 50.

[1] نفسه، ص ص: 52 ــ 54.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محط اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين؛ بدءا بهيرودوتس.. غير أن غموضا كثيفا بقي يكتنف أصوله؛ إذ لا يعرف المختصون ــ حتى الآن ــ من أين أتت الأفواج الأولى منه إلى هذه الديار. وإلى أي جهة نزحوا واختفوا فيما بعد.. وثمة من يرى أن لهم علاقة ما مع الشعوب البحرية القادمة من البحر الأسود؛ بينما يرى آخرون أن لهم علاقة ــ وإن مازالت غير واضحة المعالم ــ مع شعب الهكسوس؛ الذي احتل مصر في عام 1700 ق.م.

أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوبا؛ حيث تمركزوا في التاسيلي والهقار؛ وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت هم الطوارق. وهذا الرأي ربما حظي بقدر من الصحة[2]. ويبدو أن هذا الشعب انضم إلى صف القرطاجيين في حروبهم ضد روما؛ إذ كانوا ضمن جيش حنبعل في تلك الحروب؛ وقد كانوا معه في حصاره لروما أيضا. ولما تغلبت روما على قرطاجة؛ بقي القارمونت مصدر إزعاج لها بمناوشاتهم، وغزواتهم المفاجئة.. وعندما تطاردهم جيوش

---

[2] الصحراء الكبرى، ص ص: 51 ــ 55.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روما؛ ينسحبون إلى أعماق الصحراء؛ ويغلقون آبار المياه خلفهم. وبمرور الوقت استطاعت روما ترويضهم وكسبهم إلى صفها؛ إذ غدوا ـ في القرن الأول الميلادي ـ ضمن جيشها المسلط على الصحراء. والراجح أن النواحي التي سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق: فزان والتاسيلي والهقار. ويقال أن نفوذهم امتد غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي، وجنوبا إلى النيجر.

وكما نسبت الفترة الفنية ـ التي تصنف نقوش وصور الصخور ـ إلى الحصان والعربة؛ فإنها كانت تسمى أيضا بفترة القارمونت. مع أن لا شيء يثبت انهم هم الذين زخرفوا ونقشوا تلك الصخور بصور الجياد وعرباتها؛ ذلك أنه ثبت أن جماعات أخرى ـ غير القارمونت ـ كانت تجوب الصحراء المغربية؛ بواسطة عربات تجرها الخيول. ويحاول الباحث جورج غيرستر أن يضع معالم تكشف له الطريق الغامض فيقول[1]: ((**ولكن الدليل قد قام على أن الليبيين الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 54 ـ 55.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام 1229 ق.م. على أربع عشرة عربة فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده. ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال. ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسئولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر. ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو. ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر ــ متوسطية في الصخور الصحراوية القارمونتية كـ : ملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد وهي في حالة غارة)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقبل الانتقال إلى فترة ما بعد الرومان؛ لابد من الإشارة ــ ولو بشيء من الإيجاز؛ بسبب ضحالة المعلومات ــ إلى بعض القبائل التي تردد ذكرها ــ دون أن تتعمق المصادر في الكلام عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية ــ منها: **قبيلة جدالة، وقبيلة المزالمة.** فقبيلة جدالة كانت تحتل السهوب الجنوبية لنوميديا؛ وقد شغلت جيوش الرومان، وأقضت مضاجعهم في ديار المغرب زمنا طويلا. أما قبيلة المزالمة فكانت تجاور المقاطعة القرطاجية الرومانية؛ وبالتحديد بمحاذاة ضفاف وادي ملاق؛ وكانت قد انتفضت ثائرة ضد الحكم الروماني عدة مرات.. هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل التي كانت محاطة بغموض كثيف؛ وكل ما يعرف عنها؛ أنها قامت بثورات ضد الرومان والوندال مثل القبائل التي ثارت في جبال البابور Bavares؛ بين سكيكدة وقسنطينة، ثم التكتل القبلي الذي عرف بالحلف الخماسي Les Quinquégentiens؛ وهو عبارة عن خمس قبائل تحالفت في المنطقة المحصورة بين دلس وبجاية؛ بالإضافة إلى قبيلة أخرى بزعامة **فاركسن**؛ انضمت إليهم؛ قادمة من مرتفعات بلعباس غربا. ثم القبائل الأوراسية التي ثارت في عهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوندال بزعامة **يوضاس**؛ الذي تمكن من الاستيلاء على منطقة واسعة غربي الأوراس بمحاذاة سهل الحضنة. هذا إلى جانب الممالك القبلية التي تشكلت في: بلاد النمامشة، والحضنة بإمرة **أرثاياس**، وآلطاوة Altava؛ المعرفة الآن بحجر الروم؛ شرق تلمسان، وصافار جنوب وهران؛ بقيادة الإغليد **مازونة**، ثم المملكة التي نشأت جنوب شرشال بزعامة **ماستيناس**.

هذا ما أمكن ذكره فيما يخص العصور التي سبقت الفتح الإسلامي. أما الفترة الزمنية التي تدخل ضمنها الأحداث التي حصلت بعد الفتوحات الإسلامية؛ فهي أكثر وضوحا من الفترات الماضية؛ لأن المصادر العربية كانت أكثر عناية بالسكان الأصليين، وأوسع حديثا عن القبائل الأمازيغية. وكان الكتاب العرب يعتمدون في أخبارهم على روايات أمازيغية؛ مصدرها النسابة الأمازيغ أنفسهم.

وإذا اعتمدنا على ما ذكره النسابون عن الأمازيغ، وما نقله المؤرخون العرب عنهم؛ نجد أن القبائل الأمازيغية تنتشر عبر بلاد المغرب كلها؛ بما فيها جزر الكناري (الجزر الخالدات)؛ بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأجزاء الشمالية للبلاد السودانية؛ المعروفة الآن:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالسينيغال ومالي والنيجر والتشاد؛ ثم الجزء الغربي من الصحراء المصرية. وكانوا مهيكلين ضمن قبائل كثيرة؛ لا يمكن معرفة عددها بالتحديد. غير أن النسابة والمؤرخين حصروها ضمن فئتين عظيمتين. قد تصل في كثافتها، وتشعبها إلى مرتبة شعب، أو جذم؛ حسب البناء القبلي المتبع لدى النسابة العرب. وعند مراجعة ما كتبه ابن خلدون يتضح أنه صنف القبائل الأمازيغية إلى صنفين؛ وجعل كل فئة منهما في مرتبة **جذم**؛ وهما:

ــ **جذم البتر**؛ نسبة إلى **مادغيس الأبتر**.

ــ **جذم البرانس**؛ نسبة إلى **برنس**.

وقد اختلف النسابة في أمرهما. فمن قائل: بأنهما ينتميان إلى أب واحد، وقائل بخلاف ذلك. وكل الذي يستحق الذكر ــ هنا ــ هو أن علي بن حزم ــ الذي كان محل تقدير واحترام من طرف ابن خلدون ــ قد سرد آباء، وأجداد مادغيس الأبتر؛ وصمت عن ذكر **آباء برنس**. غير أنه أشار ــ في موضع آخر ــ إلى احتمال عودهما إلى أب واحد؛ هو **بر**؛ إذ قال: ((**فولد بر: مادغس**،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبرنس...))[1]. أما ابن خلدون نفسه فينسبهما جميعا إلى أب هو **مازيغ بن كنعان.**

وربما تساءل بعضهم؛ ما هو العائق الذي منع المجتمع الأمازيغي من تطوير نظمه الاجتماعية؛ على الرغم من احتكاكه بمجتمعات أخرى متطورة؛ **كالفراعنة، والإغريقيين، والفينيقيين، والرومانيين.**؟ ومبعث هذا التساؤل ــ حسبما يبدو ــ هو أنه لوحظ على الأمازيغ تمسكهم بالنظم القبلية؛ في الوقت الذي تربض إلى جوارهم **الإمبراطورية القرطاجية** الكبرى؛ التي كانت تتفاخر بمؤسساتها المدنية، والعسكرية، والعمرانية. وبعد سقوط الإمبراطورية القرطاجية؛ خلفتها إمبراطورية أخرى؛ قامت بزرِع **مستعمرات رومانية** عديدة بين الأمازيغ، وفي عمق مَوَاطنهم؛ تستند إلى نظم مدنية متطورة؛ ولا تعرف القبلية لها طريقا. ومع هذا بقي الأمازيغ على حالهم؛ الذي يهيمن عليه **النظام القبلي المتحجر.**

وعلى الرغم من الاجتهادات المحدودة التي قام بها **ماسينيسا**؛ العاهل الأمازيغي الشهير كتشجيع القبائل على الاستقرار، والعمل بالفلاحة،

---

[1] جمهرة أنساب العرب، ص: 495.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتشييد دولة بمؤسسات جديدة؛ لا تعمل بمنطق القبلية؛ فإنه فشل في تغيير التركيبة الاجتماعية؛ أو حتى بعث حركة قوية تستطيع الاستمرار في النهج الذي شرع فيه[1]. والعلة في ذلك تتمثل — كما يبدو — في عاملين اثنين: أحدهما خارجي، والآخر داخلي. فأما الخارجي فهو الوجود **الفينيقي**، **والروماني**؛ ذلك الوجود الأناني، القمعي، المستبد؛ وإن اختلف وجهيهما، وتباينت مواقفهما.

فالوجود الفينيقي بدأ في شكل محطات تجارية شيدت على طول الساحل؛ بدءا بسنة 1101 ق.م؛ وهي السنة التي تم فيها تأسيس مركز **أوتيكة**؛ في خليج تونس. ثم تطور — فيما بعد — حتى أضحى كيانا قريبا من الدولة. ثم دولة لها اعتبارها؛ فإمبراطورية عظمى؛ سيطرت على البحر الأبيض المتوسط بكامله. مع العلم أنهم ظلوا يقدمون الضرائب السنوية للأمازيغ أو الليبيين؛ طيلة ثلاثة قرون ونصف. وعندما استفحل أمرهم؛ وجد الأمازيغ

---

[1] ش. جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 134. والجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 62. M. Kaddache, L'Algerie dans L'Antiquite, pp: 68-72. F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, p: 132-139.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهم تحت سلطان من كانوا تحت حمايتهم.

ولمّا كان الفينيقيون في **قرطاجة** يعيشون في ظل مؤسسات الدولة المنظمة؛ فقد تفوقوا على الأعداد الهائلة من الأمازيغ، واستخدموهم، وسخروهم لمصالحهم، ومصالح دولتهم؛ كمقاتلين؛ وكعمال، وكمستهلكين لبضائعهم. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي استوطنوا خلالها بلاد الليبيين؛ فإنهم ظلوا متقوقعين على أنفسهم، وحريصين على ضمان عدم اختراق الأمازيغ لمجتمعهم المحصن بالنظم الأرستقراطية المنيعة.

أما الرومان فكانوا ينظرون ـــ منذ مجيئهم ـــ إلى الأمازيغ نظرة متعالية؛ وبالمقابل كانوا يرصدون بلادهم بعيون مشحونة بالأطماع في ثرواتها. وعندما سنحت الفرصة المواتية؛ انقضوا على فريستهم. ولم يشذ سلوك الرومان عما عرف في تاريخ الإنسانية؛ عن سلوكيات الغزاة المحتلين؛ إذ اهتموا بما تدره البلاد عليهم من خيرات؛ دون الالتفات إلى ما ينفع سكانها. ثم انهم توغلوا في عمق البلاد؛ أكثر مما ذهب إليه الفينيقيون. فبينما اكتفى هؤلاء بالشريط الساحلي، وبعض المناطق الداخلية؛ فيما يعرف ـــ الآن ـــ بتونس؛ نرى الرومان قد زرعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معسكراتهم في داخل البلاد؛ حتى وصلوا بها إلى مشارف الصحراء. وعلى الرغم من تواجدهم بين السكان الأصليين للبلاد؛ فإنهم حرصوا على عدم الاختلاط بهم، وتجاهلوا مساعدتهم على تطوير نظمهم، أو ترقيتهم: **ثقافيا**، **واقتصاديا**. وبذلك حالوا بين السكان، وبين ما يمكن أن ينفعهم حضاريا.

هذا عن العامل الخارجي؛ أما العامل الداخلي فيتمثل في **علل نفسية، وثقافية**؛ عجز أبناء هذه البلاد عن التخلص منها أو تهذيبها. ويمكن حصر هذه العلل فيما عرف **بالعصبية القبلية**. ونظرا لضيق المجال هنا؛ أحيل القارئ الكريم إلى كتابي الذي سيصدر ضمن هذه السلسلة؛ بعنوان: **العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية**؛ ففيه ما يفي بالحاجة عن نظرية العصبية. وما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال؛ هو ما تمت ملاحظته على المجتمع الأمازيغي؛ من عدم اكتراث بما كان يتحرك حوله من نظم، ومظاهر حضارية يتميز بها المحتلون، أو المجاورون لهم. والأغرب من ذلك كله أنهم احتكوا ــ قبل معرفتهم للفينيقيين، والرومان ــ بحضارة **مصر الفرعونية**؛ التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توصل بعض الأمازيغ (الليبيين) إلى التربع على عرشها؛ لفترة معينة من التاريخ[1]. ومع هذا لم يجلبوا معهم إلى بلادهم شيئا هاما من حضارتها، أو نظمها؛ التي تجاوزت مرحلة العصبية القبلية. ما عدا بعض المظاهر الجنائزية، والدينية المحدودة.

ولما قدم العرب – خلال الفتح الإسلامي – إلى هذه الديار؛ وجدوا في المجتمع الأمازيغي تشابها كبيرا بالمجتمع العربي. من ذلك: التقسيمات القبلية، والإفرازات النفسية للعصبية، وأسلوب العيش، وحب الغزو.. وغير ذلك. وبالمقابل لم يجد الأمازيغ لدى العرب – ما يمكن أن يأخذوه منهم – سوى **الدين الإسلامي** الحنيف؛ لما وجدوا فيه من تعاليم سمحة، وعادلة، وصادقة؛ لذا فقد سارعوا إليه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ حتى أضحوا أكثر تمسكا به من بعض العرب الوافدين إلى بلاد المغرب أنفسهم.

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 – 72. Mhamed Fantar, F. Decret et L'Afrique du Nord, p p: 42- 46**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5)ــ الهجـــــرات:

قبـــل البـــدء بالحديـــث عـــن أنســـاب القبائـــل البتريـــة؛ أو البرنسيـــة يستحســـن التوقـــف عنـــد ظاهـــرة مهمـــة؛ وهـــي ظاهـــرة هجـــرة بعـــض الأحيـــاء الأمازيغيـــة، وانتقالهـــا مـــن مكـــان إلى آخـــر؛ في داخـــل بـــلاد المغـــرب، أو خـــارج إطـــار مواطنهـــم الأصليـــة؛ وذلـــك بانتقالهـــم إلى الأندلـــس، أو بـــلاد المشـــرق مثـــلا. فباستقـــراء مصـــادر تاريخيـــة مختلفـــة يتضـــح أن الأمازيـــغ كانـــوا ــ منـــذ فتـــرات تاريخيـــة قديمـــة ــ علـــى اتصـــال مـــع غيرهـــم؛ مـــن شعـــوب البـــلاد المحيطـــة بهـــم؛ في الشـــرق، والشمـــال، والجنـــوب.

أ ــ الهجـــرة مـــن وإلى الشـــرق:

فـــفي الجانـــب الشـــرقي تبـــرز **مصـــر**؛ الـــتي تكـــون قـــد احتكـــت **بالأمازيـــغ** (الليبييـــن) حـــوالي 3300 سنـــة قبـــل الميـــلاد؛ حيـــث عرفـــوا ــ آنئـــذ ــ باســـم **التهينـــو** Tehenou. فمنـــذ هـــذا التاريـــخ بـــدأت تتكلـــم عنهـــم نقـــوش الفراعنـــة، ولوحاتهـــم الأثريـــة؛ **كلوحـــة نارميـــر، والأنشودتيـــن: الرابعـــة، والخامســـة** للآلهـــة الفرعونيـــة **نايـــت** Neit ، والآثـــار الأخـــرى الـــتي تشخـــص المقاتليـــن الليبييـــن؛ ممتشقيـــن أسلحتهـــم. كمـــا استعـــان **رمسيـــس الثـــاني** بمقاتليـــن

من **الأمازيغ**؛ في بداية القرن الثالث عشر؛ لصد هجمات **الحتيين**. واضطر **رمسيس الثالث** أيضا إلى مهادنتهم حوالي سنة 1189 ق.م؛ حيث أسكن ((**عشرات الآلاف**)) منهم بالدلتا.

وفي هذا الباب يقول شارل أندري جوليان: **((واستغل أحد القواد الليبيين المرتزقة الفوضى التي تبعت ذلك؛ فبسط نفوذه على هرقلة Hierakléopolis في مصر الوسطى. وغزا خليفته السابع شيشنق الأول Sheshonq1 الدلتا، وقسم الأرض بين الليبيين، وأسس الأسرة الثانية والعشرين_950 ق ـ م. ويصور لنا الفن الشعبي لأول مرة؛ مجتمعا شغوفا بالمعارك؛ مخالفا تمام المخالفة للمجتمع المصري. وخلافا لما اعتقد المؤرخون طويلا؛ فإن أحفاد رسل الإله آمون القدامى ليسوا هم الذين أسسوا مملكة نباطة Napata التي اتسعت رقعتها في أواخر القرن الثامن من الشلال الأول إلى الحبشة. وأثبتت حفريات ريسنار Reisner أن الليبيين هم الذين بسطوا نفوذهم على أرض الكوش؛ كما فعل ليبيو الشمال بالنسبة للدلتا. لقد كانوا فرسانا متحمسين لجيادهم؛ لا سائقي عربات كالفراعنة. ولم يوجد أطوع**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتعاليم آمون، وكهنته من هؤلاء الأجانب المستوطنين بمصر. ولا شك أن المدنية المصرية أشعت بواسطتهم على الليبيين الغربيين؛ وربما بلغت أنوارها المترامية أقصى غرب إفريقيا))[1].

هذا ما سمح به المجال؛ بخصوص هجرة بعض الفئات الأمازيغية إلى مصر؛ واستقرارها في تلك الديار في العصور الفرعونية. وبالطبع لم تكن تلك الهجرة هي الأخيرة؛ بل حدثت هجرات أخرى في عصور تلتها؛ منها: انتقال القبائل التي كانت تشكل **الجيوش الفاطمية** إلى مصر؛ في مراحل عديدة. ومن بين تلك القبائل: **كتامة، وصنهاجة، وزواوة.** كما انتقلت أحياء من قبائل أخرى؛ إلى مصر تلقائيا؛ بحكم الجوار طلبا للمنفعة، وتحسين العيش؛ ومن بينهم: جماعات من قبيلة **لواتة**، وجماعات من قبيلة **هوارة**[2]. هذا بالإضافة إلى بعض الأفراد الذين اختاروا الاستقرار في الديار المصرية؛ في فترات متفاوتة؛ بعد أداء فريضة الحج. وتغلب على هؤلاء الناس صفة العلم، والمعرفة؛ فهم في الغالب **علماء.** ولم تقتصر إقامتهم في الديار

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: **1**، ص: 72.

[2] للتوسع أنظر موسى لقبال؛ دور كتامة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصرية فحسب؛ بل استقروا – أيضا – في بلاد الشام، وفلسطين.

وكما حصلت هجرات من الغرب إلى الشرق؛ حدثت – أيضا – هجرات أخرى من الشرق إلى الغرب؛ حيث كانت مصر هي المعبر الرئيسي؛ نحو بلاد الأمازيغ. فوجود جالية من الأمازيغ ببلاد النيل؛ منذ عدة قرون قبل الميلاد؛ يدعم الافتراض القائل بوجود اتصالات بين المصريين القدماء، والأمازيغ. وهذا الاتصال لا بد أن يتأثر، ويؤثر. كما أنه لا يتوقف في حدود معينة. وعليه يمكن أن يمتد التأثير – بواسطة الاتصال بين هذين الشعبين – إلى شعوب أخرى؛ من الجهة الأخرى؛ التي يفترض أنها ليست على اتصال مباشر مع الطرف الأول. وبذلك أصبحت مصر مركز الوسط؛ وبواسطته اتصل الأمازيغ بشعوب أخرى في المشرق. مثل: **الكنعانيين، والعبرانيين، والعرب.** ومن هنا.. عرفت هذه البلاد هجرات في الاتجاه المعاكس؛ من الشرق إلى الغرب؛ حيث قدم **الفينيقيون** في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد؛ في وقت كان الفينيقيون متأثرين، ومتصلين بالحضارة المصرية؛ التي كانت تضم بين أحضانها فئات من بلاد الأمازيغ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكتجار نشطين؛ لابد للفينيقيين من الاستطلاع؛ بواسطة الاستفسارات الشفهية أولا؛ وهو ما يوفره الأمازيغ المتواجدون معهم في المشرق. وعليه يمكن أن تكون مصر واسطة ــ بدون قصد ــ في الهجرة الفينيقية.

أما الهجرات العبرانية، والكنعانية الأخرى؛ التي ربما تكون حدثت؛ انطلاقا من فلسطين، والشام؛ فلم يظهر لها سند تاريخي قوي حتى الآن؛ وإن كانت كتب المؤرخين العرب تتكلم عنها؛ نقلا عن **نسابة البربر**، أو **نسابة العرب**؛ ولكن دون تقديم أدلة فاصلة. ومع هذا تواجدت في بلاد المغرب فئات تنتحل الديانة اليهودية؛ ويزعم أعضاؤها بأنهم من العبرانيين. مع أن وجود جماعات متدينة بالديانة اليهودية؛ لا يعني ــ بالضرورة ــ وجود جنس من اليهود العبرانيين. فكما دخلت المسيحية إلى هذه البلاد كدين؛ يمكن لليهودية أن تأتي كدين هي الأخرى. خاصة وأن المصادر التاريخية تتحدث عن قبائل من أصل أمازيغي دانت باليهودية؛ وهذا ابن خلدون يقول: **((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية؛ أخذوه عن بني إسرائيل عند**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استفحـــال ملكهـــم؛ لقـــرب الشـــام وسلطانـــه منهـــم؛ كمـــا كـــان جـــراوة؛ أهـــل جبـــل أوراس؛ قبيلـــة الكاهنـــة؛ مقتولـــة العـــرب لأول الفتـــح، وكمـــا كانـــت نفوســـة؛ مـــن برابـــر إفريقيـــة، وقنـــدلاوة، ومديونـــة، وبهلولـــة، وغياثـــة، وبنـــو فـــازان؛ مـــن برابـــرة المغـــرب الأقـــصى؛ حـــتى محـــا إدريـــس الأكبـــر الناجـــم بالمغـــرب؛ مـــن بـــني حســـن بـــن الحســـن؛ جميـــع مـــا كـــان في نواحيـــه مـــن بقايـــا الأديـــان والملـــل))[1]. ولكـــن هـــذه الأقـــوال لا تمنـــع حـــدوث هجـــرات ــ بالفعـــل ــ وإن غابـــت الأدلـــة القاطعـــة.

والهجـــرات العربيـــة ــ بدورهـــا ــ غزهتـــا مجموعـــة مـــن الأساطيـــر؛ الـــتي شوهـــت الحقيقـــة، ووضعتهـــا في مســـار يسوقنـــا إلى متاهـــات؛ لا تخـــدم التاريـــخ الصحيـــح لهـــذه البـــلاد. فـــإن كنـــا نشـــك في صحـــة كثيـــر ممـــا جـــاء في المصـــادر العربيـــة؛ عـــن علاقـــة الأمازيـــغ بـــ: **إفريقـــش بـــن صيـــفي، وتبـــع، ويقشـــان ابـــن إبراهيـــم الخليـــل، والغساسنـــة، ولخـــم، وجـــذام، وحميـــر بـــن سبـــأ، وجالـــوت، والعماليـــق، وقيـــس ابـــن عيـــلان**؛ فليـــس معـــنى هـــذا النـــفي القاطـــع لوجـــود آثـــار مـــا؛ تتعلـــق بهجـــرة بعـــض

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 214.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماعات من الشرق؛ إلى بلاد الأمازيغ، واختلاطهم بسكانها، واندماجهم بهم. فكما هاجر الفينيقيون؛ يمكن لغيرهم أن يهاجروا كذلك. وعليه.. ستبقى هذه النظريات قابلة للنقاش؛ حتى يظهر ما يعزز إحداها، أو ينفيها جميعا. والحقيقة الثابتة ــ حتى الآن ــ بخصوص الهجرات العربية؛ هي: **هجرة العرب الفاتحين** في العهد الإسلامي، **وهجرة الجيوش التي بعث بها الأمويون، والعباسيون** لإخماد ثورات الأمازيغ المتتالية، **وهجرة قبائل هلال وسليم** في العهد الفاطمي. وقد استقر كثير من هؤلاء الجند، والمهاجرين في بلاد المغرب، والأندلس. وكما سبق ذكره.. فهذه الهجرات كلها؛ جاءت عن طريق مصر؛ سواء القادمة من **جزيرة العرب**، أو من **الشام**، أو من **العراق، وفارس**.

ب ــ الهجرة من وإلى الجنوب:

هذا ما سمح به المجال بخصوص الهجرات الآتية من الشرق، والذاهبة إليه. أما الهجرات الجنوبية؛ فعرفت ــ هي الأخرى ــ أخذا، وعطاء؛ من الشمال إلى الجنوب، ثم العكس؛ وإن تم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحال الأخيرة بشكل أقل حدة، وأكثر غموضا. فالزاحفون من الأمازيغ نحو الجنوب؛ ربما وصلوا حتى **بلاد السنغال**؛ التي يقال أن اسمها اشتق من كلمة **صناكة** أي (صنهاجة). لأن الاسم المعروف ـ سابقا لتلك الديار ـ هو **غانة** أو (غانية). ثم إلى الشرق منها **صُوصُو**، **ومالي**، **وكَوْكَوْ** أو (كاغو)، ثم **التكرور**، **وزغاي** أو (زغاوة). وتقع هذه البلاد كلها جنوب مَوَاطن الأمازيغ. وتعرضت لزحفهم؛ في فترات متفاوتة من التاريخ. ويبدو أن القبائل الأمازيغية التي نزحت إلى الجنوب هي: **صنهاجة**، **ولمطة**، **ومسوفة**، **وهوارة**. ويقول ابن خلدون: **((ثم إن أهل غانية** [غانة] **ضعف ملكهم، وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر الملثمين؛ المجاورين لهم من جانب الشمال؛ مما يلي البربر كما ذكرناه؛ وعبروا على السودان، واستباحوا حماهم، وبلادهم؛ واقتصوا منهم الإتاوات، والجزي، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام؛ فدانوا به))**[1]. وبالمقابل يبدو أنه حدث الشيء نفسه؛ بانتقال فئات من السودان إلى شمال مواطنهم. وإخضاعهم للأمازيغ

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 413.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتواجدين في عمق الصحراء. وهذا ما يشير إليه ابن خلدون؛ حين تكلم عن **منسا موسى** سلطان مالي: **((لِمَا كان عليه منسا موسى؛ من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا؛ وقوة سلطانه))**[2]. ووجود عناصر سوداء البشرة بمواطن الأمازيغ؛ خير دليل على انتقالهم إلى هذه البلاد؛ منذ حقبة موغلة في القدم.

جـ ــ الهجرة من وإلى الشمال:

بقي علينا ــ الآن ــ التعرف على الهجرات التي تمت من المناطق الشمالية؛ نحو بلاد الأمازيغ. ويبدو أن كل ما توصل إليه الباحثون ــ في هذا الباب ــ هو أن البوادر الأولى لهذا الاتصال؛ ربما كانت بواسطة **الإغريقيين**؛ وإن كان هذا الافتراض يحتاج إلى بحث أوسع؛ لإزالة الغموض الذي خلفته الأساطير اليونانية القديمة. والثابت ــ حتى الآن ــ هو تمكن بعض الإغريقيين ــ خلال القرن السابع قبل الميلاد ــ من إقامة عدد من المستعمرات الساحلية في المنطقة المحصورة بين مصر، وطرابلس؛ تلك

---

[2] **العبر، مج: 6، ص: 415.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنطقة المعروفة في القديم باسم بلاد **القريني** Cyrénaique. وعن هذا يقول شارل .أ. جوليان: **((ولم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القريني** Cyrénaique **إلا حوالي سنة 631 ق.م. وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة. ولكنهم اختلطوا بهم اختلاطا وثيقا، وتبنوا تقاليدهم الجنائزية، وعقائدهم، وسعوا إلى التزوج بالجميلات من نسائهم. ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أوائل القرن السادس؛ فقد اصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم التوسعية))**[1]. ونتيجة لأنانية التاجر؛ التي يتميز بها القرطاجيون؛ فإنهم حرصوا على منع الاتصالات المباشرة بين الأمازيغ، والإغريقيين. ولم يتم ذلك بوضوح إلا بعد سقوط قرطاجة.

هذا عن اتصالات الأمازيغ بالإغريق. أما احتكاكهم **بالرومان**؛ الذين قدموا ـــ دون قصد ـــ إلى إفريقية بواسطة القرطاجيين؛ الذين مكنوهم ـــ بعد هزائمهم الحربية أمامهم ـــ من احتلال قرطاجة، والتعرف ـــ عن قرب ـــ على ثروات بلاد الأمازيغ الطبيعية. ومن هنا بدأت

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 73ـــ74.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصول الأولى؛ للاحتلال الروماني، ثم الوندالي، ثم البيزنطي؛ ودام هذا من سنة 204 ق.م؛ السنة التي وطئت فيها أقدام القائد الروماني **شيبيون** أرض إفريقية؛ وحتى سنة 429 ميلادية؛ السنة التي نزلت فيها جيوش **الوندال** أرض الأمازيغ؛ حيث بقوا في هذه الديار حتى سنة 534م؛ سنة زحف **البيزنطيين**؛ الذين دام حكمهم لبلاد الأمازيغ؛ حتى قدوم الفاتحين **العرب**؛ بدءا بفتح برقة التي سقطت في أيديهم لأول مرة في سنة 642م. وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ عرفت البلاد – التي أصبحت تسمى فيما بعد المغرب؛ نظرا لموقعها من بلاد العرب – تعرضت لملاحم، وأحداث في منتهى الأهمية؛ قامت القبائل الأمازيغية فيها بالأدوار الرئيسة. ولكن الحديث عنها بإسهاب يخرجنا عن مجال هذه الدراسة؛ لذا نتركها لمن شاء البحث فيها.

أما هجرات الأمازيغ؛ انطلاقا من بلادهم؛ في اتجاه الشمال؛ فيبدو أنهم عرفوا – منذ آلاف السنين؛ قبل الميلاد – شعوبا عديدة؛ تسكن شمال وطنهم. مثل: **الإغريق**، **والرومان**، **والوندال**، **والإفرنج**، **والجرمان**، **والقوط**،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والصقالبة.. وغيرهم. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التاريخية؛ التي تسجل وجود فئات أمازيغية ضمن الجيوش المشكلة من شعوب البحر؛ منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي هذا يقول ش .أ. جوليان أنهم كانوا: **((ضمن اتحاد شعوب البحر العظيم. وهو رد فعل ضد التوسع الهندي الأوربي. وقد تحالف اللوبيون أو الليبيين مع قراصنة الشمال الليسيين، وسردان سارده أهل سغلوس** Sagalos، **وترسين أهل لمنوس، والآخيين؛ فكانوا أغلبية الجيش الذي هاجم الدلتا؛ بدون نتيجة 1227. وقد يكون أصل هؤلاء اللوبيين من الأطلس. فقد لوحظ أن أسماء قوادهم تذكر بالضبط أسماء النوميديين الوارد ذكرهم في التاريخ المألوف A. Moret . ومهما يكن من أمر فهم الذين أطلق اسمهم على ليبيا، ولعبوا في تاريخ مصر فيما بعد دورا رئيسيا؛ متزعمين كتلة غير منسجمة من التهانو Tehenou، والهندو الأوروبيين))**[1]. من هنا يحق لنا التساؤل: كيف وجدوا ضمن هذا الحلف؛ إن

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71ـــ 72.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم تكن لهم اتصالات مسبقة مع أعضاء ذلك الحلف..؟

والهجرات الأمازيغية المنطلقة نحو الشمال؛ والتي ثبتت – حتى الآن – هي الهجرات التي حدثت خلال حروب قرطاجة ضد شعوب أوربا؛ إذ كان الفرسان النوميديون يشكلون جزءا كبيرا من جيشها؛ منهم من كان بقيادة ماسينيسا قبل اعتلائه عرش نوميديا. وقد كان – أيضا – إلى جانب الرومان في تلك الديار الشمالية؛ لما تغلبوا على قرطاجة. أما في العصر الإسلامي؛ فكانت شبه الجزيرة الأيبيرية مسرحا مفتوحا للقبائل الأمازيغية؛ إذ كانوا أول من دخلها في العهد الإسلامي. وتمت هذه الهجرات على مراحل عديدة؛ بدءا بالحملة العسكرية الأولى التي قادها القائد الأمازيغي **طارق بن زياد**؛ في سنة 92هـ؛ حيث بقي أعضاؤها في تلك الديار المفتوحة. وإذا علمنا أن تلك الحملة؛ كانت تتألف بالكامل – تقريبا – من عناصر **أمازيغية**؛ سيتضح عندئذ أن أول المقيمين – من المسلمين – في ديار الأندلس؛ كانوا من الأمازيغ. وقد أجمعت المصادر التاريخية على هذا؛ وإن اختلفت في تحديد عددهم بالضبط. ولكن أكثر الأقوال تقدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عددهم باثني عشر ألفا من الأمازيغ؛ ما عدا بعض الأفراد؛ الذين لا يتجاوز عددهم العشرين. وفي هذا يقول حسين مؤنس: **((إن الجيش الذي أرسله موسى كان بربريا صرفا؛ أو يكاد)). ((ففاض سيل البربر على الأندلس، وأخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة)). ((لأن البربر انتشروا، واستقروا من أول الأمر في كل ناحية؛ وكانت غالبية هذه الأفواج الأولى؛ من البربر المهاجرين؛ من زناتة؛ لأن الزناتيين كانوا أول البربر إسلاما، وانضماما للعرب؛ وكان طارق بن زياد منهم)). ((من الواضح أن أعدادَ من اشترك من البربر في فتح الأندلس، وفي فتوح غالة كانت تزيد عن أعداد العرب أضعافا؛ وأن هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية؛ إذ أن تيارا من الهجرة البربرية اتصل، واستمر عقب الفتح مباشرة؛ وأن شبه الجزيرة لم يلبث أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين))**[1]. ولم تتوقف هجرات الأمازيغ عند سنوات الفتح فحسب؛ بل استمر نزوحهم إلى ديار الأندلس حتى سقوطها نهائيا في أيدي النصارى عام 897هـ.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 68. 75. 128. 378.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بخلاف العرب؛ الذين توقفت هجراتهم الجماعية إلى الأندلس بانتهاء عصر الولاة؛ وبقيت تجرى بشكل فردي؛ لا غير.

وقد توفرت فرص عديدة للهجرة الأمازيغية؛ ضمن مجموعات كبيرة؛ بفضل زحف الجيوش الضخمة؛ التي انتقلت إلى تلك البلاد؛ للجهاد، أو لنجدة بعض الحكام، أو للاستيلاء عليها؛ مثل: القبائل الأمازيغية التي استنجد بها ابن أبي عامر؛ في أواخر العهد الأموي، **وجيوش المرابطين، وجيوش الموحدين**؛ التي خضعت بلاد الأندلس تحت سلطانهما، **وجيوش بني مرين** التي نهضت مرات عديدة لنجدة الأندلسيين. بالإضافة إلى الذين هاجروا هروبا من حكومات بلاد المغرب، أو من انتقام شيوخ بعض القبائل. والمصادر التاريخية تتكلم عن عدد كبير ممن هاجر بسبب ذلك. وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[1] بعض الأسر الأندلسية؛ التي تنتمي في أصولها إلى قبائل أمازيغية عديدة؛ مثل:

---

[1] ص ص: **498 ـــ 502**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **أوربة:** ومنها **أسرة صبرون**؛ التي أسندت إليهم **أليشة**؛ كصبرون بن شبيب، وابنه وكيل ابن صبرون.

ـ **زناتة:** ومنها **بنو الخروبيّ**؛ من **لقنت**؛ **وبنو الليث**؛ من **شنت فبلة**؛ كيحيى بن محمد ابن... الليث بن شبل. **وبنو عزون**؛ أمراء **شنت برية**؛ وهم أبناء سعيد؛ ((الذي ينسب إليه فحص سعيد بقرب شوذر)).

ـ **زواوة:** منهم **بنو مُشرِف الشقنديون.**

ـ **كتامة:** منهم **بنو مهلب**؛ أصحاب **قرْذَ يَرة**، **وأشْبَرَغِيَّرَة**؛ التابعتين **لإلبيرة**؛ ((ومنهم كان محمد بن مهلب؛ كاتب مفرج الوزير)). **وبنو قاسم**؛ أصحاب **البونت.**

ـ **صدينة:** منهم **بنو عبدوس**؛ أمراء **سُرِتَة.**

ـ **صنهاجة:** منهم **بنو الغليظ**؛ وإليهم ينتسب الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى. **وبنو دراج**؛ وهم أهل الشاعر الفحل أبي عمرو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ومحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان؛ من بني ذر بن عيسى بن دراج. و يحيى بن ضريس؛ بُبُلكونة؛ ((الذي صدم ابن حفصون؛ فأبطل يده بالضربة المشهورة؛ فلم يأكل ابن حفصون بيمينه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعدها، وعاش بعد ذلك نحو ثلاثين سنة)). وبنو عبد الوهاب؛ بأشبونة؛ وينتمون إلى ميمون ابن جميل؛ ابن أخت طارق بن زياد؛ ((وكانت لهم ثروة، وعدد؛ وكان منهم قواد، وكتاب، وفقهاء))؛ بقي ممن يتحلون بالنشاط منهم ــ في وقت ابن حزم ــ عبد الوهاب ابن محمد بن عبد القدوس؛ خطيب جامع قرطبة؛ وله كتاب سجل فيه رحلته إلى الحجاز. **وبنو طاهر بن مناع**؛ من **أشُونَة**.

ــ **مديونة:** قبل التطرق للأسر المديونية ــ هنا ــ يستحسن الإشارة إلى أن ابن حزم قد أدرج ضمنهم بعض الأسر التي يرى آخرون بأنهم من **نفزة**. منهم بنو الزجالي؛ الوزراء. ومنذر ابن سعيد السوماتي؛ القاضي. وبنو طرينة بن غزلون؛ أمراء تيروال؛ وهم من ألهاصة بن يطوفت بن نفزاو. أما البقية فالراجح أنهم من مديونة حقا؛ وهم: خال بني ذي النون؛ ثابت بن عامر المديوني. **وبنو هذيل**؛ أمراء **شنت برية**. **وبنو الخليع**؛ **بتاكُرُنَّا**. وزغلل بن يعيش بن فرانك؛ صاحب أم جعفر بالجوف؛ وهو ((الذي ينسب إليه مسجد فرانك بقرطبة)). **وبنو عميرة**؛ **بشاطبة**. **وبنو نعمان**؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشنت برية؛ وهم ((رهط عامر بن فرج بن نعمان)).

ـ مصمودة: منهم **بنو سفيان بن عبد ربه**؛ الحاجب. **وبنو يحيى ابن كثير**؛ ((صاحب مالك؛ وكانت لهم ثروة، وعدد)). **وبنو طريف**؛ من **أشونة**؛ ((ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة؛ فاتبعوه على دينه)). ((ومحمود، وجميلة أخته؛ التي ذاع صيتها، واشتهرت بالشجاعة، والفروسية؛ وهما ابنا عبد الجبار بن زاقلة؛ القائم بماردة)). **وبنو دانس بن عوسجة**؛ أصحاب **قُلنْبَيْرة**؛ **وقصر دانس بالجوف**؛ ينسب إلى جدهم. ونضيف إلى هذا ما جاء في كتاب فتح الأندلس؛ حيث ذكر أنه كان **بتاكُرُنا** (في جبال رندة) أمير بربري يدعى عبد الرحمن بن عوسجة؛ وهو جد **بني دانس، وبني عوسجة** المذكورين؛ وقد تكاثرت أعدادهم ـ بعد ذلك ـ في الجنوب من **شنت برية الغربية**؛ حتى أصبحت تسمى بلاد عوسجة. **وبنو** تاجيت؛ أصحاب ماردة؛ ومنهم مسعود بن تاجيت بن **محمد بن تاجيت**؛ ((هو وأبوه وجده؛ كانوا أصحاب **قورية، ولَجْدانية**؛ ففروا؛ إذ غلب النصارى

على تلك الجهة)). **وبنو مَضَى بن تِيهَلْت**؛ أمراء **قصر مَضَى**. **وبنو رسين**؛ من **قصر مضى** أيضا. **وبنو سالم**؛ وتنسب إليهم **مدينة سالم**؛ **وبنو الفرج**؛ **بوادي الحجارة**؛ وتنسب إليهم **مدينة الفرج**؛ نسبة إلى فرج بن سالم. **وبنو أران**. وقال ابن القوطية أن زعيم الأمازيغ بجهات **مرور** ـ لدى قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ـ كان يسمى إبراهيم بن شجرة؛ وهو من **مصمودة**.

ـ **مغيلة**: منهم **بنو إلياس**؛ أمراء **شوذنة**؛ وهم أهل أحمد بن إلياس. **وبنو زروال**؛ أمراء **المُنتانية**.

ـ **مَكناسة**: منهم **بنو وانسوس**؛ أهل الوزير سليمان بن وانسوس.

ـ **ملزوزة**: منهم **عوسجة**؛ وإليه ينسب **بلاط عوسجة بشنت برية** ((ومنهم كان إبراهيم بن براح؛ قاتل أزهر ابن مهلب المولد؛ الفارس المشهور الذكر؛ من أهل **والبة**؛ من عمل **شنت برية**)). **وبنو تيه** أو (نبيه)؛ أمراء **شنت برية**. **وبنو أبي الأخطل**؛ أمراء **شنت برية** أيضا. **وآل عامر بن وهب**؛ صاحب **وَبْذة**، وما يتبعها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **نفـــزة:** منهـــم **بنـــو عميـــرة**؛ أمـــراء **شاطبـــة**، **وبـــلال**؛ أمـــراء **هوتوتـــة**؛ وينتسبـــون جميعـــا إلى **بطـــن ألهاصـــة** أو (ولهاصـــة).

ـ **هـــوارة:** ومنهـــم **بنـــو القمَـــرَاطيّ**؛ وهـــم رهـــط أبي معـــدن طالـــوت بـــن بسطـــام بـــن العـــاصي. **وبنـــو ذي النـــون**؛ أمـــراء **أقْليـــش**، **ووَبْـــذة**. **وبنـــو رَزيـــن**؛ أمـــراء **السَّهْلـــة**. **وبنـــو فَرْفَريـــن**؛ ولاة **مَدَلّيـــن**، **ومـــاردة**؛ ((وكـــان لهـــم ثـــروة، وعـــدد. منهـــم: خطـــار بـــن سعيـــد بـــن فرفريـــن، وأبـــو عمـــرو بـــن هاشـــم بـــن فرفريـــن؛ كلهـــم ولي مَدَليّـــن)). **وبنـــو جَهْـــوَر المَرْشانيـــون**؛ ((وهـــم مـــن ولـــد أبي مـــوسى عبـــد الرحمـــن بـــن مـــوسى الفقيـــه؛ المشبـــه بالشعـــبي في زمانـــه؛ وكـــان لهـــم عـــدد، وثـــروة؛ وبقيـــت منهـــم الآن بقيـــة صالحـــة)). كمـــا نزلـــت بعـــض الجماعـــات مـــن هـــوارة؛ في عصـــر الـــولاة ـــ حســـب ابـــن القوطيـــة ـــ بالقـــرب مـــن جيـــان.

ـ **وُزْداجـــة:** ومنهـــم **بنـــو دُليَـــمْ**؛ الفقهـــاء.

وأورد حسيـــن مؤنـــس ـــ نقـــلا عـــن كتـــاب منـــازل البربـــر في الأندلـــس ـــ لسيـــزار دوبلـــر César E. Dubler بعـــض الأماكـــن؛ الـــتي سميـــت بأسماء للقبائـــل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمازيغية؛ مما يوحي بأنها كانت منازل قديمة لتلك القبائل. من هذه المنازل[1]:

— **Villa Nova de Oureni** مكان موجود الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ وهران**.

— **Tunis** مكان يوجد حاليا؛ في **البرتغال**؛ نسبة إلى **الأمازيغ من تونس**.

— **Alquerubim** يوجد الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ القيروان**.

— **Arzila** يوجد في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ أصيلا**.

— **Adzenata** يوجد في الشرق بالقرب من **قسطليون Castellon**
نسبة إلى **زناتة**.

— **Sanet** أو **Senet** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— **Benisanet** بالقرب من **طركونة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— **Butsenit** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

---

[1] **فجر الأندلس، ص ص: 381 ـــ 382.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

— **Barasal** بالقرب من **جواردا** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **بني برزال من زناتة**.

— **Mequinenza** في **الثغر الأعلى**؛ عند **الابرة**؛ نسبة إلى **مكناسة**.

— **Ceneja** قرب **قسطليون**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Cenija** إحدى ضواحي **سرقسطة**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Azinhaga** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Cotanes** بالقرب من **بلد الوليد**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Cotanillos** أحد أحياء **شقوبية**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Cotimos** و **Alcoutim** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Benigomar** بناحية **أنكا**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Gomara** بناحية **صورية** **Soria**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Gomeriz** و **Gomeris** في **جليقية**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Albornos** بناحية **أبله**؛ نسبة إلى **البرانس**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد اشتملت هذه الدراسة القيمة على كثير من العينات الأخرى؛ التي تثبت الحجم الكبير الذي وصلت إليه هجرات الأمازيغ إلى بلاد الأندلس؛ واستقرارهم بها. وثمة مواضع كثيرة في بلاد الأندلس بقيت تحمل أسماء قبائل أمازيغية؛ من ذلك مثلا: **لماية** التي سمي باسمها **إقليم لماية**؛ التابع لكورة **ريه**. ويوجد في ذلك الإقليم وادي؛ يسمى – أيضا – **بوادي لماية**. ثم **صدينة** التي سميت بها المدينة المتواجدة في كور **شذونة**. ثم **مدينة أوربة** التابعة إلى **دانية**. ثم **لواتة** التابعة لأعمال **فِرِّيش**. ثم ناحية **جراوة** وهي من أعمال **فحص البلوط**. ثم **تاكرنا** التي كان يسمى بها **إقليم رندة**. ثم **أندارة** في شرق الأندلس؛ قبل أن تخرب أثناء الفتنة. وثمة أماكن بأسماء قبائل أمازيغية كثيرة في الأندلس – يضيق هذا المجال عن تعدادها – وبالطبع.. سميت هذه الأماكن بهذه الأسماء؛ نسبة إلى القبائل الأمازيغية التي تغلبت عليها، واستوطنتها.

ويبدو أن جل المناطق الشمالية التي تسمى بالثغر؛ كانت منازل للأمازيغ؛ نظرا لكون معظم أمراء تلك النواحي كانوا منهم؛ بل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحدثنا المصادر التاريخية؛ أن المدعو **مانوسة البربري** كان يتولى إمارة الثغر الشمالي الغربي بكامله؛ **((من حدود البرت إلى المحيط))**[1]. وعن منازل الأمازيغ في الأندلس يضيف حسين مؤنس: **((وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا ــ منذ العصر الأول ــ في نواحي شبه الجزيرة كلها. وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛ إذ لا تكاد تخلو ناحية من هذه النواحي، أو مدينة من مدنها من منازل بربرية... بيد أننا نستطيع القول: بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد؛ أو التي ولي عليها أمراء بني أمية، وخلفاؤهم ولاة من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أومن أهل البلاد. ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر**

---

[1] فجر الأندلس، ص: **384**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البربري؛ لأن حكم هذه النواحي كان لا يقوم إلا على عزْوَة، وعصب متأصلين))[1].

ثم يكمَل حسين مؤنس قوله؛ معلقا على ما كتبه ابن حزم عن أمراء الثغر من الأمازيغ: ((أضف إلى ذلك؛ أن مجموعة منازل البربر التي ذكرها ابن حزم تكَوِّنُ خطًّا واحدا؛ يبدأ من نواحي جبال ألبرت؛ عند لاردة، ووشقة؛ ثم ينحدر إلى ناحية مدينة سالم (قاعدة الثغر الأوسط فيما بعد)؛ فقد نزلها بنو سالم من البرانس، وأعطوها اسمهم؛ وسكن إلى جوارهم بنو الفرج، وبنو عوسجة. وفي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم؛ والتي تضم شنتبرية، والسهلة، ووادي الحجارة؛ نجد كتلة بربرية ضخمة تعمر هذه النواحي كلها إلى أحواز طليطلة؛ وهذه الكتلة تتكون من بني الفرج، وبني سالم، وبني عوسجة، وبني صبرون بن شبيب، وآل وهب بن عامر الهواريين؛ وكل هؤلاء من البرانس؛ ثم بني عزون، وبني بلال، وبني نعمان؛ وكلهم من البتر. وتمتد هذه الكتلة البربرية شرقا؛ فتشمل تيروان؛ حيث نزل بنو غزلون،

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 382 ـــ 383.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وناحية البونت؛ حيث نزل بنو قاسم؛ ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ــ بناء على البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة ــ فتشمل مناطق طلبيرة (جنوب طليطلة)، ومماردة، وقورية؛ بين التاجه، والدويرة؛ ثم تصل إلى ساحل المحيط؛ عند قلنبيرة؛ حيث نجد فرعا من بني عوسجة، وبني دانس؛ عند قصر أبي دانس. ويذكر ابن حزم فرعا من بني الفرج استقروا في طرسونة؛ أي فيما يلي جبال ألبرت؛ من نواحي غالة؛ وهذه الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا يعمرون النواحي القصية من الأندلس؛ والذين كانوا يمتدون بحذاء خليج بسكاية؛ ويعمرون حوض نهر المنيو، ويتوغلون في جليقية))[1].

ومع مرور الزمن اندمج أمازيغ الأندلس بأهل تلك الديار؛ واختلطوا بهم، وبالعرب المقيمين هناك؛ وتزاوجوا فيما بينهم، وارتووا جميعهم بثقافة واحدة؛ تعذر بعدها الفرز بين من هو مولد من الأندلسيين، ومن هو عربي من الفاتحين، أو هو من الأمازيغ المهاجرين؛ فأضحوا يطلقون على أنفسهم اسم **البلديين**؛

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 384 ــ 385.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفريقا بينهم وبين **المهاجرين** الجدد. وكان الأمازيغ أسرع للاندماج مع أهل البلاد الأصليين من العرب. ويعود السبب في ذلك ــ كما يقول حسين مؤنس ــ إلى **العصبية** المهيمنة على سلوك العرب.

هذا ما سمح به المجال في هذا الباب. وبقي علينا الانتقال إلى الحديث عن القبائل الأمازيغية؛ **بتقسيماتها**، **وأنسابها**، **ومواطنها**، **وأعيانها**، **والأدوار الهامة** التي قامت بها؛ عبر التاريخ. ونظرا لما سبق ذكره عن سلسلة نسب مادغيس الأبتر، وبرنس؛ وما توصلنا إليه من عدم ثبوت سلسلة الآباء؛ لما بعد **مادغيس الأبتر**، **وبرنس**؛ وتضارب الأقوال في هذا الأمر؛ فإنني سأكتفي بذكر أهم القبائل التي تفرعت عن هذين الجذمين: **البتر**، **والبرانس**. علما بأن التقسيمات الاصطناعية، والمراتب المتداولة بين النسابين العرب؛ لا يمكن إتباعها بدقة؛ في هذا المجال؛ بسبب عدم وضوحها في المجتمع القبلي الأمازيغي. وكل ما يمكن تقريره هنا.. هو اعتبار المراتب المتفرعة عن البتر، والبرانس بمثابة **أحلاف** أو **جمهرات**؛ تتفرع بدورها إلى قبائل، ثم بطون، وأفخاذ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهـــذه المتسميـــات ــ بالطبـــع ــ مجازيـــة؛ وليســـت اصطلاحـــات ثابتـــة. والغـــرض مـــن استعمالهـــا ــ هنـــا ــ هـــو الرغبـــة في التوضيـــح، وتسهيـــل الفهـــم.

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القبائل البترية

فإذا كان النسابة الأمازيغ، والعرب قد أسندوا عبارة **أبتر** إلى **مادغيس**؛ فإن بعض الباحثين المحدثين لا يخفون شكهم في صحة ذلك؛ إذ منهم من يعتقد أن هذه التسمية؛ من مبتكرات العرب؛ الذين أطلقوها على القبائل الأمازيغية التي كانت ترتدي لباسا قصيرا، وأبترا. وبذلك أضحت هذه التسمية علما يختصون به. وهذا التفسير ـ وإن كان منطقيا ـ فهو يفتقر إلى السند التاريخي. وقال آخرون أن **براً** أنجب ولدين: علوان، ومادغيس؛ فمات علوان في صغره، وبقي مادغيس فريدا؛ فلقب بالأبتر؛ أي أصبح مبتورا، ومقطوعا. وهذه الحكاية تدخل في سياق ما أشرنا إليه من أساطير. ومنهم من يصر ـ أيضا ـ على اعتبار القبائل البترية قبائل وبرية؛ تجري وراء النجعة. ويعتقد هؤلاء بأن هذه القبائل تشكلت؛ من خلال اتحادات قبلية؛ تعتمد في عيشها على الجمال، والرحلة من مكان إلى آخر؛ بتشجيع، ومباركة الأباطرة الرومان. وعليه تكون القبائل البترية ـ في نظرهم ـ هي **قبائل**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبرية؛ بينما يضعون القبائل البرنسية في عداد **القبائل المدرية**؛ التي تركن إلى الاستقرار. ويبدو أن مرجعهم في هذا التعليل يستند إلى الكلمتين اليونانيتين: **Botros بوتروس**؛ التي تعني البدو، والرعاة. ثم **Baranos برانوس** التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار. ومع أن هذا التفسير فيه كثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على القبائل البترية كافة؛ حيث ثبت أن بعض البطون البترية اختارت حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ منها بطون من: **نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغلية، ومديونة**...الخ. ويبدو أن مبعث هذا الاعتقاد؛ هي النظرة الأولية لتلك القبائل؛ التي تميزت في العصور الأولى بظاهرتي: البداوة، والترحال. غير أن بعض البطون اختارت ـــ فيما بعد ـــ الحياة المستقرة.

ونظرا لغياب الدليل القاطع؛ يستحسن التسليم بالرأي القائل بوجود أب للقبائل البترية؛ يدعى **مادغيس الأبتر**؛ لأن النًسابة الأمازيغ أنفسهم أجمعوا على هذا. على أنه يمكن اعتبار كلمة أبتر؛ صفة لأسلوب عيش مادغيس، وأبنائه؛ ذلك الأسلوب الذي يتميز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالبداوة. والأخذ بهذا الرأي لا يعني التسليم بالتعليل اللغوي؛ الذي يفسر الكلمة باللباس الأبتر؛ أو أسطورة تلقيب مادغيس بالأبتر؛ بعد موت أخيه علوان. كما أميل ـ أيضا ـ إلى رواية النسابين الأمازيغ؛ التي تفيد بأنه كان لمادغيس الأبتر ولد يدعى **زحيك** أو (زجيك)؛ وعنه تفرعت قبائل أربع؛ هي من الكبر؛ والضخامة؛ إلى حد يمكن وضع كل حي منها في مرتبة أعلى من مستوى قبيلة. قد يكون في مستوى **شعب**، أو **جمهرة**. وذلك في حال إتباع الترتيب الاصطناعي المعروف لدى النسابين. وهكذا.. فالأحياء التي تفرعت عن زحيك تنتسب إلى أبنائه الأربعة؛ وهم: **أداس**، **وضرا** أو (ضري)، **ولوا**، **ونفوس**. وهذه الأحياء هي: **أداسة**، **وضريسة**، **ونفوسة**، ثم أبناء **لوا الأكبر** (لواتة، ونفزاوة).

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 ــ أداســــــة:

وهـــم أبنـــاء **أداس بـــن زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.** وقـــد التحقـــت قبائـــل أداســـة، وبطونهـــا بأحيـــاء هـــوارة البرنسيـــة؛ لأن أم أداس تزوجـــت ــ بعـــد زحيـــك ــ بوالـــد هـــوار (أوريـــغ بـــن برنـــس)؛ حســـب الروايـــة المنسوبـــة إلى نسابـــة الأمازيـــغ. وقـــد تفرعـــت عـــن أداســـة بطـــون، وأفخـــاذ عديـــدة؛ لا يعـــرف عنهـــا الكثيـــر؛ بسبـــب التحـــامهـــا بقبائـــل هـــوارة؛ فتداخلـــت أخبارهـــم جميعـــا. وعليـــه.. سنكتـــفي بذكـــر أسمـــائهـــا؛ وهي: أنـــدارة، **وأوطيطـــة، وترهونـــة، وصنبـــرة، وهداغـــة، وهترولـــة، وشتاتـــة.**

***

ــ *مواطنهـــم*: ذكـــر ابـــن خلـــدون ــ نقـــلا عـــن المسعـــودي والبكـــري ــ أن مواطـــن **بـــني أداس** تدخـــل في **موطـــن هـــوارة**؛ بحكـــم الجـــوار، والحلـــف. وكانـــت مواطـــن هـــوارة عنـــد الفتـــح الإســـلامي في جهـــات **طرابلـــس**، ومـــا يليهـــا إلى **برقـــة.** وكـــان بعضهـــم مستقـــرا في أوســـاط مَدَريَّـــة، وبعضهـــم الآخـــر أهـــل وبـــر وظواعـــن؛ طلبـــا للنجعـــة. وعليـــه.. فقـــد توغلـــت أحيـــاء منهـــم في القفـــار؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قاطعة المفازة الكبرى؛ متجاورة، ومتشاركة ــ في تلك الربوع ــ مع أحياء **لمطة**؛ بمحاذاة **السودان**[1]. وما يقال عن هوارة يصح قوله عن قبائل **أداسة**.

É É É

2 ــ ضريسة:

تنسب قبيلة ضريسة إلى **ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر**. وعن ضري تفرعت: القبائل المعروفة **ببني فاتن بن تمصيت بن ضري**، والقبائل المنسوبة إلى **يحيى بن ضري**. فقبائل **فاتن** هي: **درنة، وصدينة، وصطفورة** (التي عرفت فيما بعد باسم كومية)، **وكشاتة، ولماية، ومديونة، ومطغرة، ومطماطة، ومغيلة، وملزوزة**. أما قبائل **يحيى بن ضري** فهي: **زناتة، وزوارة، وزواغة، ومكناسة**. وسيقتصر كلامنا على القبائل التي لها ذكر في تاريخ المغرب؛ أما القبائل الأخرى فنتركها؛ لعدم الفائدة منها[2]. ومن أعيان ضريسة المذكورين؛

---

[1] ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 170 . 229 ــ 230.

[2] نفسه، ص ص: 180 ــ 181.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذين احتفظوا باسم القبيلة الأم؛ النسابة الشهير **هاني بن بكور الضريسي**.

É É É

أ ـ بنو فاتن:

تكاد القبائل البترية بكاملها تجتمع ضمن جمهرتين عظيمتين: تنتمي الأولى إلى **فاتن بن تمصيت بن ضري**، وتنتسب الأخرى إلى **يحيى ابن ضري**. وقد انتشرت هاتان الجمهرتان ـ بقبائلهما ـ عبر بلاد المغرب كلها. وكان لهما أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي. واختصت قبائل بني فاتن ـ قديما ـ بمواطنها الأولى في المغرب الأقصى؛ ثم تفرقت جموعهم ـ فيما بعد ـ عبر المغربين: الأوسط، والأدنى. كما توغلوا في القفار الداخلية. وأهم قبائلهم هي:

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(1) ـ كوميـــــة:

هــم مــن أبنــاء **فاتــن**. وكانــت هــذه القبيلــة تعــرف ـ في القديــم ـ باســم **صطفــورة**. وتفرعــت عنهــا ثــلاث عمائــر؛ هــم: **بنــو يلــول، وصغــارة، وندرومــة**. وكوميــة ـ كمــا هــو معلــوم ـ هي قبيلــة عبــد المؤمــن بــن علــي (ت: سنــة 558هـ/1162م)؛ مؤســس الدولــة الموحديــة. وهــو مــن بيــت **بــني عابــد**؛ المتوطنيــن **بحصــن تاجــرا**؛ بالجبــل المشــرف عــلى مدينــة **هنيــن**؛ في ناحيتــه الشرقيــة. هــذا وقــد تميــزت هــذه القبيلــة ـ في العهــد الموحــدي ـ بكثــرة العــدد، ومضــاء الشوكــة؛ حيــث كانــت تشكــل القــوة الضاربــة، والرادعــة في عهــد عبــد المؤمــن. فــهي درعــه، وعصبتــه. ولمــا كانــت الدولــة تعتمــد عــلى هــذه القبيلــة في صــد المخاطــر كافــة، وقمــع أهــم الفتــن، والثــورات؛ فقــد أهلكــت أبناءهــا الحــروب، وأكلتهــم الأقطــار الواسعــة؛ فانقرضــوا مــع مــرور الوقــت. وبقيــت منهــم ـ في عهــد ابــن خلــدون ـ فئــات صغيــرة؛ بمواطنهــم الأولى؛ **كبــني عابــد، وبــني سنــوس**؛ وهــم جميعــا ـ في تلــك الآونــة ـ مــن القبائــل الغارمــة؛ بعــد أن أذلتهــم قبائــل زناتــة، وإماراتهــا[1].

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 257 ـــ 261.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذكـــر عبـــد الواحـــد المراكـــشي؛ في كتابـــه المعجـــب؛ هـــذه القبيلـــة؛ فقـــال بأنهـــا كانت قبـــل ظهـــور الموحديـــن قبيلـــة كثيـــرة العـــدد؛ ولكنهـــا لـــم تصـــل إلى مرتبـــة الرئاســـة مـــن قبـــل؛ حيـــث كـــان أبناؤهـــا يعملـــون في الفلاحـــة، والـــرعي، والتجـــارة البسيطـــة بالأســـواق[2]. بذلـــك يمكـــن تصنيفهـــم مـــن بيـــن أهـــل المـــدر؛ مـــن سكـــان الأريـــاف.

! ! !

ــ ***أعيانهـــم:*** سِجـــلُّ هـــذه القبيلـــة يزخـــر بالأعيـــان، وعظمـــاء الرجـــال؛ منهـــم الملـــوك، والقـــادة، والرؤســـاء. كمـــا نبـــغ مـــن بينهـــم رجـــال علـــم، وأدب؛ نبـــدأ بهـــم:

ــ هـــاني بـــن مصـــدور بـــن مَريـــس بـــن نقـــوط. وهـــو النسابـــة الذائـــع الصيـــت في أقطـــار المغـــرب كلهـــا.

ــ ثـــم أبـــو محمـــد عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي بـــن مخلـــوف بـــن يعـــلى بـــن مـــروان الكـــومي (تـــوفي بربـــاط ســـلا ســـنة 558هـــ)؛ بينمـــا كـــان متجهـــا إلى الأندلـــس للجهـــاد. وهـــو المؤســـس الفعـــلي للدولـــة

---

[2] المعجـــب، ص: 339.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموحدية ببلاد المغرب. ولد ببلدة تاجرت (تاجرا) بالقرب من تلمسان؛ من والدين بسيطين؛ إذ كان والده صانع فخار. خرج من بلدته سعيا وراء العلم؛ فالتقى بابن تومرت في طريقه؛ قرب بجاية؛ فلازمه؛ وتحالفا على الإطاحة بالدولة اللمتونية. ثم عاد أدراجه مع ابن تومرت نحو المغرب؛ أين أشعلا الثورة على المرابطين. وبموت ابن تومرت أسند إليه الموحون مهام الخلافة؛ فأورثها بنيه؛ بعد تشييده الدولة الموحدية الكبرى؛ التي امتدت من الأندلس شمالا إلى المفازة الصحراوية جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى برقة شرقا. ولم تقتصر مناقبه على براعته في الحكم وإدارة الدولة، وقيادة الجيوش فحسب؛ بل يعتبر من العلماء؛ في الشريعة، كما كان ضليعا في فنون الأدب. وقد أورد المراكشي قصيدة له قالها مستنفرا عرب هلال؛ حاثا إياهم على الغزو ببلاد الأندلس: غير أن عبد الملك بن صاحب الصلاة ينسبها لكاتب عبد المؤمن عبد الملك ابن عياش؛ وإن كانت شاعرية عبد المؤمن حقيقة لا تنكر[1].

[1] المعجب، ص: 225. تاريخ المن بالإمامة، ص: 415.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقِيمُوا إلى العَلْيَاءِ هُـــوجَ الرَّوَاحِـــلِ
وَقودُوا إلى الهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِـــلِ
وَقُومُوا لِنَصْـــرِ الدِّينِ قَوْمَـــةَ ثَائِـــرٍ
وَشُدُّوا عَلَى الأعْدَاءِ شَـــدَّةَ صَائِـــلِ
فَمَا العِـــزُّ إلاَّ ظَهْرُ أجْـــرَدَ سَابِـــحٍ
يَفُوتُ الصَّبَـــا فِي شَدَّةِ المُتَوَاصِـــلِ
وَأبْيَـــضَ مَأثُـــورٍ كَـــأنَّ فِرِنْـــدَهُ
عَلَى المَـــاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بِسَائِـــلِ
بَنِي العَمِّ مِنْ عُلْيَـــا هِلاَلِ بْنِ عَامِـــرِ
وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِـــلِ
تعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إلَى الغَـــزْوِ نِيَّـــةٌ
عَوَاقِبُهَـــا مَنْصُـــورَةٌ بِالأوَائِـــلِ
هِيَ الغَزْوَةُ الغَرَّاءُ وَالمَوْعِـــدُ الَّـــذِي
تَنَجَّـــزَ مِنْ بَعْدِ المَـــدَى المُتَطَـــاوِلِ
بِهَا تُفْتَحُ الدنْيَـــا، بِهَـــا تُبْلَغُ المُـــنَى
بِهَا يُنْصَفُ التَّحْقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِـــلِ
أهَبْنَا بِكُمْ لِلْخَيْـــرِ وَاللَّـــهُ حَسْبُنَـــا
وَحَسْبُكُمُو وَاللَّـــهُ أعْـــدَلُ عَـــادِلِ
فَمَـــا هَمُّنَـــا إلاَّ صَلاَحُ جَمِيعِكُـــمْ
وَتَسْرِيحُكُمْ فِي ظِلِّ أخْضَرَ هَاطِـــلِ
وَتَسْوِيغُكُمْ نُعْمَى تَـــرِفُّ ظِلاَلُهَـــا
عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ عَاجِـــلٍ غَيْـــرَ آجِـــلِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَـــلاَ تَتَوَانَـــوا فَالبِـــدَارُ غَنيمَـــــــة
وَلِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَـــاءُ المَنَاهِـــلِ

ومـــع حـــب عبـــد المؤمـــن للعلـــم والعلمـــاء، ومشاركاتــه الشعريــة، والأدبيــة؛ إلاَّ أنَّ عشقــه للحـــرب، وفنونهـــا مَلَــكَ عليــه مشاعـــره. وفي هـــذا أورد المراكـــشي خبـــرا عـــن أبي جعفـــر أحمـــد بـــن عطيـــة؛ وزيـــر عبـــد المؤمـــن؛ قـــال: **((دخلـــت عـــلى عبـــد المؤمـــن؛ وهـــو في بستـــان لـــه قـــد أينعـــت ثمـــاره، وتفتحـــت أزهـــاره، وتجاوبـــت عـــلى أغصانهـــا أطيـــاره، وتكامـــل في كـــل جهـــة حسنـــه؛ وهـــو قاعـــد في قبـــة مشرفـــة عـــلى البستـــان؛ فسلمـــت، وجلســـت، وجعلـــت أنظـــر يمنـــة، وشمـــأة؛ متعجبـــا ممـــا أرى مـــن حســـن ذلـــك البستـــان؛ فقـــال لي: يـــا أبـــا جعفـــر؛ أراك كثيـــر النظـــر إلى هـــذا البستـــان؛ قلـــت: يطيـــل اللـــه بقـــاء أميـــر المؤمنيـــن؛ واللـــه إن هـــذا لمنظـــر حســـن... فسكـــت عـــني؛ فلمـــا كـــان بعـــد يوميـــن أو ثلاثـــة؛ أمـــر بعـــرض العسكـــر؛ آخـــذي أسلحتهـــم؛ وجلـــس في مكـــان مطـــل؛ وجعلـــت العسكـــر تمـــر عليـــه؛ قبيلـــة بعـــد قبيلـــة، وكتيبـــة إثـــر كتيبـــة... فلمـــا رأى ذلـــك التفـــت إلي وقـــال: يـــا أبـــا جعفـــر؛ هـــذا هـــو المنظـــر الحســـن؛**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا ثمـارك، وأشجـارك))[1]. ويقـال أنهـم وجـدوا علـى ظهـر كتـاب الحماسـة؛ الـذي كـان يطالعـه؛ أبياتـا بخـط يـده جـاء فيهـا:

وَحَكِّمِ السَّيْـفَ لاَ تَعْبَـأ بعَاقِبَـةٍ
وَخَلِّهَا سِيـرَةً تَبْقَى عَلَى الحِقَـبِ
فَمَا تُنَـالُ بِغَيْـرِ السَّيْـفِ مَنْزِلَـةٌ
وَلاَ تُرَدُّ صُـدُورُ الخَيْـلِ بِالكُتُـبِ

ومـن شعـره قصيـدة بعـث بهـا ــ ضمـن رسالـة ــ مبشـرا ابنـه بانتصـاره علـى النصـارى، وفتحـه للمهديـة؛ قـال فيهـا:

وَلَمَّـا قَضَيْنَـا بِالمَشَـارِق أَمْرَنَـا
وَتَمَّ مُـرَادُ اللَّـهِ فِي كلِّ مَطْلَـبِ
وَأشْرَقَتِ الشَّمْـسُ المُنِيـرَةُ فَوْقَنـَا
وَأَصْبَحَ وَجْـهُ الحَقِّ غَيْرَ مُحَجَّـبِ
وَطُهِّرَ هَذَا الصُّقْـعُ مِنْ كُلِّ كَافِـرٍ
وَعَـادَ بِهَا الإِسْـلاَمُ بَعْـدَ تَغَيُّـبِ
وَكُسِّرَتِ الصُّلْبَـانُ فِي كلِّ بَيْعَـةٍ
وَنَادَى مُنَادِي الحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَـبِ
أشَرْنَـا بأعْنَـاقِ المَـطِيِّ إِلَيْكُـمُ
فَطَارَ بِهَا شَأوُ السُّـرُورِ بِمَغْـرِبِ

---

[1] المعجـب، ص ص: 201 ـــ 202.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَابْشِــرْ أبَا حَفْصٍ بِنَصْـر مُــؤَزَّر
كَفِيلٍ بِمَا تَبْغِيــهِ فِيً كُلِّ مَذْهَــبِ
وَلاَ بُــدَّ فِي يَوْمِ أغَــرَّ مُحَجَّــل
يُسِيلُ دِمَاءَ الكُفْرِ فِيً كُلِّ مَذْهَــبِ
وَتُشْــفَى صُدُورُ الْمُؤْمِنِيــنَ بِغَــزْوَةٍ
تَكُونُ عَلَى حُكْمِ الحُسَامِ الْمُــدَرَّبِ
وَيَغْزُو بِلاَدَ الرُّومِ جَيْــشٌ عَرَمْــرَمٌ
تُخُيِّــرَ مِنْ قَيْسٍ وَأبْنَــاءُ يَعْــرُبِ
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَة الحَــقِّ مَعْشَــرٌ
بِجُمْلَــةِ مَا يَلْقَاهُ خَيْــرُ مُجَــرَّبِ
فَيُدْمَــغُ بِالصَّمْصَــامِ كُلُّ مُجَاهِــرِ
وَيُقْطَــعُ بِالبُرْهَــانِ كُلُّ مُشَغِّــبِ
فَطُوبَى لأهْلِ الغَــرْبِ مَاذَا يَرَوْنَــهُ
مِنَ النَّصْــرِ وَالفَتْحِ المُبِينِ الْمُقَــرَّبِ

وهكــذا تــرى؛ كيــف كــان عبــد المؤمــن يعتقــد في انتمائــه ــ هــو، ومــن معــه ــ إلى العــرب؛ الممثليــن بقيــس عيــلان، ويعــرب بــن قحطــان. ومــع هــذا.. لــم يقتصــر في معاناتــه الشعريــة عــلى أغــراض الحماســة فحســب؛ بــل يقــال أنــه خــرج يومــا؛ مــع وزيــره أبي جعفــر ابــن عطيــة في نزهــة؛ وشاهــد أثنــاء عودهمــا جاريــة في منتــهى الجمــال؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلف شباك من الخشب تنظر إليه؛ فقال مرتجلا:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَّاكِ إذْ نَظَرَتْ

فأجاز أبو جعفر بقوله:

حَوْرَاءُ تَرْنُو إلَى العُشَّاقِ بِالْمُقَلِ

فقال عبد المؤمن:

كَأنَّ لَحْظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال أبو جعفر:

سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِي

ـ **ثم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (ت: سنة 580هـ/1184م)؛ أحد سلاطين الدولة الموحدية العظماء. كان ـ إلى جانب منصبه السياسي ـ عالما بالعلوم الشرعية، والأدبية؛ وكان ملما بالحكمة، والفلسفة؛ ومحبا للعلماء، وأهل الفكر؛ إذ جلب إلى بلاطه نخبة من علماء عصره آنذاك؛ مثل: ابن الطفيل، وابن رشد، وابن زهر وغيرهم. ووصفه المراكشي بقوله: **((كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إيثار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ـ الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري ـ حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلوّ همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيرا من أجزائها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله الأموي.))[1]. وكانت علامته **((الحمد لله وحده))**؛ وسك الدنانير اليوسفية.

---

[1] المعجب، ص ص: 237 ـــ 238.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أبو يوسف المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الكومي (ت: سنة 595هـ/1198م)؛ كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ ترك بصماته بارزة في نظام الدولة، ومؤسساتها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فهو إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية؛ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية لا بأس بها؛ ولكنه يتميز بالتعصب إلى مذهبه، وبقمع الأفكار المتجددة النيرة، وبكبحه لكل مبادرة أو اجتهاد. وفي عهده شهدت الدولة الموحدية تحولات مذهبية خطيرة؛ منها: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية؛ حيث ألزمهم حدودا سطرها بنفسه في الإفتاء؛ حاصرا ذلك فيما نص به القرآن الكريم، وما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق المراكشي في كتابه المعجب لتلك الأحداث بقوله[2]: ((**وفي أيامه انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة**

---

[2] المعجب، ص ص: 278 ــ 279.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب لبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكسا، والأموال؛ وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه، وجده)).

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: **((الحمد لله وحده))**، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عددا كبيرا من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح.

ـ ثم أبو الحسن علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنتمري الكومي المعروف بقنون أو (جنون) (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ كان من المحدثين والحفاظ؛ الذين يظهرون عناية بعلمهم؛ من مؤلفاته: البستان في علم القرآن، وفتح المنغلق وجمع المفترق، والزلفة والإرشاد إلى ما قرب وعلا من الإسناد، وغيره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم الأمير الشاعر **أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي** (ت: سنة 604 هـ/1207م)؛ كان واليا على بجاية؛ أين انهمك في محاربة ابن غانية، ومطاردته بسهوب إفريقية؛ ولما ولي سجلماسة سهر على مطاردة قطاع الطرق التجارية، ولصوص الصحراء، واعتنى بتمهيد السبل نحو إفريقية السوداء. ونقل المقري عن كتاب رحلة ابن حمويه السرخسي؛ خَبَرَ لِقَائِهِ بأبي الربيع؛ جاء فيه[1]: **((فرأيته شيخا بهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية؛ ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة؛ ينكر عليه تعويق التجار؛ قوله : نحن نتجاور بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلاَّبة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛**

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولــو شئنــا لاحتبسنــا مــن في جهاتنــا مــن أهــل تلــك الناحيــة؛ لكنــا لا نستصــوب فعلــه، ولا ينبــغي لنــا أن ننــهَى عــن خلــق ونــأتي مثلــه؛ والســلام)). ولأبي الربيــع كتــاب مختصــر الأغــاني، وديــوان شعــر. ويزعــم المراكــشي؛ في معجبــه؛ أن بعــض شعــره قــد يكــون منحــولا. ومــن شعــره؛ مقطــع أرسلــه لابــن عمــه؛ الخليفــة يعقــوب المنصــور؛ بعــد جفــوة حدثــت بينهمــا؛ فانتهــز مناسبــة قــدوم وفــد مــن العــرب، والغــز؛ مــن بــلاد الشــام؛ فاستأذنــوا المثــول بيــن يــدي الخليفــة؛ فكتــب إليــه أبي الربيــع هــذه الأبيــات:

يَا كَعْبَــةَ الجُودِ التي حَجَّــتْ لَهَــا
عَــرَبُ الشَّــآمِ وَغُزُّهَــا وَالدَّيْلَــمُ
طُوبَى لِمَنْ أمْسَى يَطُــوفُ بِهَا غَــدَاً
وَيَحِــلُّ بالبَيْــتِ الحَــرَامِ وَيُحْــرِمُ
وَمِنَ العَجَائِــبِ أنْ يَفُــوزَ بِنَظْــرَةٍ
مَنْ بالشَّــآمِ وَمَــنْ بِمَكَّــةَ يُحْــرِمُ

فاستحســن المنصــور قولــه، وعفــا عنــه. وفي مناسبــة أخــرى قــال يخاطــب المنصــور:

فَلأمْــلأنَّ الخَافِقَيْــن بِذِكْرِكُــمْ
مَا دُمْتُ حَيًّا نَاظِمــاً وَمُرَسِّــلاَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَلأَ بْذلَنْ نُصْحِيلَكُمْ جَهْدِي وَذا
جَهْدَ الُمقلِّ وَمَا عَسَى أنْ أفْعَــلاَ
وَلأخْلِصَنَّ لَكَ الدُّعَاءَ، وَمَا أنَــا
أهْــلٌ لَــهُ، وَلَعَلَّــهُ أنْ يُقْبَــلاَ

ولمــا فتحــت قفصــة؛ قــال هــذه القصيــدة؛ مهنئــا بهــا الخليفــة المنصــور:

هَبَّـــــتْ بِنَصْرِكُــمُ الرِّيَــاحُ الأَرْبَــعُ
وَجَــرَتْ بِسَعْدِكُــمُ النُّجُــومُ الطُّلَّــعُ
وَاسْتَبْشَــرَ الفُلْــكُ الأَثِيــرُ تَيَقُّنــاً
إنَّ الأمُــورَ إلَى مُــرَادِكَ تَرْجِــعُ
وَأمَــدَّكَ الرَّحْمَــنُ بالفَتْــحِ الَّــذي
مَــلأَ البَسِيطَــةَ نُــورُهُ الُمتَشَعْــشِــعُ
لِــمَ لاَ وَأنْــتَ بَذلْــتَ فِي مَرْضَاتِــهِ
نَفْســاً تُفَدِّيهَــا الخَلاَئِــقُ أجْمَــعُ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْــرِ الإِلَــهِ مُصَمِّمــاً
بِعَزِيمَــةٍ كَالسَّيْــفِ بَــلْ هِيَ أقْطَــعُ
لِلَّــهِ جَيْشُكَ وَالصَّــوَارِمُ تُنْتَــضَى
وَالخَيْــلُ تَجْــرِي وَالأَسِنَّــةُ تَلْمَــعُ

إلى أن يقــول في وصــف انهــزام الأعــداء:

إنْ ظَــنَّ أنَّ فِــرَارَهُ مُنْــجٍ لَــهُ
فبِجَهْلِــهِ قَدْ ظَــنَّ مَا لاَ يَنْفَــعُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيْنَ المَفَــرُّ وَلاَ فِــرَارَ لِهَــارب
وَالأرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ
أخَلِيفَـــة اللَّـــهِ الـــرِّضَى هُنِّيَتَـــهُ
فَتْـــحٌ يُمَدُّ بمَا سِـــوَاهُ وَيَشْفَـــعُ
فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزاً شَامِخــاً
وَلَبسْتَ مِنْهُ أنْـــتَ مَا لاَ يُخْلَـــعُ
هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّـــهِ أودِعَ فِيكُـــمُ
وَاللَّـــهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَـــعُ
لَكُمُ الهُدَى لاَ يَدَّعِيـــهِ سِوَاكُـــمُ
وَمَنِ ادَّعَـــاهُ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَـــعُ
إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الخَلائِـــقِ كُلِّهَـــا
فَإلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُومِي الإصْبَـــعُ
إنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِيـــنَ فَإنَّمَـــا
أنْتَ المُقَـــدَّمُ وَالخَلاَئِـــقُ تُبَّـــعُ
خُذْهَا أمِيـــرَ المُؤْمِنِيـــنَ مَدِيحَـــة
مِنْ قَلْبِ صِدْقٍ لَمْ يَشِنْهُ تَصَنُّـــعُ
فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي عُـــلاَكَ طَبِيعَـــةٌ
وَالمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إلَيـــْكَ تَطَبُّـــعُ

ولـــه أيضـــا هـــذه الأبيـــات المشهـــورة:

أقُولُ لِرَكْبٍ أدْلَجُـــوا بسُحَيْـــرَةٍ
قِفُوا سَاعَـــةً حَتَّ أزُورَ رِكَابَهَـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَأَمْلأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
وَأَشْكُو إِلَيْهَا أَنْ أَطَالَتْ عِتَابَهَا
فَإِنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوِصَالِ وَأَنْعَمَتْ
وَإِلاَّ فَحَسْبِي أَنْ رَأَيْتُ قِبَابَهَا

وكتب أبو الربيع توقيعا إلى عاملٍ لديه؛ كثرت شكاوى الناس منه: **((قد كثرت فيك الأقوال، وإغضائي عنك رجاء أن تتيقض؛ فتنصلح الحال؛ وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك؛ نسبة إلى شر الاختيار، وعدم الاختبار؛ فاحذر فإنك على شفا جرف هار))**[1].

ـ ثم الأمير الشاعر **أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن الكومي** (كان معاصرا لأبي الربيع)؛ ولي هو الآخر تلمسان، وبجاية؛ ولكنه عزل عنها؛ بسبب ما اتهم به من إهمال، وغفلة، وميله إلى شهواته، ومجالس الطرب. وكان أديبا، وشاعرا؛ كتب يوما إلى السلطان يعقوب المنصور يمدحه، ويطلب عونه؛ لتسديد ديونه؛ فقال:

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

وُجُـــوهُ الأمَـــاني بكُـــمْ مُسْفِـــرَهْ
وَضَاحِكَـــة لِـــيَ مُسْتَبْشِـــــــرَهْ
وَلِي أمَـــلٌ فِيكُـــمُ صَــــــادِقٌ
قريـــبٌ عَـــسَى اللّـــهُ قَدْ يَسَّـــرَهْ
عَــــلَيَّ دُيُـــونٌ وَتَصْحِيفُهَــــا
وَعِنْدَكُـــمُ الجُـــــودُ وَالمَغْفِـــرَهْ

ونقـــل صاحـــب نفـــح الطيـــب[2] عـــن السرخـــسي: **((كـــان هـــذا السيـــد أبـــو الحســـن قـــد ولي مملكـــة تلمســـان، وبجايـــة؛ ولـــه حكايـــات في الجـــود برمكيـــة، ونفـــس عاليـــة زكيـــة؛ كتـــب إليـــه السيـــد أبـــو الربيـــع يومـــا:**

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ يَوْمُ سُـــرُورٌ وَدَعَـــهْ
وَشَمْلُنا مُفْتَـــرِقٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نَجْمَعَـــهْ

فأجابـــه بقولـــه:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَـــهْ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بدْعَة فَهَلْ تَرَى أنْ نَدَعَهْ)).

---

[2] **نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 109.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم الفقيه المحقق القاضي **أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الكومي** (في بغية الرواد: البطوي) (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ فقيه مالكي؛ قال عنه ابن الأبار: **((سمع من أبيه، وتفقه به... وولي قضاء بلده. وكان حميد السيرة؛ مشاركا في الفقه، وعلم الكلام، معتنيا بالحديث، وروايته؛ معظما عند الخاصة، والعامة؛ وجمع من الدواوين شيئا عظيما. وله كتاب في غريب الموطأ، وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار؛ في عشرين سفراً؛ في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وغير. ذلك. وحدث، ودرس))**[1]. من مؤلفاته التي لم يذكرها ابن الأبار: التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية، ونظم العقود ورقم الحلل والبرود، والإقناع في كيفية الأسماع، والفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. وكعينة من نظمه؛ وإن دخلت في سياق النظم لا الشعر؛ بيتان أجمل فيهم أحاديث البخاري:

جَمِيعُ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِ الذِي رَوَى
البُخَارِي خَمْسَة وَسَبْعُونَ فِي العَدَدِ

[1] التكملة لكتاب الصلة، ج: 2، ص: 623.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَسَبْعَــةَ آلاَفٍ تُضَــافُ وَمَــا بَــقِي
إلاَّ مَائَتيْــنِ عَــدَّ ذَاكَ أولُــوا الجَــدِّ

ـ ثـم أبـو العـلاء المأمـون إدريـس بـن يعقـوب ابـن يوسـف بـن عبـد المؤمـن الكـومي (ت: سنـة 630هـ/1232م)؛ فعـلى الرغـم مـن سعـة معارفـه، وفصاحتـه، وشاعريتـه، وتمكنـه مـن العلـوم الشرعيـة، والأدبيـة، ومعرفتـه بالقـراءات، وضبطـه للروايـات، وحسـن تلاوتـه، وقدرتـه عـلى الحفـظ، واستيعابـه لكتـب الحديـث ـ إذ كـان يُقـْرِئ كتبهـا أيـام حكمـه؛ مثـل: الموطـأ، وصحيـح البخـاري، وسنـن أبي داود ـ وعـلى الرغـم مـن بلاغتـه، وجـودة إنشائـه، وتضلعـه في علـوم اللغـة العربيـة وآدابهـا؛ ومـا كـان عليـه مـن شجاعـة، وإقـدام؛ إلا انـه اتصـف أيضـا بالطغيـان، والجبـروت، والتعطـش إلى سفـك الدمـاء. وكـان أول مـن أدخـل الفرنجـة إلى بـلاد المغـرب؛ بغـرض قمـع المناوئيـن لـه؛ مقابـل شـروط ثقيلـة؛ منهـا: تنازلـه عـن عـدد مـن الحصـون والقـلاع بالأندلـس، والسمـاح ببنـاء كنيسـة للنصـارى بمراكـش. ولمـا افتـك الحكـم بمساعـدة جنـد الإفرنـج؛ قبـض عـلى خصومـه مـن شيـوخ الموحديـن؛ وقتلهـم عـن آخرهـم. ثـم غيـر رمـوز الدولـة المُنوِّهَـة بالإمـام المهـدي؛ مـن:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سكة، وخطبة...الخ وفي عهده بدأت الدولة الموحدية تتفكك. وهذا نص كتبه صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ يعطينا صورة عن هذه الشخصية المتناقضة؛ لهذا السلطان الدموي[1]: **((فصعد المنبر، بجامع المنصور، وخطب الناس، ولعن المهدي وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم؛ أنه لا مهدي إلا عيسى؛ وأنا قد نبذنا أمره النحيس... وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة، وإزالته عن الدنانير والدراهم، ودور الدراهم المركنة التي كان ضربها المهدي... فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين، وأشرافهم؛ فقتلوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد، ولم يراع والدا ولا ولد؛ حتى أنه أوتي بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد حفظ القرءان؛ فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث؛ قال ما هي؟ فقال: صغر سني، وقرب رحمي منك، وحفظي لكتاب الله العزيز؛ فنظر إلى القاضي المكيدي كالمستشير له؛ ثم قال له: كيف رأيت قوة جأش**

---

[1] ص ص: 167 ـــ 168.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الغلام، وإقدامه على الكلام في هذا المقام؟ فقال له القاضي: يا أمير المؤمنين إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حسبتها أربعة فاجرا كفارا؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حسبتها أربعة آلاف رأس وست مائة رأس؛ كان زمان الصيف؛ فنتنت منها المدينة؛ وتأذى الناس من روائحها؛ فرفع إليه ذلك؛ فكان من جوابه أن قال: هنا مجانين، وتلك رؤس لهم أحراز؛ لا يصلح حالهم إلا بها؛ وإنها لعطرة عند المحبين، ونتنة عند المبغضين؛ ثم أنشد إرتجالا:

أهْلُ الحَرَابَةِ وَالفَسَادِ مِنَ الوَرَى
يُعْزَوْنَ فِي التَّشْبِيهِ لِلذُّكَّارِ
ففَسَادُهُ فِيهِ الصَّلاَحُ لِغَيْرِهِ
بالقَطْعِ وَالتَّعْلِيقِ بِالأشْجَارِ
مَرْآهُمُ ذِكْرى إذَا مَا أبْصَرُوا
فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأسْوَارِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاة أرْبَاب النُّهَى
وَالعَدْلُ مَألُوفٌ بِكلِّ جِوَارِ
لَوْ عَمَّ حِلْم اللَّهِ كَافَّة خَلْقِهِ
مَا كَانَ أكْثرُهُمْ مِنْ أهْلِ النارِ)).

ـ ثم **شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي** الشهير بابن العفيف التلمساني (توفي بدمشق في حياة والده سنة 688هـ/1289م)؛ وكان شاعرا رقيق الطبع، لطيف المعنى، حسن السبك. جاء في كتاب فوات الوفيات؛ نقلا عن القاضي شهاب الدين بن الفضل قوله فيه: **((لم يأت إلا ما خف على القلوب، وبريء من العيوب؛ رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يَطْرَب، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان؛ وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره؛ وخاصة أهل دمشق؛ فإنه بين غمائم حياضهم رُبِيَ؛ وفي كمائم رياضهم حُبِيَ؛ حتى تدفق نهره، وأينع زهره؛ وقد أدركت جماعة من خلطائه لا**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يــرون عليــه تفضيــل شاعــر، ولا يـــرون لـــه شعـــرا إلا وهــم يعظمونـــه كالمشاعـــر... وأكثـــر شعـــره ــ لا بـــل كلـــه ــ رشيـــق الألفـــاظ؛ لا يخلـــو مـــن الألفـــاظ العاميـــة، ومـــا تحلـــو بـــه المذاهـــب الكلاميـــة؛ فلهـــذا عَلَـــق بكـــل خاطـــر، وولـــع بـــه كـــل ذاكـــر))[1]. هـــذا.. ولـــه ديـــوان شعـــره تـــم نشـــره مـــرات عديـــدة، كمـــا أخـــرج لـــه حـــجي خليفـــة مقامـــات العشـــاق في ورقتيـــن. وهـــذه بعـــض المقاطـــع مـــن شعـــره:

بِلاَ غَيْبَـــةٍ لِلْبَدْرِ، وَجْهُـــكَ أجْمَـــلُ
وَمَـــا أنـــا فِيمَـــا قُلْتـــهُ مُتَجَمِّـــلُ
وَلاَ عَيْـــبَ عِنْـــدِي لَـــوْلاَ صِيانَـــة
لَدَيْـــك بِهَا كُـــلُّ امْـــرِيءٍ يَتَبَـــذلُ
لِحَاضُك أسْيَـــافٌ ذكُورٌ فَمَا لَهَـــا
كَمَا زَعَمُـــوا مِثْلِ الأرَامِيـــلِ تغْـــزلُ
وَمَا بَالُ بُرْهَـــانِ العـــذار مُسَلِّمـــاً
وَيَلْزَمُـــــهُ دُورٌ وَفِيـــهِ تَسَلْسُـــــلُ
وَعَهْدِيَ أنَّ الشَّمْسَ بالصَّحْوِ آذنَـــتْ
فَمَا بَالُ سُكْرَى مِنْ مُحَيَـــاك يُقْبِـــلُ
كَأنَّـــك لَمْ تُخْلَـــقْ لِغَيْـــرِ نَوَاظِـــر
تُسَهِّدُهَـــا وَجْـــداً وَقَلبـــاً تُعَلِّـــلُ

---

[1] فـــوات الوفيـــات ج: 3، ص: 373.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حَبيبي لِيَهْــنِ الحُسْــنَ أَنَّكَ حُزتــَهُ
وَيَهْــنِ فُــؤَادِي أَنَّــهُ لــَكَ مَنْــزِلُ
إذا كُنتَ ذَا ودٍّ صَحِيــحٍ فَلَمْ يَكُــنْ
يَضُــرُّنيَ العُــذالُ حَيْــثُ تقَوَّلُــوا
رَأوْا مِنْكَ حَظِّي فِي المَحَبَّــة آخــراً
لِــذَا حَرَّفُوا عَنِّي الحَدِيــثَ وَأوَّلُــوا

ولــه أيضــا:
بعَيْنَيْــك هَذِي الفَاتِرَاتُ الَّتي تسْــبي
يَهُــونُ عَلَيَّ اليَوم قَتْــلِيَ يَا حُــبِّي
إذَا مَا رَأتْ عَيْــني جمَالَكَ مُقْبــلاً
وَحَقِّكَ يَا رَوحِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ
وَإنْ هَــزَّ عَطْفَيْكَ الصَّبَــا مُتَمَايــلاً
أضَاعَ الهَوَى نُسكِي وَغُيِّبْتُ مِنْ لُــبِّي
فَدَعْني وَهَذَا الخَــدَّ أعْصِــرُ فِي فَمِي
عَنَاقِيــدَ صُدْغيْهِ وَحَسْبي بِهِ حَسْــبِي
لَوَ أنَّ تُجارَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْب شَاهَــدُوا
ثَنَايَاك مَا عَنوا عَلَى اللُّؤ لؤِ الرَّطْــبِ
أيَا سَــاقِيَ الكَأسِ الَّذِي زَادَ خَــدُّه
عَلَيْهَا احْمِرَاراً عد بالكَأسِ عَنْ صحْبي
وَمَــا ذَاكَ بُخْــلاً بالمُــدَام وَإنَّمَــا
إذَا لُحْت لَمْ آمَنْ عَلَيْهمْ مِنَ السَّلْــبِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَباللَّهِ قُلْ لِي أيُّها الظَّبْيُ كَيْفَ قــَدْ
تَعَلَّمْتَ صَيْدَ الأسْدِ فِي شَرَكِ الهــُدْبِ
وَمَا الَّذِي قَدْ بعْتَ فَاسْتَرْهَنْـــتَ بـــهِ
لَدَيْكَ الربى رَهْنـــاً كَثِيباً مِنَ الكثْـــبِ
فَخُذْ قِصَّة الشَّكْوَى مِنَ الأعْيُنِ الَّــتِي
نَفَيْـــتَ لَذِيذَ النَّـــوْمِ عَنْهَا بِلاَ ذَنْـــبِ
وَلاَ تَعْتَبَـــنْ صَبًّـــا تَهَتَـــكَ سِتْـــرُهُ
عَلَيْكَ فَهتْكُ السِّتْرِ أَلْيَــقُ بِالصَّـــبِّ

وقـــال أيضـــا:

أعَــزَّ اللَّـــهُ أنْصَـــارَ العُيُـــونِ
وَخَلَّـــدَ ملْكَ هَاتِيـــكَ الجُفُـــونِ
وَضَاعَفَ بالفُتـــُور لَهَا اقْتِـــدَاراً
وَإنْ تَكُ أضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِيـــنِي
وأبْـــقَى دَوْلَة الأعْطَـــافِ فِينـــا
وَإنْ جَارَت عَلَى القَلْبِ الطَّعِيـــنِ
وَأسْبَـــغَ ظِلَّ ذَاكَ الشّعْـــرِ يَوْمـــاً
عَلَى قَدّ بـــهِ هَيَـــفُ الغُصُـــونِ
وَصَـــانَ حِجَاب هَاتِيكَ الثَّنَايَـــا
وَإنْ ثَنَتِ الفُـــؤَادَ إلَى شُجُـــونِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال أيضا:

أَسِيرُ أَلْحَاظٍ لِخَدٍّ أَسِيلْ
كَلِيمُ أَحْشَاءِ لِطَرْفٍ كَلِيلْ
فِي حُبِّ مَنْ حَظِّيكَشعْر لَهُ
لَكِنْ قَصِيرٌ ذَا وَهَذَا طَوِيلْ
لَيْسَ خَلِيلاً لِي وَلَكِنَّهُ
أَضْرَمَ فِي الأَحْشَاءِ نَارَ الخَلِيلْ
يَا رِدْفَهُ جُرْتَ عَلَى خَصْرِهِ
رِفْقاً بِهِ مَا أَنْتَ إِلاَّ ثَقِيلْ

وقال أيضا:

لَمْ أَنْسَ لَمَّا زَارَنِي مُقْبِلاً
أَوْلاَنِيَ الوَصْلَ وَمَا أَلْوَى
وَقعْتُ بالرَّشْفِ عَلَى ثَغْرِهِ
وَقعَ المَسَاطِيلِ عَلَى الحلْوَى

وقال أيضا:

يَا مَنْ أَطَالَ التَّجَنِّي وَقَدْ أَسَا فِي التَّوَخِّي
أَسْرَفْتَ تِيهاً وَعُجْباً وَكُثْرَةَ الشَّدِّ يُرْخِي

ـ ثم أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي؛ (توفي بدمشق سنة 690هـ/1291م)؛وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كاتب، وأديب؛ وكان من الكتاب، والأدباء البارزين؛ إذ كان يجيد النظم، والنثر؛ وله اتجاه صوفي؛ يتبع فيه طريقة ابن عربي (محمد بن علي)؛ غير أن بعضهم يتهمه بالزندقة؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي، وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في العروض، وديوان شعر. ومن شعره:

إنْ كَانَ قتْلِي في الهَوَى يَتعيَّنُ
يا قاتلي فَبسَيْفِ طرْفكَ أهْوَنُ
حَسْبي وَحَسْبُكَ أنْ تكونَ مَدامِعي
غُسْلي وفي ثَوْبِ السَّقامِ أُكفَّنُ
عَجَباً لِخَدِّكَ وَرْدَة في بانةٍ
وَالوَرْدُ فوْقَ البَانِ مَا لا يُمْكِنُ
أدْنَتْهُ لي سِنَةُ الكَرَى فلثمْتُهُ
حَتَّ تَبَدَّلَ بالشَّقيقِ السَّوْسَنُ
وَوَردْتُ كَوثَرَ ثغْرِهِ فَحَسَبْتُني
في جَنةٍ مِنْ وجْنَتَيهِ أسْكُنُ
مَا رَاعَنِي إلاَّ بلالُ الخَالِ فَوْ
قَ الخَدِّ في صُبْحِ الجَبينِ يُؤَذنُ
فَنَشَرْتُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ذؤابةَ
هِيَ كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أكمُنُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقـــال في مـــدح بعـــض بـــني الزبيـــر الـــوزراء:

وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْت حَدِيثُهُـــمْ
وَقَدِيمُهُمْ سَـــادَ الأَنَـــامَ وَطَالُـــوا
أوْلادُ عَمَّـــاتِ النَّبيِّ أمَـــا تَـــرَى
أَخْلاقهُـــمْ لا يَعْتَرِيهَـــا الحَـــالُ
أقْعَدَهُمْ شُغِلُـــوا بنيـــرَانَ القِـــرَى
وَلَهُمْ بِنِيـــرَان الـــوَغَى أشْغَـــالُ

ومـــن شعـــره الصـــوفي:

مُحَيَّـــاكَ يَهْوَاهُ الْمُحَيَّـــا أمَا تَـــرَى
حَشَـــا الكَأسِ فِيهِ جَمْـــرَة تَتَوَقَّـــدُ
وَلَوْلاَ بُكَاهَا مَا بَـــدَا فَوْقَ خَدِّهَـــا
دُمُـــوعٌ حَكَاهَـــا اللُّؤْلُـــؤُ الْمُتَفَـــرِّدُ
وَمَا كُنْتُ أدْرِي فِتْنَة الفِسْق فِعْلَهَـــا
إلَى أنْ رَأتْ عَيْنَايَ حُسْنُك يَبْعُـــدُ
إنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثغْر كَأسِهَا
أَلَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُـــدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الكَوْنِ مُطْلَقاً
لَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْـــكَ حُسْـــنٌ مُقَيَّـــدُ
لَمَّا أبْصَرَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْـــرَة
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَـــدُ
عَجِبْتُ لِكَأسٍ قَدْ صَحَوْتُ بشُرْبِهَـــا
أبْـــرَأ صَحْـــواً عَـــلي يُعَرْبِـــدُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقـــال في رثـــاء ولـــده شمـــس الديـــن؛ الـــذي تـــوفي قبلـــه. وأثنـــاء ذلـــك أشـــار إلى أخيـــه الميـــت أيضـــا:

مَـــالِي بِفَقْـــدِ الْمُحَمَّدَيْـــنِ يَـــدُ
مَـــضَى أخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَـــدُ
يَا نـــَار قَلـــْبِي وَأيْنَ قَلْـــبِيَ أوْ
يَا كَبدِيَ لوْ يَكُونُ لِي كَبـــدُ
يَا بَائـــِعَ المَوْتِ مُشْتَرِيـــهِ أنـــَا
فَالصَّبْرُ مَا لاَ يُصَابُ وَالجَلـــَدُ
أيْـــنَ البَنَـــانُ الَّتِي إذَا كَتَبَـــتْ
وَعَايَـــنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَـــدُوا
أيْـــنَ الثنَايَـــا التِي إذَا ابْـــتَسَمَتْ
أوْ نَطقَـــتْ لاَحَ لُؤلُـــؤ نَضَـــدُ
مَا فَقَدَتْكَ الإخْـــوَانُ يَا وَلَـــدِي
وَإنَّمَا شَمْـــسَ أنْسِهِمْ فَقَـــدُوا
مُحَمَّـــدٌ يَـــا مُحَمَّـــدٌ عَـــدَداً
وَما لَمـــا لَيْـــسَ يَنْتَـــهِي عَـــدَدُ

إلى أن يقـــول:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِينَ إذَ قَـــرُبَ الأمـْ
ـــلاَكُ مِنْـــهُ لـــَوْ أنَّهُـــمْ بَعـــدُوا
قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُـــهُ العُلـــُومَ إلَى الـــ
فِرْدَوْسِ وَالنَّعْـــشُ فَوْقَـــهُ الجَسَـــدُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبْكَيْتَ خَالاَتكَ الضَّوَاحِـــكِ مِـــنْ
قَبْلُ وَمَا مِـــنْ صِفَاتـــكَ النَّكَـــدُ
بـــي كِبَـــرٌ مَسَّـــنِي وَأمُّـــكَ قَـــدْ
شَاخَتْ فَمِنْ أيْنَ لِي يُـــرَى وَلَـــدُ
وَهَبْـــهُ قَـــدْ كَـــانَ لِي فَمِثْلُـــكَ لاَ
يُـــرْجَى وَأيْـــنَ الزَّمَـــان وَالأمَـــدُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي** (ت: حوالي 775هـ/1373م)؛ أحد علماء المالكية؛ له ثبت تكلم فيه عن شيوخه، وإجازاتهم له.

ـ ثم الفقيه **أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمر بن شعيب السنوسي** (ت: سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من كبار علماء تلمسان في عهده؛ عالج في مؤلفاته علوما شتى؛ دينية، ودنيوية؛ وله باع طويلة في علوم: التفسير، والتوحيد، والحديث؛ ومن مؤلفاته: كتاب عقيدة أهل التوحيد؛ ويسمى العقيدة الصغرى، ثم كتاب العقيدة الوسطى، ثم شرح صغرى الصغرى، وشرح صحيح البخاري؛ لم يكتمل، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح جمل الخونجي؛ في المنطق، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة؛ لابن الياسمين، والعقد الفريد في حل مشكلات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوحيد، وشرح للامية الجزائري، ومختصر في علم المنطق، وشرح كلمتي الشهادة، ومكمل إكمال الإكمال، والمقدمات في التوحيد، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ونصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، وشرح التسبيح وبر الصلوات، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك؛ للساحلي، وشرح جواهر العلوم؛ في علم الكلام، وشرح مشكلات البخاري، ومختصر الزركشي على البخاري، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف، ومختصر ابن عرفة، وشرح رجز ابن سينا في الطب؛ لم يكتمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية الكبرى؛ لم يكتمل، وشرح الوغليسية؛ في الفقه؛ لم يكتمل، ومختصر الروض الآنف؛ للسهيلي؛ لم يكتمل، وشرح المرشدة والدر المنظوم؛ في شرح الأجرومية، ونظم في الفرائض، واختصار الرعاية؛ للمحاسبي، وتفسير القرآن؛ إلى قوله: أولئك هم المفلحون، وتعليق على فرعي ابن الحاجب، وشرح إيساغوجي؛ في المنطق، ومختصر لمسلم؛ في سفرين، وشرح أبيات الإمام الأليري؛ في التصوف، والمقرب المستوفي؛ شرح على الحوفية، وأم البراهين في العقائد، والحقائق في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعريفات مصطلحات علماء الكلام، والمنهج السديد في شرح كفاية المريد؛ للجزائري.

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغماري الكومي (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ فقيه، وخطيب بمكناسة؛ وإلى جانب الفقه فهو نحوي، ويستظهر مختصر خليل؛ وله أيضا مشاركة في علمي: الحساب، والفرائض؛ إذ كان أستاذا فيهما.

OOO

أما الذين عرفوا بالأدوار السياسية، والعسكرية، ومهام الحكم فمنهم:

ـ الوزير **عبد السلام بن محمد الكومي** المعروف بالمقرب (توفي مقتولا بسجنه سنة 557هـ/1161م)؛ عرف بالمقرب بسبب تقريب عبد المؤمن إياه؛ أو للقرابة التي بينهما؛ ومع هذا لم يستنكف هذا السلطان الدموي عن قتله؛ حيث أرسل من قتله بسجنه خنقا، أو بواسطة مسهل قضى عليه تدريجيا كما يقال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم الوزير **عمر بن عبد السلام بن محمد الكومي**؛ الذي خلف والده في منصب الوزارة بعد مقتله؛ وبقي في منصبه حتى وفاة عبد المؤمن.

ـ ثم **الحسن بن حيون المعابدي الكومي** (توفي مقتولا بتلمسان سنة 624هـ/1226م)؛ كان من عمال الدولة الموحدية؛ فتآمر على قبيل بني عبد الواد؛ الأمر الذي أوصله إلى القتل؛ وفتح الباب أمام رؤساء القبيل إلى الاستبداد بتلمسان؛ وتعتبر هذه الخطوة ممهدة لقيام الدولة العبد الوادية.

ـ ثم **أبو العلاء الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الكومي** المعروف بأبي دبوس (توفي بمراكش سنة 667هـ/1268م)؛ وهو من ملوك بني عبد المؤمن؛ وبعد قتله ـ من طرف بني مرين ـ بظاهر مراكش أشرفت الدولة الموحدية على نهايتها.

ـ ثم **إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (توفي بفاس مقتولا سنة 674هـ/1275م)؛ وهو آخر الملوك من بني عبد المؤمن؛ بويع في تنملل؛ بعد سقوط مراكش، ومقتل أبي دبوس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن إدريس بن محمد الكومي** المعروف بابن أبي دبوس؛ والده السابق الذكر (توفي بفاس سنة 762هـ/1360م)؛ ولد بالقاهرة؛ ولما كبر انتقل إلى بلاد إفريقية والمغرب طمعا في استرجاع ملك آبائه؛ فأعلنها ثورة في تلك الديار؛ ولكنه فشل.

ـ ومنهم أيضا الداعية الثائر بالزاب؛ المسمى **أبا عبد الله بن خديجة الكومي** (كان حيا سنة 724هـ/1323م)؛ وهو من ولد عبد المؤمن ابن علي؛ وكان يدعوا للفاطمي المنتظر.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **كومية** الأولى في المغرب الأوسط؛ وبالتحديد ضمن منطقة **أرشكول، وتلمسان**؛ وذلك.. على امتداد شاطئ البحر، **وجبال ترارة** التي تربض شمال غرب تلمسان. ولما استولى الموحدون على **مراكش**، واتخذوها حاضرة لسلطانهم؛ استدعى عبد المؤمن بن علي قبيلته كومية؛ إلى تلك الربوع؛ ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره.

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(2) ـ لماية:

وهم من **بني فاتن** أيضا. وتعتبر **لماية** من أكبر قبائل **ضريسة**، وأوسعها بطونا. وقد لعبت هذه القبيلة دورا بارزا في تاريخ المغربين: الأوسط، والأدنى؛ حيث اعتنق أبناؤها المذهب الإباضي، وشاركوا في حركة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح؛ عند تملكه طرابلس، وعند استيلائه على القيروان؛ بغرض إخراج ورفجومة منها. ولما قتل أبو الخطاب؛ لجأ عامله على القيروان (عبد الرحمن بن رستم) إلى **قبيلة لماية**؛ بالقرب من **جبل كزول**؛ في المغرب الأوسط؛ نظرا لكون هذه القبيلة من حلفائه وحلفاء أميره أبي الخطاب. وبالفعل أجارته لماية، وحمته من كل مكروه. كما قامت لماية ببناء مدينة **تيهرت** الثانية؛ في سفح **جبل كزول**؛ جاعلة منها دار ملك للإباضيين؛ بإمرة عبد الرحمن بن رستم؛ بعد أن بايعته بالإمامة. وظلت هذه القبيلة سندا قويا للدولة الرستمية حتى سقطت. فتشتت ــ إثر ذلك ــ أبناء لماية في الأقطار، وانقرض معظمهم؛ بسبب الحروب. ولم يبق سوى بعض الفئات المتفرقة، والموزعة بين قبائل أخرى. ومن بين بقايا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لماية **جربة**؛ التي سميت بها الجزيرة المعروفة الآن؛ في **ساحل تونس**. وسكانها حتى عهد ابن خلدون كانوا من لماية. كما توجد في جربة ــ حتى الآن ــ قبيلة تسمى **آلْمَايْ**[1]؛ يعتقد محمد علي دبوز أنهم من بقايا لماية؛ ولكن اسمها أصابه التحريف؛ وقد يكون إسمها هذا هو الصحيح. كما أن قرية **لماية** التي تتوسط الطريق بين **طرابلس**، **وزوارة**؛ تنسب هي الأخرى إلى هذه القبيلة. وقد نقل الشيخ مبارك الميلي عن ((أبوراس)) ما مفاده.. أن أهل **فرندة**، **والحوارث** من **لماية**؛ ولكنهم تركوا المذهب الخارجي[2]. كما تنسب إليهم مقاطعة لماية؛ المتواجدة ببلاد الأندلس؛ وتعتبر مدينتها إحدى حصون مالقة[3]. وهي كغيرها من مقاطعات الأندلس التي سميت باسم القبائل الأمازيغية التي استقرت بها. وينسب إليها عدد من العلماء، والأدباء.

! ! !

---

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 259.

[2] تاريخ الجزائر، ص: 596.

[3] الحميري؛ الروض المعطار، ص: 511.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **أعيانهم**: من المنتسبين إلى لماية ببلاد الأندلس:

ـ الشاعر الفحل والكاتب النِّحْرير الوزير **أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي**؛ (توفي بمالقة سنة 654هـ/1256م). وهو من فحول الشعراء بالأندلس. كان وزيرا لعلي بن حمود؛ أمير مالقة؛ أيام ملوك الطوائف. ولما دفن؛ كتبت على قبره أبيات من نظمه هي:

بَنَيْتُ و لم أسْكُن وحَصَّنْت جَاهداً
فَلمَّا أتى المَقْدُورُ صَيَّرَهُ قَبْري
و لم يَكُ حظِّي غَيْر ما أنْتَ مُبْصِرٌ
بعَينَيْكَ مَا بَيْنَ الذرَاعِ إلى الشِّبْرِ
فَيَا زائِراً قَبْري أوصِيكَ جَاهِداً
عَلَيْكَ بتقْوَى اللهِ في السر والجَهْرِ
فَلا تُحْسِنَنَّ بالدَّهْرِ ظَنًّا فإنَّمَا
مِنَ الحَزْمِ ألاَّ يُستَنام إلى الدَّهْرِ

وحاول بعض أصحابه الترويح عليه؛ أثناء مرضه؛ فأجابهم مرتجلا:

رَوَّحَني عائِدِي فَقُلْتُ لَهُ
لاَ لاَ تَزِدْني عَلَى الَّذِي أجِدُ
أمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خامِدَة
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّياحِ تَتَّقِدُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن شعره أيضا:

قَدْ قُلْتُ إذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِ
والبَيْنُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبَا
لَوْ أنَّ لِي مُلْكاً أصُولُ بِهِ
لأخَذْتُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصْبَا

ويقول كذلك:

غَنِيٍّ وَلِلإيقَاعِ فَوْ ... قَ بَيَانِ مَنْطِقِهِ بَيَانُ
وَكَأنَّمَا يَدُهُ فَمٌ ... وقَضِيبُهُ فِيهَا لِسَانُ

ـ ثم الفقيه **أبو الحسن علي بن عبد الله ابن داود اللمائي**؛ المعروف بالمالطي (ت. سنة 538هـ/1143م)؛ وهو من أهل المرية؛ وله تأليف جمع فيه بين كتابي: المنتقى للباجي، والاستذكار لابن عبد البر. ولا ندري حتى الآن مدى انتماء هذين العالمين إلى لماية؛ بحيث بقي التساؤل قائما: هل ينتميان إلى القبيلة أصلا؛ أم ينتميان إلى المقاطعة الأندلسية لا غير. ونظرا لما عرفناه؛ عن استيطان القبائل الأمازيغية جماعات، جماعات؛ كل منها في منطقة خاصة بها؛ فإننا لا نستبعد انحدار هذين العالمين من القبائل المستوطنة فيها. ومن جهة أخرى فقد تعذر الحصول على معلومات كافية تخص أعيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه القبيلة، وعلمائها ببلاد المغرب؛ وهذا عائد إلى الطابع البدوي المتفشي بين أبنائها، وإلى السلوك السلبي الذي اتبعه المؤرخون السنيون آنئذ؛ إذ كانوا يتجاهلون أخبار العلماء من الإباضيين؛ وغيرهم ممن يخالفونهم مذهبيا؛ وهذا بالطبع يدخل في باب **العصبية المذهبية**. ومع هذا فقد تضمن كتاب الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب؛ أخبارا عن بعض علماء لماية؛ على قلتهم؛ وهم:

ـ ثم أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ ويقال أنه لم يكن يحفل بدينه في شبابه؛ ولم يتب إلا في كبره؛ حيث توجه إلى جزيرة جربة؛ أين تلقى العلم؛ حتى أصبح من علماء المذهب الإباضي البارزين؛ وهو أحد العلماء السبعة الذين اعتكفوا في **غار أمجاج**، أين صنفوا فيه تصنيفا يتناول موضوع الفقه الإباضي؛ وهو في اثني عشر جزءا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن الأميـر اللمـائي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ وهـو مـن علمـاء المذهـب الإباضي أيضـا.

***

ـ ***مواطنهـم:*** يضـع ابـن خلـدون **لمايـة** في عـداد **القبائـل الرحـل**؛ الـتي تتنقـل عبـر بـلاد إفريقيـة، والمغـرب؛ طلبـا للنجعـة. عـلى أن جمهورهـم كـان يرتـع في مراتـع المغـرب الأوسـط؛ في السهـوب المتاخمـة للصحـراء. ثـم يحـدد تلـك المواطـن؛ **بـأرض السرسـو؛ جنـوب منـداس، وإلى الغـرب أرض زواغـة. وفي الشمـال، والشـرق تتواجـد مطماطـة، ومكناسـة، وزناتـة**[1].

É É É

(3) ـ ***مديونـة:***

وهـم مـن **بـني فاتـن** أيضـا. وتذكـر المصـادر التاريخيـة؛ بـأن فئـات مـن هـذه القبيلـة تكـون قـد لعبـت أدوارا هامـة في تاريـخ الأندلـس؛

---

[1] العبـر، مج: 6، ص ص: 246 ـ 250.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح. ويبدو أن هجرتهم إلى الأندلس قد قلصت سطوتهم بديار المغرب؛ لذا نجدهم أضحوا في موقف ضعيف؛ عندما تغلبت قبائل: **بني راشد، وبني توجين** (من زناتة) على ربوع المغرب الأوسط؛ حيث مدوا سلطانهم على مواطن مديونة الضعيفة؛ بسبب افتراق أتباعها، وتضاؤل عددهم؛ نتيجة للحروب، والهجرة. وعليه.. فقد ألزمت زناتة قبيلة مديونة بدفع الضرائب، وإعطاء المغارم. كما زاحمتها في مواطنها؛ **مما** أدى بهم إلى الإنحياز إلى **حصون جبل تسالة، وجبل وجدة**؛ المعروف بهم. ومع الأيام.. بقي منهم من يتعاطى حرفة الفلاحة؛ بينما ظل آخرون موزعين بين القبائل. وبقي حي منهم ــ أيام ابن خلدون ــ بين **فاس، وصفروي**؛ إذ كانوا مجاورين **لمغيلة**[2].

! ! !

---

[2] المصدر السابق، مج: 6، ص ص: 256 ــ 257.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ ***أعيانهم:*** أنجبت مديونة عددا كبيرا من العلماء، والصالحين؛ منهم:

ــ **أبو عبد الله محمد بن أسود بن شعيب المديوني**؛ فقيه؛ ولي القضاء بإفريقية. ربما كانت له علاقة ما مع محمد بن أسود؛ قاضي المرية؛ الذي انتدب لمحاورة المهدي أمام السلطان المرابطي علي بن يوسف؛ في مراكش.

ــ ثم **أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد ابن فُرْتُون المديوني** (ت: سنة 377هـ/948م)؛وهو من الرواة، والزهاد؛ كان يسكن في مدينة الفرج؛ قال عنه ابن بشكوال[1]: ((**سمع الناس منه؛ وكان خيرا، فاضلا، زاهدا، ثقة فيما رواه. ومن روايته عن وهب بن مسرة؛ قال: دخلت على محمد بن وضاح بين المغرب والعشاء مودعا؛ فقلت له: أوصني رحمك الله؛ فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس؛ فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين؛ والواحد من هذا سليم**)).

[1] الصلة، ج: 1، ص: 6.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني** (ت: سنة 768هـ/1366م)؛ فقيه، وقاضي. وهو والد عائشة المديونية؛ أم ابن مرزوق الحفيد؛ استعمله أبو الحسن في خطة تنظر في سماع الشكايات، وفي جمع الزكاة؛ ثم ولاه أبو عنان خطة القضاء بتلمسان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن محمد بن عطية المديوني**؛ المعروف بالجادري (تضاربت الآراء حول تاريخ وفاته بين: 818 و 839 و 840 هـ/1415 و 1435 و 1436م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وميقاتي؛ وصاحب منظومة روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، كما قام بتأليف فهرسة ضمت معلومات عن شيوخه، وكتاب في شرح البردة، وكتاب اقتطاف الأنوار، ومختصر الاقتطاف، وكتاب اشتمل على طريقة العمل بالإسطرلاب مع الصفيحة الشاكرية وربع الدائرة، والعمل بالحساب والجدول؛ اشتمل على 42 بابا، وكتاب تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وأرجوزة بعنوان النافع في أصل حرف نافع، وكتاب المذكر والمؤنث.. وغيره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **يحيى بن محمد المديوني** المعروف بأبي السادات الأكبر (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ فقيه، وصوفي.
ـ ثم **محمد بن يحيى المديوني المعرف** بأبي السادات الأوسط توفي بعد سنة 950هـ/1543م). فقيه، ومدرس؛ تصدر للإفتاء بتلمسان.
ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن يحيى المديوني** المعروف بابن جيدة الجهبرزي الوهراني (ت سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من الصوفيين الصالحين.
ـ ثم **محمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني** العروف بأبي السادات الحفيد (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ فقيه، ومحقق؛ تصدر للتدريس.
ـ ثم **محمد بن عبد الله المديوني** (توفي بعد عام 960هـ/1552م)؛ فقيه، وخطيب؛ له اهتمام بالعلوم العقلية، والنقلية. وهو من مدينة الفرج بالأندلس.
ـ ثم **أحمد بن موسى المديوني**. فقيه.
ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد المليتي المديوني**؛ (توفي سنة 985هـ/1577م)؛ مدرس؛ وهو والد ابن مريم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم **عائشـة بنـت أحمـد بـن الحسـن المديـوني** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الثامـن للهجـرة)؛ وهي أم الإمـام ابـن مـرزوق الحفيـد؛ الـذي قـال في شرحـه علـى البـردة: أنها ألفـت مجموعـا مـن الأدعيـة؛ وكانـت مـن النسـاء الصالحـات؛ واشتهـرت بتعبيـر الرؤيـا؛ إذ تمكنـت مـن هـذا الفـن؛ بفضـل إطلاعهـا الواسـع.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن محمـد بـن أحمـد الشريـف المليـتي المديـوني التلمسـاني**؛ المعـروف بابـن مريـم (كـان حيـا سنـة 1025هـ/1616م)؛ وهـو فقيـه مالـكي، ومـؤرخ؛ ألـف 12 كتابـا في علـوم الديـن، والتراجـم؛ أشهرهـا كتـاب البسـتان في ذكـر الأوليـاء والعلمـاء بتلمسـان، كتـاب كشـف اللبـس والتعقيـد عـن عقيـدة أهـل التوحيـد، وتعليـق علـى رسالـة خليـل.

ـ ثـم **محمـد بـن بـلال المديـوني**. فقيـه، وصـوفي؛ ملـم بالإقـراء.

ـ ثـم **أحمـد بـن رقيـة المديـوني**؛ الضليـع في العلـوم العقليـة، والنقليـة.

ooo

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أمراء مديونة الذين كان لهم ذكر في التاريخ:

ـ **جرير بن مسعود** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ المنضم إلى أبي قرة، وأبي حاتم؛ في ثورتيهما ضد ولاة القيروان.

ـ ثم **هلال بن أبزيا** (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خرج على عبد الرحمن الداخل بشنت برية بالأندلس؛ متحالفا بذلك مع الثائر البربري شقيا المكناسي.

ـ ثم **نابتة بن عامر**(من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ هو الذي خلف هلال بن ابزيا على قيادة قومه من مديونة بشنتبرية.

***

ـ **مواطنهم**: يحدد ابن خلدون مواطن جمهور مديونة **بأطراف تلمسان**. وبالتحديد.. ما بين **جبل بني راشد** (جبل العمور حاليا) وبين **جبل مديونة**؛ جنوب وجدة. ويقول أنهم كانوا ظواعن؛ يرتحلون عبر هذه الضواحي، والجهات. ومواطنهم مجاورة لبني يلومي، وبني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفـــرن؛ مـــن جهـــــة الشـــرق، وإلى الغـــرب منهـــم مكناســـة؛ أمـــا جهـــة الساحـــل فكوميـــة، وولهاصـــة.

É É É

(4) ــ **مطغـــــــــرة:**

ينتسبـــون إلى **بـــني فاتـــن**. ويتميـــز هـــذا الـــحي بوفـــرة أعـــداده. وتعتبـــر **مطغـــرة** مـــن بيـــن القبائـــل المدريـــة؛ الـــتي اختـــارت حيـــاة الاستقـــرار؛ في الأريـــاف، وفي بعـــض الواحـــات، والقصـــور الجنوبيـــة. ولعبـــت هـــذه القبيلـــة أدوارا خطيـــرة؛ في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي؛ حيـــث تزعمـــت الحلـــف القبـــلي الأمازيـــغي؛ ضـــد ولاة بـــني أميـــة؛ بعـــد أن اعتنقـــت ــ مـــع حلفائهـــا ــ المذهـــب الخـــارجي؛ الصفْـــري. وشبـــت ثورتهـــم جميعـــا؛ بقيـــادة **ميســـرة المطغـــري**؛ مـــا بعـــد العقـــد الثـــاني مـــن القـــرن الثـــاني للهجـــرة؛ حيـــث أشعلـــت ثـــورة تلـــك القبائـــل المتحالفـــة المغـــرب الإســـلامي كلـــه بنيـــران الحـــرب، والعصيـــان؛ الأمـــر الـــذي كـــاد أن يزيـــل الوجـــود العـــربي تمامـــا مـــن هـــذه الربـــوع. وقـــد انتـــهى الحـــال بقبيلـــة مطغـــرة ــ أخيـــرا ــ إلى الفرقـــة، والضعـــف؛ فاندرجـــت ضمـــن **قبيلـــة كوميـــة** ــ في العهـــد الموحـــدي ــ بحكـــم الجـــوار، والحلـــف؛ ثـــم أضحـــت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ بعـــد ذلـــك ــ في عـــداد القبائـــل الخاضعـــة لأحكـــام الدولـــة، والدافعـــة للضرائـــب[1].

! ! !

ــ ***أعيانهـــم:*** أنجبـــت مطغـــرة كغيرهـــا مـــن القبائـــل عـــددا مـــن العلمـــاء والأدبـــاء؛ منهـــم:

ــ **عبـــد اللـــه بـــن عمـــر المطغـــري** (تـــوفي بدرعـــة سنـــة 927هـــ/1520م)؛ فقيـــه، وفـــرضي؛ لـــه إلمـــام بالحســـاب. كـــان مـــن الحفـــاظ، والناثريـــن، والناظميـــن؛ وهـــذه عينـــة مـــن منظوماتـــه؛ ذات الطابـــع التعليـــمي:

عَلْقَمَـــة وَامْرُؤُ القَيْس وَالنَّابغَـــة
عَنْتَـــرَةَ طَرَفَـــة وَزهَيْـــرٌ أوفـــا
هَـــؤُلاَءِ السِّتَـــة شَهدُوا عِنْدَنَـــا
لِفَصَاحَـــةِ شِعْرِهِـــمُ الْمُقْتَـــفىَ

ــ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن محمـــد بـــن فـــارس المطغـــري** (ت: حـــوالي 950هـــ/1543م)؛ كـــان أديبـــا، وشاعـــرا، وأستـــاذا. وكمـــا هـــو معـــروف؛

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 239 ـــ 245.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي بلاد الغرب يلقب بالأستاذ كل المتمكنين من فنون الأدب، وعلوم اللغة، والنحو.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن موسى بن علي ابن هارون المطغري** (ت: سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية؛ له إلمام بالتفسير، وعلوم: اللغة، والفرائض، والحسبان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر المطغري** (كان حيا سنة 960هـ/1552م). كان ينظم الشعر؛ من نظمه:

صَحَوْتُ وَعُدْتُ قبْلَ يَفضَحَني السُّكْرُ
وَنلْتُ الهَوَى جَهْلاً فَأدَّبَني الدَّهْرُ
وَبَيْتي لَزِمْتُ وَانْفِرَادي ألِفْتُهُ
وَسَيَّانِ عِنْدي وَصْلُ مَيَّة والهجْرُ
فَدِيني التعَامِي والتَّجَاهُلُ سيرَتي
وَلَسْتُ أبَالِي جَاءَ زَيدٌ وَلاَ عَمْرُ

وقال في المواضع التي تكون فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مكروهة:

عَجِبْتُ لِمَنْ صَلىَّ بعَشْرَةِ بَائِعٍ
وَحَاجَةِ عَطَّاسٍ وَذَبْحِ مُجَامِعِ
لِذَا سَبْعُهَا دَعِ الصَّلاَة عَلىَ النبِّيَّ
وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا وَتَابِعِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري**؛ المعروف بابن رحمة (ت: سنة 1001هـ/1592م). كان فقيها، ومن الصوفية.

ooo

ومن أعيان مطغرة، وقادتهم الذين اشتهروا بالسياسة، وشئون الحكم فيهم:

ـ أميرهم **ميسرة المطغري** (قتله أصحابه سنة 122هـ/739م)؛ ويقال أنه كان يعمل في السقاية؛ لذا عرف أيضا بالسقاء. تولى قيادة الصفرية في ثورتهم على ولاة بني أمية بالمغرب؛ وتطلع بعد انتصاراته الأولى إلى رتبة الخلافة؛ فأعلن نفسه خليفة، وبايعه أنصاره بتلك الرتبة؛ ولكنهم خلعوه، وقتلوه بتهمة سوء السيرة.

ـ ثم **يحيى بن حارث المطغري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خلف ميسرة في رئاسة قبيلة مطغرة بعد مقتله؛ وتحالف بعد انفضاض الصفرية؛ مع أمير مغراوة محمد بن خزر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **بهلول بن عبد الواحد المطغري** (كان حيا سنة 197هـ/812م)؛ وهو زعيم مطغرة في عهد الأدارسة؛ كان في البداية من المقربين إلى إدريس الثاني؛ بل تولى رعاية شئونه، وشئون دولته؛ بعد موت راشد الوصي على إدريس؛ ومع هذا تغير موقفه حين أغراه ابن الأغلب؛ وتمت بينهما مراسلات عديدة انتهت إلى انحراف بهلون عن إدريس؛ ومما وصلته من وعود ما جاء في هذا البيت الشعري لابن الأغلب شعرا:

وَبَائِعْ لِهَارُون الإِمَام بطَاعَةٍ
تَجِدْهُ عَلَى الإِسْلاَمِ خَيْرَ مُكَافِي

وكان جواب بهلول شعرا كذلك:

فَعَجّلْ عَليَّ رَدّ رَأيي فَإنَّني
أرُدُّ الهَوَى لِلْحَقِّ حِينَ يُوَافِي

وبالفعل تم الاتفاق بينهما. وقد أشار صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس إلى هذا الموضوع بقوله[1]: **((وكان بهلول بن عبد الواحد معظما في قومه؛ وكان من خاصة**

---

[1] ص ص: 11 ـــ 12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إدريس؛ فكاتبه ابن الأغلب؛ عامل الرشيد على إفريقية، واستهواه بالمال؛ فمال إليه، وبايع الرشيد؛ فكتب إليه إدريس بن إدريس:

أَبَهْلُول قَدْ شَمَّمَتْ نَفْسُكَ خُطـةَّ
تَبَدَّلتْ مِنْهَا صَوْلَة برَشَادِ
أضَلَّكَ إبْرَاهِيمُ مِنْ بُعْدِ دَارِهِ
فَأصْبَحْتَ مُنْقَاداً بِغَيْرِ قِيَادِ
كَأنَّكَ لَمْ تَسْمَع بِمَكْرِ ابنِ الأغْلَبِ
وَقَدْ تَرَامَى بالْكَيْدِ كُلَّ بِلاَدِ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِياً
وَمَنَّكَ إبْرَاهِيمُ شَوْكَ قَتَادِ)).

ـ ثم هارون بن موسى بن خليفة المطغري (توفي في الأندلس بعد سنة 672هـ/1272م)؛ كان رئيسا على قبيل مطغرة في وقت قيام دولة بني عبد الواد؛ إذ تولى **يغمراسن بن زيان** بمطاردته؛ بعد أن حاول الاستقلال بندرومة؛ فلجأ إلى بني مرين، ثم هاجر إلى الأندلس؛ بغرض الجهاد؛ فاستشهد بتلك الديار. فخلفه على رئاسة مطغرة أخوه **تاشفين.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **تاشفين بن موسى بن خليفة المطغري** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ هو الذي توارث أبناؤه زعامة القبيلة؛ فيما بعد.

***

ـ ***مواطنهم***: لقد تعددت مواطن هذه القبيلة، وتنوعت؛ إذ منها ما هو **بالتلول**، **والجبال**، ومنها ما هو في الواحات، **والقصور الصحراوية**. ففي البداية.. استوطن جمهورهم المغربين: الأوسط، والأقصى؛ ثم انتقل جمع منهم إلى الأندلس؛ أثناء الفتح؛ فاستقروا هناك. وبقي الآخرون في تلول المغرب، وصحرائه. ومواطنهم التلية محاذية للبحر؛ **بجوار كومية**؛ حيث شيدوا حصنهم المعروف **بتاونت**. كما أن محاولتهم إقامة إمارة في ندرومة؛ تدل على وقوعها ضمن مواطنهم؛ خاصة في العهد الذي تحالفوا فيه مع جيرانهم من كومية.

ويرى ابن خلدون أن بعض الأحياء من مطغرة تسكن بجبل يسمى باسمهم؛ **جنوب مدينة فاس**. كما يوجد **بأطراف سجلماسة** جمع كبير منهم. ثم يقول في سياق حديثه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((وربما حدثت بها عصبية من جراهم)).

ويذكر ــ أيضا ــ أن أعدادا كبيرة منهم تنتشر في الصحراء؛ يحترفون فلاحة النخيل؛ على الطريقة العربية. كما يتواجدون في شريط عريض من القصور المتتالية؛ في الصحراء؛ من سجلماسة إلى توات، إلى قليعة، فيقول: **((ومنهم في قبلة تلمسان؛ وعلى ست مراحل منها؛ وهي قصور متقاربة بعضها من بعض؛ ائتلف منها مصر كبير، مستبحر بالعمران البدوي؛ معدود في آحاد الأمصار بالصحراء؛ ضاح من ظل الملك، والدول؛ لبعده في القفر. ورئاسته في بني سيد الملوك منهم. وفي شرقيها، وعلى مراحل منها؛ قرى أخرى متتابعة على سمتها؛ متصاعدة قليلا إلى الجوف؛ آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد...وفي جهة الشرق عن هذه القصور؛ وعلى خمس مراحل منها؛ دامعة، متوغلة في القفر تعرف بقليعة. والآن يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء...))**[1].

ÉÉÉ

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 245.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(5) ـ مطماطـــة:

وهـــم مـــن **بـــني فاتـــن** كذلـــك. ومطمـــاط لقـــب لأبيهـــم؛ أمـــا اسمـــه فهـــو **مصكـــاب**. ولهـــذا الـــحي بطـــون كثيـــرة جـــدا؛ منتشـــرة في ربـــوع المغـــرب، وإفريقيـــة. هـــذا.. وقـــد كـــان لمطماطـــة دور هـــام بالمغـــرب؛ في عهـــد الدولـــة الزيريـــة؛ حيـــث استفحـــل أمرهـــم في أواخـــر الدولـــة. وظهـــر أثرهـــم جليـــا؛ خـــلال فتنـــة حمـــاد بـــن بلكيـــن، مـــع باديـــس ابـــن المنصـــور. ورئيـــس مطماطـــة ـــ آنئـــذ ـــ هـــو **عُزانـــَة**؛ الـــذي قـــاد قومـــه في الحـــروب، والفتـــن الـــتي دارت بينهـــم وبيـــن جيرانهـــم؛ مـــن **لواتـــة**، وغيرهـــم. وبعـــد موتـــه خلفـــه ابنـــه **زيـــري**؛ الـــذي أجـــاز ـــ فيمـــا بعـــد ـــ إلى الأندلـــس؛ عندمـــا تغلبـــت لمتونـــة عـــلى بـــلاد المغـــرب؛ فاستضافـــه ابـــن أبي عامـــر، ثـــم اصطنعـــه مـــع مـــن انضـــم إليـــه مـــن أمـــراء الأمازيـــغ[1].

! ! !

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 250 ـــ 254.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ***أعيانهم***: من أشهر أعيان مطماطة، وعلمائها:

ـ **عبد الله بن إدريس المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ ولي كتابة خراج الدولة الفاطمية؛ في عهد عبيد الله المهدي.

ـ ثم النسابة الشهير **كهلان بن أبي لوا بن يصلاصن** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء مطماطة، ومن النسابين المشهورين؛ أجاز إلى الأندلس؛ ونزل على الناصر لدين الله الأموي.

ـ ثم النسابة الذائع الصيت **سابق بن سليمان ابن حراث بن صولات بن دوفاس**؛ الذي وصفه ابن خلدون بـ((**كبير نسابة البربر؛ ممن علمناه**)).

ـ ثم **أبو عمران المطماطي**. فقيه؛ من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** (توفي بتلمسان حوالي سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه؛ قال عنه ابن مريم: ((**انتهت إليه رئاسة التدريس، والفتوى**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في **أقطار المغرب كلها...وله شرح على التلقين؛ لعبد الوهاب في عشر أسفار))**[2].

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المطماطي** المعروف بالبزاز؛ له رواية عن مالك؛ غير أن المحققين أنكروها.

ـ ثم **أبو علي بن أحمد بن إبراهيم السلاوي المطماطي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأستاذ.

ـ ثم **علي بن موسى بن إسماعيل السلاوي المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة). فقيه.

OOO

ومن الرؤساء، والشيوخ الذين ذكروا في أحداث المغرب:

ـ **إرهاص بن عصفراصن**؛ وهو الذي أخرج منداس من موطنهم، وأسكن مطماطة فيه.

ـ ثم **عزانة المطماطي** السابق الذكر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة).

---

[2] البستان، ص ص: 66 ـ 67.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم ولده **زيري بن عزانة المطماطي** أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو الذي خلف والده في زعامة مطماطة

***

ـ ***مواطنهم***: تنتشر مواطن **مطماطة** في ربوع المغرب الإسلامي كله. فبعض الأحياء منهم ـ كما يقول ابن خلدون ـ كانوا مستقرين بـ: **((هذه شعوب مطماطة ـ كما ذكر نسابة البربر؛ سابق وأصحابه ـ وهم مفرقون في المواطن؛ فمنهم من نواحي فاس؛ من قبلتها؛ في جبل هنالك معروف بهم؛ ما بين فاس وصفروي. ومنهم بجهات قابس؛ والبلد المختط على العين الحامية؛ من جهة غربها؛ منسوب إليهم. ولهذا العهد يقال حمة مطماطة... وبقياهم أوزاع من القبائل. وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس؛ عند جبل وانشريس، وجبل كزول؛ من نواحي تاهرت.وكان لهم بتلك المواطن أخريات دولة صنهاجة استفحال، وصولة...وبقية هؤلاء القوم لهذا**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العهد بجبل وادَشنيش.[ربما وانشريس]))[1]. ثم ذكر أن قبيلة مطماطة نزحت عن **منداس**؛ بعد إخراجها منها بواسطة بني توجين؛ حيث لجأت إلى **جبل وانشريس**؛ أين أصبحت في عداد القبائل الغارمة.

É É É

(6) ـ **مغيلة**:

هم ـ بدورهم ـ من **بني فاتن**. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا خطيرة في القرون الأولى من الفتح؛ حيث كانت في مقدمة القبائل الثائرة على ولاة القيروان. وثمة قول يجعل أبا قرة؛ زعيم الثوار من مغيلة؛ وإن كانت أقوال أخرى أصدق؛ تنكر ذلك. وبعد انحسار الفتنة الصفرية؛ وقامت مغيلة ـ أيضا ـ بنشر دعوة **إدريس الأكبر** إلى جانب أوربة، وصدينة، والقبائل المنضوية تحت سلطانه؛ حيث أخضعوا جزءا من المغرب الأقصى لدولته. وتندرج ضمن قبيلة مغيلة أخواتها؛ التي التحقت بها مثل: **درنة، وكشاتة، وملزوزة.** وربما اندمجت بهم ـ

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 251 ـ 254.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضـــا ــ قبيلـة **صدينـــة**؛ حليفتهـــم في عهـــد الأدارســـة. وبذلـــك أضحـــت هـــذه القبائـــل في عـــداد مغيلـــة، ومنســـوبة إليهـــا[1].

! ! !

ــ ***أعيانهـــم***: أنجبـــت مغيلـــة نخبـــة متميـــزة مـــن العلمـــاء؛ منهـــم:

ــ **عمـــر بـــن حمـــدون الأمـــوي المغيـــلي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن سكـــان ريـــة بالأندلـــس؛ وكـــان عالمـــا، حافظـــا للمسائـــل؛ عـــاش في عهـــد عبـــد الرحمـــن بـــن معاويـــة.

ــ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن محمـــد المغيـــلي القرطـــبي** (ت: سنـــة 334هـــ/945م)؛ وهـــو أحـــد علمـــاء الحســـاب، والزراعـــة.

ــ ثـــم **أبـــو بكـــر يحـــيى بـــن عبـــد اللـــه بـــن محمـــد المغيـــلي القـــرطـــبي** (تـــوفي سنـــة 362هـــ/972م)؛ وهـــو أديـــب، وكاتـــب بليـــغ؛ متمكـــن مـــن علـــوم العربيـــة، وفـــن الشعـــر، ومحـــدث بـــارع؛ كانـــت لـــه ردود شعريـــة مـــع أبي الحســـن جعفـــر بـــن عثمـــان

---

[1] المصـــدر السابـــق، ج: 6، ص ص: 254 ـــ 256.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصحفي. ومن شعره الوعظي مقطوعة وجهها إلى أحد معارفه (هو أبو بكر اللؤلئي)؛ إثر علة ألمت به:

تَبَيَّنْ فَقَدْ وَضَحَ المَعْلَمُ
وَبَانَ لَكَ الأمْرُ لَوْ تَفْهَمُ
هُوَ الدَّهْرُ لَسْتَ لَهُ آمِناً
ولاَ أنْتَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ
وَإنْ أخْطَأتْكَ لَهُ أسْهُمٌ
أصَابَتْكَ بَعْدُ لَهُ أسهُمُ
لَيَالِيهِ تُدْنِي إلَيْكَ الرَّدَى
دَوَائِبُ فِي ذَاكَ مَا تَسْأمُ
أتَفْرَحُ بِالبُرْءِ بَعْدَ الضَّنَا
وَفِي البُرْءِ دَاؤُكَ لَوْ تَعْلَمُ
فَأيْنَ المُلُوكُ وَأتْبَاعُهُمْ
وَدُنْيَاهُمُ أدْبَرَتْ عَنْهُمُ
فَهَذِي القُبُورُ بِهِمْ عُمِّرَتْ
وَتِلْكَ القُصُورُ خَلَتْ مِنْهُمُ
لَقَدْ صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ غَيْبِهِ
وَبَانَ لَكَ الحَزْمُ لَوْ تَعْزِمُ
فَحَتَّ مَتَى أنْتَ طَوْعَ الرَّدَى
وَتَعْصَى الإلَهَ وَلاَ تَنْدَمُ
إلَى اللَّهِ نَشْكُو قُلُوبَاً قَسَتْ
وَنَشْكُو مَدَامِعَ مَا تَسْجُمُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حارث القسَّام المغيلي القرطبي** (ت: سنة 377هـ/987م)؛ فقيه؛ عمل لدى القضاة كعدل؛ وكان ظريفا، خفيف الظل، كثير الدعابة، مقرب من السلطان.

ـ ثم **أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي** (توفي بطلبيرة سنة 396هـ/1005م)؛ فقيه؛ مستوعب لعلوم الفقه، والحديث.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الشاطبي المغيلي**؛ قال عنه الأوسي المراكشي: **((رَوَى عن أبي عبد الله بن بركة، وحكى عنه أبو عمر بن عياد؛ وهو في عداد أصحابه؛ وكان ثقة خيرا))**[1].

ـ ثم **أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن السابع للهجرة). فقيه.

ـ ثم **أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (توفي بتلمسان سنة 720هـ/1320م)؛ وهو من الأدباء، والكتاب، وأعلام الفقه؛ تصدر للتدريس في تلمسان؛ وقد يكون هو الذي أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة؛ حين

---

[1] الذيل والتكملة، سفر: 5، قسم: 1، ص: 304.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ترجم الى عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني؛ ولكنه كناه أبا غالب.

ـ ثم **عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي** (توفي بمصر سنة 746هـ/1345م)؛ وولي قضاء المالكية بالديار المصرية؛ فكان حميد السيرة.

ـ ثم الشيخ الفقيه **أحمد بن علي بن أحمد المغيلي السلاوي** (ت: بعد 810هـ/1407م).

ـ ثم **عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن صالح المغيلي** (كان حيا سنة 816هـ/1416م)؛ وهو من علماء الفقه المالكي؛ أعد شرحا على التلمسانية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 833هـ/1429م). فقيه؛ وولي القضاء.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي**؛ الشهير بالجلاب التلمساني (ت: سنة 875هـ/1470م)؛ فقيه؛ قال عنه الشيخ السنوسي: ((**إنه حافظ لمسائل الفقه**)) وكان من المختصين بالإفتاء.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 883هـ/1478م)؛ فقيه. ولي قضاء مازونة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (ت: بعد 884هـ/1479م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بأزمور؛ وكان يقرض الشعر؛ ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها فاس؛ إذ كان متشوقا إليها؛ بعد أن انتقل إلى أزمور:

يَا فَاسُ حَبَا اللَّهُ أرْضَكِ مِنْ ثـرَى
وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ المُسْبِلِ
يَا جَنَّةَ الخُلْدِ الَّتِي أرْبَتْ عَلَى
عَدْنٍ بِمَنْظَرِهَا البَهِيِّ الأجْمَلِ
غُرَفٌ عَلَى غُرَفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا
مَاءٌ ألَذُّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وَبَسَاتِينُ مِنْ سُنْدُسٍ قَدْ زُخْرِفَتْ
بِجَدَاوِلٍ كَالأيْمِ أوْ كَالفَيْصَلِ
وَبِجَامِعِ القَرَوِيِّينَ شَرَّفَ ذِكْرُهُ
أُنْسٌ تَذَكُّرُهُ يُهِيجُ تَمَلْمُلِ
وَبِصِحْنِهِ زَمَنَ المَصِيفِ مَحَابِسٌ
فَمَعَ العَشِيِّ القُرْبَ فِيهِ اسْتَقْبِلِ
وَاجْلِسْ إزَاءَ الخُصَّةِ الحَسْنَا بِهِ
وَارْكَعْ بِهَا عَنِّيَ فَدَيْتُكَ وَانْهَلِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي**. فقيه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن حسان المغيلي** (ت: سنة 898هـ/1492م)؛ خطيب، ونائب في الأحكام الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني** (ت: سنة 909هـ/1503م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ تصل إلى 18 تأليفا تقريبا؛ أهمها: البدر المنير في علوم التفسير، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، ومختصر تلخيص المفتاح، وشرحه في البلاغة، وشرح الجمل للخونجي، ومقدمة في المنطق، ومنظومة فيها ـ أيضا ـ بعنوان منهج الوهاب؛ خصها بثلاثة شروح، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين؛ وهو نقد للمتصوفين؛ حسبما يبدو، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وشرح خطبة المختصر، ورسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ التي بعث بها إلى علماء أقطار المغرب؛ لحثهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مناهضة اليهود، والتصدي لهيمنتهم. وحدث بينه وبين جلال الدين السيوطي خلاف؛ حول شرعية تعاطي علم المنطق؛ فأرسل إليه هذه المنظومة؛ مدافعا فيها عن هذا العلم، ومعارضا لموقف السيوطي؛ الذي ينهى عنه. ومن هنا يتبين تفوق المنهج العلمي عند المغيلي؛ الذي يستند إلى المنطق؛ الفاصل بين ما هو حق وما هو باطل؛ بالاستناد إلى أسس عقلية.

وهذه أبيات من منظومة المغيلي:

سَمِعْتُ بأمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أصْلِه
أيَمْكِنُ أنَّ المَرْءَ في العِلْمِ حُجَّة
وَيَنْهَى عَنِ الفُرْقَانِ في بَعْضِ قَوْلِه
هَل المَنْطِقُ المَعْنِيُّ إلاَّ عِبَارَة
عَنِ الحَقِّ أوْ حَقِيقَةَ حِينَ جَهْلِه؟
مَعانيه في كلِّ الكَلامِ فَهَلْ تَرَى
دَلِيلاً صَحِيحاً لا يردُّ لشكلِه؟
أريني هَداك اللّهُ مِنْهُ قَضيَّة
عَلى غَيْرِ هذا تنْفِها عَنْ مَحلِّه
ودَعْ عَنْكَ ما أبْدَى كَفُورٌ وذمِّه
رجال وإن أثْبَت صِحَة نقلِه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خُذ الحقَّ حتىَّ منْ كفور ولا تقِمْ
دَليــلاً على شَخْص بمذْهَــب مِثلــه
عَرَفْناهُمُ بالحَقِ لا العَكْسَ فاسْتبنْ
بــهِ لا بهــم إذْ هُــمْ هُــداة لأجلِــه
لئِنْ صحَّ عَنْهُمْ ما ذَكَرْت فكَمْ هُمُ
وكْم عالِــمٍ بالشَّــرْع باحَ بِفضْلِــه؟

فأجابــه السيــوطي بمنظومــة أيضــا:
حَمدتُ إلَهَ العَرْشِ شُكْــراً لِفضْلِــهِ
وأهْــدي صــلاةً للنَّــبيِّ وأهْلِــه
عجبْــتُ لِنَظْــم ما سَمعْتُ بمِثلِــهِ
أتَــاني عَــن حَبْــرِ أقِــرُّ بِنُبْلــه
تَعَجَّــبَ مِنّي حينَ ألفــتُ مُبْدعــاً
كتابــا جموعــا فيه جــمٌّ بنقلــه
أقــرِرُ فيه النَّــهْيُ عن علْمِ مَنْطِــق
وما قالَــهُ من قال من ذمِّ شكْلِــه
وسمَّــاهُ بالفرقان ياليْــتَ لم يَكُــنْ
فــذا وصْفُ قُــرْآنٍ كَريمٍ لِفضْلِــه
وقــدْ قــال مُحْتجا بغيــرِ روايَــةٍ
مَقــالاً عجيباً نائيــاً عَــنْ مَحلِّــه
ودَعْ عنك ما أبْدَى كفور وبَعْــدَ ذا
خُــذِ الحَقَّ حَتيَّ مِنْ كفور بِختَلِــه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقدْ جاءَتِ الآثارُ في ذَمِّ مَنْ حَـــوَى
عُلــومَ يَهُــودٍ أوْ نَصارَى لأجْلِــه
يَحــوزُ بِــهِ عِلمــاً لدَيْــهِ وإنَّــهُ
يُعَــذبُ تَعْذيبــاً يَليــقُ بِفِعْلِــه
وقَدْ مَنَــعَ الْمُخْتار فاروق صَحْبَــه
وقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَــوْراةِ أهْلــه
وكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيٍ اتِّبَــاعِ لِكافِــرِ
وإنْ كانَ ذاكَ الأمْرُ حَقــاً بِأصْلــه
أقَمْت دَليلاً بالحَديــثِ ولَــمْ أقِــمْ
دَليلاً عَلى شَخصٍ بمَذْهَــبِ مِثلِــه
سَــلامٌ عَلى هذا الإمامِ فَكَــمْ لَــهُ
لَــدَيَّ ثنــاءٌ واعْتــِرافٌ بِفَضْلِــه

هــذا وكانــت لمحمــد بــن عبــد الكريــم المغيــلي مواقــف مثيــرة للجــدل؛ تجــاه يهــود تــوات؛ هاجــر بعدهــا إلى بــلاد الســودان **(تكــدة، وكشــن، وكانــو، والتكــرور، وكاغــو)**؛ وكــان لــه تأثيــر عجيــب عــلى سلاطيــن تلــك البــلاد؛ حيــث ألــف لبعضهــم بعــض الكتــب في الديــن، وفي الأحكــام السلطانيــة. ومــن مأثــور نظمــه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كُلُّ العَـــدَاوَةِ قَدْ تُـــرْجَى مَوَدَّتِهَـــا
إلاَّ عَـــدَاوَة مَنْ عَـــادَاكَ فِي الدِّيـــنِ

ooo

ومـــن زعمـــاء **مغيلـــة** ورؤسائهـــا المتمرسيـــن في شئـــون السياســـة، والحكـــم:

ــ **إليـــاس الغيـــلي** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الأول للهجـــرة)؛ وهـــو أحـــد أعـــلام الأمازيـــغ الداخليـــن إلى الأندلـــس؛ مـــع الفاتـــح طـــارق بـــن زيـــاد.

ــ وقـــد ســـرد ابـــن خلـــدون اسمـــاء بعـــض رؤسائهـــم بقولـــه:**((مـــن رؤسائهـــم مـــوسى بـــن خُلَيْـــد، ومليـــح بـــن عُلـــوان، وحســـان بـــن زروال الداخـــل مـــع عبـــد الرحمـــن. وكـــان منهـــم أيضـــا دلـــول ابـــن حمـــاد؛ أميـــرا عليهـــم في سلطـــان يعـــلى بـــن محمـــد اليفـــرني؛ وهـــو الـــذي اختـــط بلـــد إيكـــري عـــلى اثـــني عشـــر ميـــلا مـــن البحـــر؛ وهي لهـــذا العهـــد خـــراب))**[1].

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 255

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو الوزير القائد؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

وبما أن **صدينة، وملزوزة** ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ اندمجتا في **مغيلة**؛ فكل أعيان هاتين القبيلتين يتبعان مغيلة أيضا. وعليه يصبح منهم:

ـ **أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي** (ت: سنة 155هـ/771م)؛ هو ذلك الثائر الإباضي المتحالف مع أبي قرة اليفرني؛ ضد ولاة بني العباس بالقيروان؛ فزحف إليها، وافتكها لبعض الوقت؛ ولكنه خسر معركته أمام يزيد بن حاتم؛ الذي قتله.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يحيى الصديني الفاسي** (توفي بفاس سنة 388هـ/998م). فقيه.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن حسن الصديني الفاسي** (ت: بعد سنة 600هـ/1203م)؛ كان من أصحاب الدراية، والبراعة في علوم النحو العربية والفقه؛ فأهلته معارفه وسيرته الحميدة لتولي قضاء غرناطة والتدريس بها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي** المعروف بعزوز (قتل خنقا بسجن فاس سنة 697هـ/1297م)؛ شاعر الأمراء المرينيين. قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((**كان شاعرا مكثرا سيال القريحة؛ منحط الطبقة، متجندا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورا على الأمرا، عَلِق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقايعهم وحروبهم، وخلط المُعَرَّب باللسان الزناتي في مخاطبتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقريبهم**))[1]. ولي في دولة بني مرين خطة الحسبة؛ من شعره قصيدة طويلة قالها في بيعة أبي يعقوب يوسف المريني بمدينة سلا؛ نسجل بعضها هنا:

يَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ قدْ بَرِحَ الخَفَا
إنِّي صَبَرْتُ عَلىَ فِرَاقِكِ مَا كَفَى
كَمْ قدْ عَصَيْتُ عَلى هَوَاكِ عَوَاذِلي
وَأَنَابُ بالتَّبْعِيدِ مِنْكِ وَبالجَفَا
حَمَّلْتِنِي مَا لا أطِيقُ مِنَ الهَوَى
وَسَقَيْتِنِي مِنْ غُنْجِ لَحْظِكِ قرقفا

---

[1] الإحاطة: ج: 1، ص: 21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَكَسَوْتِني ثَوْبَ النُّحُول فَمَنْظَــري
لِلنَّاظِريـــنَ عَـــنِ البَيَـــانِ قَدِ اخْتَــفى

هَـــذَا قَتِيلـــكِ فَارْحَمِيــهِ فَإنَـــَّهُ
قَدْ صَارَ مِنْ فُرُطِ النـــُّحُولِ عَلىَ شَفَـــا

لَهْـــفِي عَلى زَمَـــنٍ تَقَضَّى بالحِمَـــا
وَعَـــلَى مَحَـــلٍّ بالأُجَيْـــرِعِ قَدْ عَفَـــا

أتُـــرَى يَعُودُ الشَّمْلُ كَيْفَ عَهِدْتُـــهُ
وَيَصِيـــرُ بَعْـــدَ فِرَاقِــــهِ مُتأَلِّقَـــــا

لِلَّـــهِ دَرَّكِ يَا سَـــلاَ مِـــنْ بَلْـــدَةٍ
مَنْ لَمْ يُعَايـــنْ مِثلَ حُسْـــنكِ مَا اشْتَفَـــا

قَدْ حُزْتِ بَـــرًّا ثُمَّ بَحْـــراً طَامِيًـــا
وَبِـــذَاكَ زِدْتِ مَلاَحَــــــة وَتَزَخْرُفَـــا

فَإذَا رَأيْـــتَ بهَا القَطَائِـــعَ خِلْتَهَـــا
طَيْـــراً يَحُـــومُ عَلىَ الوُرُودِ مُرَفْرِفَـــا

وَالجَاذِفِيـــنَ عَلىَ الرَّكِيـــم كَأنَّهُـــمْ
قَوْمٌ قَـــدِ اتَّخَـــذُوا إمَامـــاً مُسْرِفَـــا

جَعَلَ الصَّـــلاَةَ لَهُمْ رُكُوعاً كُلَّهَـــا
وَأتىَ لِيَشْـــرَعَ فِي السُّجُـــودِ مُخَفِّفَـــا

وَالمَـــوْجُ يَـــأتِي كَالجِبَـــال عُبَابُـــه
فَتَظُنُّـــهُ فَـــوْقَ المَنَـــــازِلِ مُشْرِفَـــــا

حَتىَّ إذَا مَا المَـــوْجُ أبْصَـــرَ حَـــدَّه
غَضَّ العِنَـــانَ عَنِ السُّـــرَى وَتَوَقَّفَـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَكَأَنَّـــهُ جَيْـــشٌ تَعَاظَـــمَ كَثْـــرَةً
قَدْ جَـــاءَ مُزْدَحِمـــاً يُبَايِـــعُ يُوسُفَـــا
مَلِـــكٌ بِهِ تَرْضَى الخِلاَفَـــةُ وَالعُـــلاَ
وَبِـــهِ تُجَـــدِّدُ فِي الرِّيَاسَـــةِ مَا عَفَـــا

ولـــه أيضـــا أرجـــوزة طويلـــة جـــدا؛ نظمهـــا في عـــام 684هـــ/1285م؛ وموضوعهـــا هـــو الأحـــداث التاريخيـــة الـــتي عرفتهـــا بـــلاد المغـــرب الإســـلامي؛ مـــع التركيـــز عـــلى دولـــة بـــني مريـــن؛ سماهـــا بنظـــم السلـــوك في الأنبيـــاء والخلفـــاء والملـــوك؛ فقيمهـــا ابـــن الخطيـــب بقولـــه: **((لـــم يقصـــر فيهـــا عـــن إجـــادة)).**

ومـــن هـــذه الأرجـــوزة مـــا قالـــه عـــن المرابطيـــن:

مُرَابِطُـــونَ أَصْلُهُـــمْ مِنْ حِمْيَـــر
قَدْ بَعُـــدَتْ أَنْسَابُهُـــمْ عَـــنْ مُضَـــر
وَإِنَّ صَنْهَـــاجَ سَلِيـــلُ حِمْيَـــر
وَهْـــوَ ابْنُـــهُ لِصُلْبِـــه لاَ العُنْصُـــر
أَكْـــرِمْ بِهِ مِنْ نَسَـــبٍ صَرِيـــح
فَقُلْـــهُ لاَ تُخْفِـــهِ بِالتَّصْرِيـــح
وَعَدْلُهُـــمْ وَفَضْلُهُـــمْ مَشْهُـــور
وَمَجْدُهُـــمْ وَسَعْدُهُـــمْ مَذْكُـــور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومــا قالــه عــن زناتــة، وبــني مريــن:

فَجَــاوَرَتْ زِنَاتَــة البَرْبَــرَا
فَصَيَّــرُوا كَلاَمَهُمْ كَمَــا تَــرَى
مَا بَدَّلَ الدَّهْــرُ سِوَى أَقْوَالَهُــمْ
وَلَمْ يُبَــدِّلْ مُنْتَــهَى أحْوَالهــمْ
بل فعلهم أربى على فعل العرب
فِي الحال وَالإيثارِ ثــمَّ فِي الأَدَبْ
فَانْظُرْ كَــاَمَ العُرْب قد تَبَــدَّلاَ
وَحَالُهُــمْ عَــنْ حَالِــهِ تَحَــوَّلاَ
لاَ يَعْرِفُونَ اليَــوْمَ مَــا الكَــلاَمُ
وَمَــا لَهُــم نُطْــقٌ وَلاَ إفْهَــامُ
وَإنْ تَمَــادَتْ بِهِــمُ الأَحْــوَالُ
لَمْ تَبْقَ فِي الدَّهْــرِ لَهُمْ أقــْوَالُ
كَذَاكَ كَانَــتْ قَبْلَهُــمْ مَريــنُ
كَلاَمُهُــمْ كَالــدُّرِ إذْ يَبِيــنُ
فَاتَّخَــذُوا سِوَاهُــمُ خَلِيــلاَ
فَبَدَّلُــوا كَلاَمَهُــمْ تَبْديــــلاَ

إلى أن قــال:

فِي عَــامِ عَشَــرَةٍ وَستُمِيَّــــة
أَتَــوْا إلَى الغَــرْب مِــنَ البَرِيَّــة
جَاءُوا مِنَ الصَّحْرَاءِ والسَّبَاسِــبْ
عَلَىَ ظُهُورِ الخَيْــلِ وَالنَّجَائِــبْ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كَمِثْـــلِ مَا قَدْ دَخَـــلَ الْمُلَثِّمُـــونْ
مِنْ قَبْلِ ذَا وَهُـــمْ لَـــهُ مَيْمُـــونْ

ثـــم تطـــرق إلى تـــولي محمـــد بـــن عبـــد الحـــق إمـــارة بـــني مريـــن:

ثُـــمَّ وُلِيَ مِـــنْ بَعْـــدِهِ مُحَمَّـــدُ
وَكَـــانَ فِي أمُـــورِهِ يَسْتَنِـــــــد
فَكـَــان لاَ يفْتِـــرُ عَـــنْ قِتَـــال
مُوَاظِبـــاً لِلْحَـــرْبِ وَالنِّــــــزَالِ
كَمْ عَسْكَـــرٍ لاَقَى وَكَمْ جُنُـــودِ
وَمِنْ جُمُـــوعٍ جَمَّـــةِ الْحُشُـــودِ
وَكَمْ مِنْ جَيشٍ جَاءَ مِنْ مَرَاكِش
أفْنَـــاهُ بِالْحُـــرُوبِ وَالتَّنَــــــاوُش
نَهَـــارُهُ وَلَيْلُــــــهُ طِعَـــــانْ
لَكِنَّــــــه مُؤَيَّـــــدٌ مُعَـــــانْ

وهكـــذا يتبيـــن مسعـــاه للتنويـــه بنســـب زناتـــة، وبـــني مريـــن العـــربي؛ مـــع أنـــه ملـــزوزي النســـب، وحكـــام بـــني مريـــن ينتسبـــون ــ أيضـــا ــ لقبيلتهـــم الأمازيغيـــة.

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **مواطنهم**: يمكن حصر مواطن **مغيلة** في منطقتين: الأولى بالمغرب الأوسط؛ حول مصب **نهر شلف**؛ بضواحي **مازونة**. ومن هذه المنطقة أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. أما المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى؛ وتمتد من **مدينة فاس إلى صفروي، فمكناس، وتازة.** وقد إختلطت بهم ـ طبعا ـ أحياء صدينة، وملزوزة.

É É É

ب ـ بنو يحيى:

هذا ما أمكن ذكره عن أبناء فاتن بن تمصيت بن ضري. أما **أبناء يحيى بن ضري** فيتفرعون إلى ثلاثة فروع هم: **بنو زانا** (أو شانا أو جانا). وهم: زناتة، وبنو سمكان، وبنو ورصطف. وجميعهم أولاد يحيي بن ضري. أما **أبناء زانا** فسيأتي ذكرهم في مكان لاحق؛ بعد الكلام عن بعض قبائل **ورصطف**، وأخيه **سمكان**. وثمة قبائل أخرى نتركها؛ لعدم أهميتها.

É É É

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(1) ـ ورصطف:

هو **ورصطف بن يحيى بن ضري.** ويتفرع أبناؤه إلى ثلاثة أحياء هي: **أوكتة، ومكناسة، وورتناج.** وسيقتصر الحديث هنا على مكناسة؛ بسبب دورها الهام؛ في تاريخ المغرب الإسلامي. أما أوكتة، وورتناج؛ فقد اندمجتا في مكناسة، وأضحتا جزءا منها. وعليه.. فالكلام عنهما لا يفيد شيئا.

É É É

ـ مكناسة:

وهم **أبناء مكناس بن ورصطف بن يحيى.** ونظرا لكبر مكناسة، وتشعب أحيائها؛ يمكن وضعها في **مرتبة شعب**، أو **جمهرة.** وبطونها كثيرة جدا؛ وعليه.. نكتفي منهم بذكر أسماء: **بني حوّات، وقنصارة، وبني ورفلاس، وورنيفة، وبني وريدوس، ووريفلتة.** أما الباقون فمندمجون ضمن البطون المذكورة. هذا.. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا هامة، وعديدة في تاريخ المغرب الإسلامي، والأندلس. وقد كانت لأبنائها عصبة معتبرة في الأندلس، كما كانت لهم أيام، وثورات؛ استهدفت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنشاء دولة مكناسية في تلك الديار؛ مثل **ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي**؛ الذي تلقب بالفاطمي. ويبدو أن **عصبية مكناسة** في بلاد المغرب أخذت تقوى، وتشتد؛ بدءا بمنتصف القرن الثاني للهجرة؛ إذ أصبحت تهيمن على أرياف المغرب الأقصى، وصحرائه. ونتج عن نمو، وعنفوان هذه العصبية؛ أنها تمكنت من إخضاع قبائل عديدة لسلطانها، وإرادتها. وهكذا تدرج قبيل مكناسة ـــ بفضل عصبيته المتماسكة ـــ نحو إقامة دول متتالية؛ في المغربين: الأقصى، والأوسط. ففي المغرب الأقصى تمكنت بعض أحياء مكناسة من إقامة دول، وإمارات؛ منها: **إمارة بني واسول الصفرية؛ بسجلماسة، وإمارة موسى بن أبي العافية بن أبي باسل؛ بتازا، وتسول، وكرسيف. وإمارة مصالة بتيهرت.**

فدولة بني واسول، أو (بني مدرار) نشأت بعد تجمع فئة من صفرية مكناسة؛ في منطقة نائية؛ جنوب بلاد المغرب الأقصى؛ أين شرعوا في بناء مدينة **سجلماسة**؛ التي أصبحت حاضرة لدولتهم[1]. أما **دولة بني أبي العافية** فقد نشأت بعد استفحال عصبية مكناسة؛ في المغرب

---

[1] المغرب، ص ص: 148 ـــ 152. العبر، مج: 6، ص ص: 267 ـــ 273.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأقصى؛ بنواحي **تازا**، **وتسول**، **وكرسيف.** وكانت الرئاسة في مكناسة ــ آنئذ ــ بيد أبي **باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول.** وكان هذا الحي ظواعن؛ بين ملوية، وكرسيف، ومليلة، وما يتصل بها من التلول المنبسطة؛ في جهات تازا، وتسول. ومع مرور الزمن؛ أصبحت هذه القبيلة تتطلع إلى إقامة دولة؛ بحكم عصبيتها المتغلبة على تلك المناطق؛ فأخذت تزاحم نفوذ الدولة **الإدريسية**؛ **بفاس**، وإمارة **بني سليمان بن عبد الله**؛ **بتلمسان.** وبالفعل.. فقد تمكنت هذه القبيلة من زعزعة صرح دولة فاس؛ منتهزة فرصة؛ أخذت فيها بوادر الهرم تتسرب إلى الدولة الإدريسية. وعليه.. فقد شرع شيخ قبيلة مكناسة **(موسى ابن أبي العافية)** في التآمر على الأدارسة؛ بفاس، وبني سليمان؛ في تلمسان؛ حيث شن عليهم حروبا، ووقائع لا هوادة فيها؛ انتهت بسقوط الدولتين، وبروز دولة جديدة هي **دولة بني أبي العافية.** تم ذلك بفضل عون، ودعم الفاطميين الذين بعثوا جيوشهم إلى المغرب الأقصى؛ بقيادة **مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي.** وبالطبع.. فقد اقتضت **العصبية** أن يتحالف أبناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العم؛ ضد سلطان بني إدريس. وعليه فقد عمل مصالة على تعزيز قوة قومه مكناسة؛ بتوسيع نفوذهم، وبسط سلطاهم على مقاطعات جديدة؛ لم تكن لهم من قبل[2]. وكان بنو أبي العافية — في بداية أمرهم — أتباعا **للفاطميين**، ثم نقضوا عهدهم — بعد ذلك — وحولوه إلى **الأمويين** بالأندلس؛ مما أدى بالفاطميين إلى إرسال حملة تأديبية ضدهم. فتذبذب حال المكناسيين؛ في الولاء للفاطميين حينا، وللأمويين حينا آخر. غير أهم ثبتوا أخيرا على الدعوة للأمويين؛ بفضل تحالفهم مع قبيلة **مغراوة**؛ المتغلبة على المغرب الأوسط. ولكن أضحت مغراوة — فيما بعد — قوة نافذة؛ بحيث تغلبت على مكناسة نفسها، وأزاحتها عن حكم المغرب الأقصى. وعندما ظهر بلكين بن زيري في مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط؛ انقلبت الكفة؛ وعادت مكناسة إلى البروز؛ بفضل تحالفها مع حكام **الدولة الحمادية**. وبقي الحال هكذا؛ حتى ظهرت عصبية أخرى؛ أكثر قوة، وعنفوانا؛ وهي **العصبية اللمتونية**؛ المعززة **بالتعاليم الدينية**؛ فقضت على حكم **مكناسة**، **ومغراوة**؛

---

[2] الأنيس المطرب، ص ص: 50 — 53.العبر، مج: 6، ص ص: 273 — 280.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معا، وأزالت نفوذهما من ربوع المغربين: الأقصى، والأوسط؛ وذلك سنة 463هـ.

أما الإمارة الثالثة لمكناسة؛ فهي **إمارة مصالة بن حبوس بن منازل؛ بتيهرت**، والمغرب الأوسط. وهذه الإمارة ـ في الحقيقة ـ عبارة عن ولاية؛ تابعة للدولة الفاطمية؛ وهي منحة، وهبة للمكناسيين؛ ممثلين في شخص مصالة؛ الذي كان أحد قادة الدولة الفاطمية الأفذاذ؛ فكوفئ على خدماته؛ بتنصيبه واليا على تيهرت، والمغرب الأوسط. ثم خلفه ـ بعد مماته ـ أخوه **يصلتن بن حبوس**، ثم تلاه ولده **حميد بن يصلتن**؛ الذي تنكر **للفاطميين**، وأعلن دعوته **لبني أمية**، وتحالف ـ في ذلك الأمر ـ مع بني خزر المغراويين. ولما توفي؛ خلفه ابنه **يصل**، ثم **فياطن بن يصلتن**، ثم **علي بن مصالة**. وكانوا جميعهم موالين **لبني أمية؛ بالأندلس**[1].

! ! !

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 266.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **أعيانهم**: ومن علماء مكناسة وأعيانها المذكورين:

ـ **أبو القاسم سمغون** (أو سمكو) **بن واسول** (ت: سنة 167هـ/783م)؛ وهو يصلي؛ وكان عالما، وفقيها في الدين، وهو شيخ الصفرية في بلاد المغرب، وكبير مكناسة؛ يقال أنه ذهب إلى **المدينة المنورة**؛ أين تلقى العلم من عند **عكرمة**؛ مولى ابن عباس رضي الله عنه.

ooo

ومن دخل التاريخ من مكناسة أيضا:

ـ **أبو قرة وانسوس** (كان حيا سنة 138هـ/755م)؛ وهو ذلك الشيخ الأمازيغي؛ الذي اختفى عنده **عبد الرحمن بن معاوية**؛ قبل دخوله الأندلس؛ غير أن أحمد المقري نسبه إلى **مغيلة**؛ حيث قال: ((**وحكى غير واحد؛ أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس**؛ [أي عبد الرحمن] **نزل بمغيلة؛ فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويكنى أبا قرة؛ فاستتر عنده وقتا... فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به؛ سار إليه أبو قرة وانسوس البربري؛**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأحسن إليه، وحظي عنده، وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها؛ عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه. فقال لها عبد الرحمن مداعبا؛ حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، أعطتني بأنتن من ريح الجيف؛ فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك خرج، ولم تشعر به؛ من فرط فزعك؛ فاستظرف جوابها؛ وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك))[1].

ooo

ومن المكناسيين الذين أقاموا ببلاد الأندلس؛ أو ولدوا بها:

ـ **أصْبَغ بن عبد الله بن وانسوس (توفي** بقرطبة سنة 192هـ/807م)؛ كان أحد قادة الجيش الأموي في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي؛ وكان يترأس على نواحي ماردة؛

---

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 333 ـ 334.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأسند إليه الحكم مهمة مطاردة عمه سليمان ابن عبد الرحمن؛ فأنجز المهمة، وقبض عليه.

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن محمد بن أصْبَغ بن وانسوس** (ت: سنة 292هـ/904م)؛ وزير، وأديب. وهو حفيد القائد **أصبغ بن وانسوس**؛ الذي كان أميرا على الثغر **بوادي الحجارة**؛ وكانت لأسلافه ــ كما سبق ــ رئاسة في مدينة **ماردة**. وجدهم الأول هو **أبو قرة وانسوس**؛ الذي اختبأ عنده عبد الرحمن الداخل؛ بإفريقية؛ خوفا من عبد الرحمن بن حبيب؛ ومع هذا.. هناك من ينسب وانسوس هذا إلى مغيلة؛ غير أن أهل الثقة منهم ــ كابن حزم ــ ينسبونه إلى مكناسة. وقد أورد الحميدي حكاية طريفة عن **وانسوس الوزير**؛ جاء فيها: **((كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا، أديبا؛ من رؤساء البربر؛ كان أثيراً عند الأمير عبد الله بن محمد؛ فدخل عليه يوما؛ وكان عظيم اللحية؛ فلما رآه مقبلا جعل الأمير ينشد:**

مَعْلُوفَةٌ كأَنَّهَا جَوَالِقُ
نَكْداءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لِلْقَمْــل فِي حَافَتِهَــا نَقَانــقُ
فِيهَــا لِبُلُــوغي المُتَّكَــا مَرَافِــقُ
وَفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلٌ رَائِقُ
إنَّ الَّــذِي يَحْمِلُهَــا لَمَائِــقُ

ثــم قــال لــه: اجلــس يــا بُرَيْبَــرِيُّ؛ فجلــس وقــد غضــب؛ فقــال: "أيهــا الأميــر إنمــا كــان النــاس يرغبــون في هــذه المترلــة ليدفعــوا عــن أنفسهــم الضّيْــم؛ وأمــا إذا صــارت جالبــة للــذل؛ فلنــا دُورٌ تسعنــا، وتغنينــا عنكــم؛ فــإن حلتــم بيننــا وبينهــا؛ فلنــا قبُــور تسعنــا، ولا تقــدرون علــى أن تحولــوا بيننــا وبينهــا"؛ ثــم وضــع يديــه في الأرض، وقــام؛ مــن غيــر أن يسلــم، ونهــض إلى مترلــه...فغضــب الأميــر، وأمــر بعزلــه، ورفــع دستــه الــذي يجلــس عليــه؛ وبــقي كذلــك مــدة. ثــم إن الأميــر عبــد اللــه وجــد فقــدَه؛ لغَنائــه، وأمانتــه، ونصيحتــه؛ وفضــل رأيــه؛ فقــال للــوزراء: "لقــد وجــدت لفقــد سليمــان تأثيــراً؛ وإن أردتُ استرجاعــه ابتــداء منــا كــان ذلــك غضاضــة علينــا؛ ولــودِدت أن يبتدئنــا بالرغبــة". فقــال لــه الوزيــر محمــد بــن الوليــد بــن غانــم: "إن أذنــت لي في المسيــر إليــه؛ استنهضتــه إلى هــذا"؛ فــأذن لــه،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس، فاستأذن. وكانت رتبة الوزارة بالأندلس ـ أيام بني أمية ـ ألا يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله؛ فإنه كان يتلقاه، ويُنزلُه معه إلى مرتبته، ولا يَحجُبه أولاً لحظة؛ فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً؛ ثم أذِن له، فدخل عليه، فوجده قاعداً؛ فلم يتزحزح له، ولا قام إليه. فقال له ابن غانم: "ما هذا الكِبْر؟ عهدي بك ـ وأنت وزيرُ السلطان، وفي أبَّهة رضاه ـ تتلقّاني على قدم، وتتزحزحُ لي عن صدر مجلسك؛ وأنت الآن في مَوْجدَته؛ بضد ذلك". فقال له: "نعم! لأني كَنت حينئذ عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌّ"...فيئس ابن غانم؛ وخرج، ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره. وابتدأ الأمير بالإرسال إليه، وردّه إلى أفضل ما كان عليه))[1]. وقد وردت بعض العينات من شعر وانسوس هذا في مصادر عديدة متفرقة؛ منها: المقتبس؛ لابن حيان، وكتاب المُغْرب في حُلَي المَغْرب؛ لابن سعيد؛ منها:

الحبُّ عَلَّمَ مُقْلَتي أنْ تَسْهَرَا
وقَضَى عَلَيَّ بأنْ أذِلَّ وأصْبرَا

---

[1] جذوة المقتبس، ص ص: 226 ـ 227.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَا مُشْبِــهَ القمَرَينِ مَالكَ مُعْرِضا
عَــنيِّ وإنــِّي لا أزَالُ مُحَيَّـــــرَا

ويقـــول أيضـــا:
كَيْفَ لِي أنْ أعِيشَ دُونَك يَا بَدْ
رَ الدَّيَــاجي وأنْــتَ مِــنِّي بَعِيــدُ
إنَّ يَوْمــًا أرَاكَ فِيــهِ لَيَــوْمٌ
فِي حِسَابِي مَـدَى الزَّمَــانِ سَعِيــدُ
ومُــرَادِي ألاَّ أرَاكَ تُــدَانِي
غَيْــرَ وَصْــلِي وذَاكَ مَــالاَ تُريــدُ

ووصفــه ابــن حيــان في تاريخــه؛ مــع إيــراد حكايــة عنــه؛ إذ قــال: **((أصلــه مــن البرابــر؛ ولــه فيهــم بيــت شــرف بالأندلــس؛ وكــان جــده رئيســا بمــاردة مطاعــا؛ وكــان قــد ثــار بهــا عــلى الأميــر الحكــم بــن هشــام؛ وجــرت لــه خطــوب كبــار؛ في حــالي: المعصيــة، والطاعــة. وتمهــد ابــن ابنــه سليمــان هــذا مهــاد الطاعــة؛ مــن بعــد نــزوات سلفــه؛ وعلــق بحبــال الخدمــة؛ فتصــرف للسلطــان في أعمــال كثيــرة؛ إلى أن ارتــقى الــذروة؛ وولي خطــة الــوزارة للأميــر عبــد اللــه ابــن محمــد؛ وصــارت لــه حظــوة؛ وكــان أديبــا متفننــا،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشاعرا مطبوعا، حسن البيان، بليغا، حصيفا، داهية... وذكروا أن الأمير عبد الله بن محمد؛ عندما عزل جهور بن عبد الملك البختي من عمل كورة إلبيرة؛ لتظلم الرعية منه؛ قدم عنها بمال كثير مما غله؛ وتاحف منه جماعة من الوزراء؛ وأغفل سليمان بن وانسوس؛ وهو منهم؛ فأحقده على نفسه. وخلا الأمير عبد الله بالوزراء، وشاورهم في إغرام جهور؛ فكلهم دافع عنه، وثنى الأمير عن همومه به؛ إلاَّ سليمان؛ فإنه زمَّ (أي سجل) به كتابا؛ فقال له الأمير: "ما لك لا تقول يا سليمان"؟ فقال: "إن قلت خالفتهم؛ لكني سوف أكتب بما عندي دونهم؛ وفضل الرأي للأمير". فلما أن خرج إلى بيت الوزارة؛ أكب على رقعة كتب فيها إلى الأمير بهذه الأبيات:

جَاءَ الحِمَارُ حِمَارُ الوَحْشِ مُحْتَشِياً
مِمَّا أَفَادَ مِنَ الأَمْوَالِ وَالطّرَفِ
خَلِيَّ لَبِيرَةَ قَدْ أَوْدَى بِسَاكِنِهَا
بِقُبْحِ سِيرَتِهِ وَالعُنْفِ وَالسَّرَفِ
فَاحْمِلْ عَلَى العَيْرِ حِمْلاً يَسْتَقِلُّ بِهِ
وَاتْرُكْ لَهُ سَبَباً لِلتِّبْنِ وَالعَلَفِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته؛ أمر بإدخاله إليه؛ فضحك منه، وقال له: "يا سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم؛ وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار))[1].

ويبدو أن أبيات ابن وانسوس علقت في الذاكرة الأدبية ـــ آنئذ ـــ إذ التصق بأبناء عبد الملك البختي اسم الحمار؛ فنبزوا به بين العامة، والخاصة؛ من ذلك أبيات قالها أحمد بن شهيد؛ في عبد الملك بن بختي بن عبد الملك؛ يهجوه فيها:

أَتَيْناكَ لاَ عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا
إِلَيْكَ وَلاَ قَلْبٍ إِلَيْك مُشَوَّقِ
وَلَكِنَّنَا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا
حِمَاراً تَوَلَّى بِرَّنَا بِعُقُوقِ

ـــ ثم أبو محمد عبد الله بن حماد المكناسي المعروف بابن زَغْيُوج (كان حيا سنة 567هـ/1171م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((كان من أهل المعرفة والنباهة))[1].**

---

[1] المقتبس، ص ص: 189 ـــ 193.

[1] التكملة، ج: ص ص: 918 ـــ 919.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد السلمي الأندلسي المكناسي (توفي بمراكش سنة 571هـ/1175م)؛ وهو أديب، وشاعر؛ متفنن في كتاباته؛ له ديوان رسائل تناقله الناس، وتهافتوا عليه، وله ـ أيضا ـ مقامات في عدة أغراض؛ وقالوا فيه: ((ختمت البلاغة به في الأندلس))[2].

ـ ثم أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي (ت: سنة 573هـ/1177م)؛ إمام الحرم الشريف؛ وكان ورعا وزاهدا في الدنيا؛ دمث الأخلاق، حسن السيرة.

ـ ثم أبو الحسن علي بن أبي جَلاًّ المكناسي (ت: سنة 746هـ/1345م)؛ قال عنه ابن الخطيب: ((كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة... حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات؛ إلا أنه كان يحكي غرائب شاهدها تملحا، وأنسا؛ فينمقها عليه الطلبة؛ وربما تعدو ا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح، والمداعبة؛ حتى لجمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه بـ"السلك المحلاَّ في أخبار ابن جلاَّ"؛ فمن

---

[2] الزركلي؛ الأعلام، ج: 4، ص: 104.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة؛ فدخل البيت يوما؛ فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به؛ ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأخرى لصيده؛ فناداها باسمها؛ فردت رأسها، وجعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت؛ وأشباه ذلك كثير))[3]. ألا ترى معي..؟ أنه قد ابتكر ما يعرف الآن بقصص الأطفال، والحكايات التي يمكن أن تصلح أفلاما كرتونية؛ لو كانت السينما قد اكتشفت آنذاك..

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكناسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث من أهل الحفظ.

ـ ثم الفقيه القاضي **علي بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (ت: بعد سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه ولي قضاء مكناسة.

---

[3] الإحاطة، ج: 4، ص ص: 184 ـ 185.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي الورزيغي المكناسي** (توفي بفاس سنة 870هـ/1465م)؛ فقيه، وأديب؛ له مؤلفات منها: كتاب نظم مسائل ابن جماعة؛ وهو في البيوع.

ـ ثم الفقيه القاضي **أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (توفي بفاس سنة 955هـ/1548م)؛ ولي خطة القضاء بمكناسة.

ـ ثم **محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ كان أستاذا في النحو وعلوم العربية، وحافظا لمختصر ابن الحاجب، الرسالة.

ـ ثم **محمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ وهو والد مؤلف درة الحجال. كان فقيها، نوازليا، متمكنا من علمي: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **عبد بن أحمد بن محمد بن عبود علي بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 987هـ/1579م)؛ كان من الحفاظ، فقيه؛ كان يستظهر مختصر خليل، والرسالة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** المعروف بالأحول (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. عرضت عليه خطة الخطبة بمكناسة؛ فزهد عنها؛ فأسندت إلى أخيه أبي العز.

ـ ثم **أبو العز بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. ولي الخطابة والقضاء في مكناسة.

ـ ثم **أبو القاسم محمد بن محمد بن قاسم ابن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ولد سنة 960هـ/1552م)؛ فقيه؛ ومن المشتغلين بعلم النحو؛ أعد تعليقا على المرادي، وكتب شرحا على ألفية ابن مالك في مجلدين كبيرين، كما أعد شرحا آخر على مقدمة ابن آجروم في مجلد ضخم؛ وهو أيضا ملم بالقراءات، والفقه، والحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي** الشهير بابن القاضي (ت: سنة 1025هـ/1616م)؛ له إلمام بعلوم شتى؛ منها: التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب، والمنطق، والهندسة، والحساب، والفرائض، ونظم الشعر؛ له مؤلفات كثيرة؛ منها: درة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجال في غرة أسماء الرجال، والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، وغنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، المدخل في الهندسة، ونيل الأمل فيما به جرى بين المالكية العمل، ونظم تلخيص بن البناء، ونظم منطق السعد، وتقاييد على جداول الحوفي، والفتح النبيل لما تضمنه من أسماء العدد التنزيل، وفهرسة، ولقط الفرائد في تحقيق الفوائد، ودرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس؛ وهو تاريخ سياسي، وعمراني، وثقافي لمدينة فاس. ومن شعره قصيدة بعث بها إلى سلطان المغرب؛ أبي العباس المنصور يستصرخه لافتدائه من أسر الأسبان؛ نذكر منها:

تَجَلَّتْ عَنِ العَانِي الأسِيرِ المُكَبَّلِ
هُمُومٌ سَرَتْ فِي الجِسْمِ فِي كُلِّ مفصلِ
بذِكْرِ الإمَامِ الهَاشِمِيِّ الذي سَمَا
بِسيمَةِ خَيْرِ الخَلْقِ فِي كُلِّ مَحْفَلِ

إلى أن يقول:

بِحَقِّ الَّذِي أوْلاَكَ مُلْكاً فَنَجِّنِي
مِنَ الهُلْكِ يا قَصْدَ السبيل المُكَبَّلِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَكُنْ يا إمامَ العَـدْلِ في عَـوْنِ خائِـرٍ
أسيرٍ كَسيـرٍ ذي جَنـاحٍ مُذلَـلِ

ooo

أمـا رجـال السياسـة، والسيـف؛ مـن مكناسـة فهـم:

ـ **أبـو المنصـور اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (ت: سنـة 208هـ/823م)؛ وهـو الأميـر الثالـث في دولـة بـني واسـول؛ قـام بإنجـازات هامـة خـلال حكمـه لسجلماسـة؛ إذ أكمـل بنـاء سجلماسـة، واختـط بهـا المصانـع، والقصـور؛ وفي عهـده استفحـل ملـك بـني سمغـون.

ـ ثـم **مـدرار بـن اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (ت: سنـة 253هـ/867م)؛ هـو أشهـر حكـام سجلماسـة؛ إذ باسمـه سميـت الدولـة.

ـ ثـم **اليسـع بـن مدرار بـن اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (قتلـه الشيـعي سنـة 296هـ/908م)؛ إذ دخـل في عهـده عبيـد اللـه المهـدي إلى بـلاد المغـرب؛ حيـث لجـأ إلى سجلماسـة؛ هاربـا مـن عيـون بـني الأغلـب؛ فقبـض عليـه اليسـع، وسجنـه عنـده؛ بإيعـاز مـن الخليفـة ببغـداد. لـذا فقـد بـذل عبـد اللـه الشيـعي (داعيـة الشيعـة) جهـده في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل غزو سجلماسة، وتخليص المهدي؛ وبالفعل تم له ذلك؛ بمعونة جيوش كتامة، حيث استولى عليها، وطارد اليسع حتى قبض عليه، وقتله؛ وأقام على المدينة واليا كتاميا من قبله.

ـ ثم **الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (ت: سنة 300هـ/912م)؛ ثار على والي مدينة سجلماسة؛ الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي؛ واستعاد ملك أجداده المكناسيين لفترة؛ ثم جاءت ـ من جديد ـ جيوش الشيعة؛ فاستردتها من أخيه الذي خلفه بعد وفاته؛ ولكن أسندت إمارة المدينة هذه المرة ؛إلى أمراء من بني مدرار؛ تحت طاعة الفاطميين.

ـ ثم **محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (توفي بسجن المهدية بعد 347هـ/958م)؛ افتك إمارة سجلماسة من ابن عمه الوالي؛ التابع للفاطميين سنة 322هـ/933م؛ وأعلن الدعوة إلى العباسيين؛ آخذا بمذهب السنة؛ نابذا بذلك مذهب آبائه الصفريين، ومذهب حكام المغرب من الشيعة. وفي سنة 342هـ/953م تسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله؛ ثم سك السكة التي عرفت بالشاكرية؛ وقد وصفه ابن حزم بقوله: **((وكان في غاية العدل))**. ولكن تغلبت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه جيوش كتامة، وصنهاجة الشيعية هو الآخر؛ حيث اقتادوه إلى سجن المهدية؛ أين مات.

ـ ثم **مصالة بن حبوس المكناسي** (ت: سنة 312هـ/924م)؛ من أكبر القادة العسكريين في الدولة الفاطمية؛ كان ـ في بداية أمره ـ رئيسا على بعض أحياء مكناسة؛ ثم انضم إلى الأحلاف القبلية المنحازة للفاطميين؛ حيث أسندت إليه قيادة جيش الدولة؛ المكلف بالزحف نحو غرب البلاد؛ وكان له دور أساسي في الإطاحة بالدولة الإدريسية، وتقزيم دورها؛ بعد دعمه لبني عمه بني أبي العافية المكناسيين؛ ضد نفوذ الأدارسة.

ـ ثم **موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن يزول المكناسي** (ت: سنة 341هـ/952م)؛ هو الذي أسس إمارة مكناسة بجهات مراكش. وكانت ضمن مملكته: مكناسة، وتسول، وتازا، وكرسيف؛ ولما زحف مصالة ابن حبوس المكناسي إلى غرب البلاد؛ لإخضاع الأدارسة؛ منح ابن عمه موسى بن أبي العافية ضواحي المغرب بكاملها؛ مقتطعا إياها من سلطان الأدارسة. وظل ابن أبي العافية يناجز الأدارسة؛ حتى استولى على ملكهم بالكامل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقريبا. وعندما أحس بقوته، و بعد غياب تأثير ابن عمه مصالة؛ الذي مات؛ حول ابن أبي العافية ولاءه إلى بني أمية بالأندلس؛ الأمر الذي أغضب سلطان الدولة الفاطمية؛ فبعث إليه عدة حملات تأديبية؛ انتهت بقتله في الصحراء.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن إبراهيم المكناسي** (ت: سنة 363هـ/973م)؛ هو رابع أمراء بني أبي العافية المكناسيين، وآخرها؛ إذ انقرضت دولتهم بوفاته.

ـ ثم **القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى ابن أبي العافية المكناسي** (ت: بعدسنة 462هـ/1069م)؛ هو أحد رؤساء مكناسة؛ تولى قيادة زناتة في محاربة المرابطين سنة 460هـ/1067م؛ فهزمهم، وافتك منهم مدينة فاس؛ بعد أن تمكنوا من فتحها؛ ولكنهم أعادوا الكرة في سنة 462هـ، واحتلوها من جديد.

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ **مواطنهم**: أما مواطن مكناسة؛ فتمتد على طول **وادي ملوية؛ من أعلاه؛ عند سجلماسة؛ وحتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط**؛ مشتملة على **نواحي تازا، وتسول.** وكان جمهور مكناسة ظواعن؛ عبر تلك المواطن؛ يرتحلون فيها طولا، وعرضا. وقد سميت بهم مدينة مكناسة المغربية. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض البقايا من مكناسة مازالت حتى الآن بالقرب من **تازا**؛ وتدعى بهذا الاسم. كما أن قبيلة أخرى تدعى مكناسة؛ مازالت حتى الآن ــ كذلك ــ بالقرب من مدينة **عمي موسى؛ بولاية وهران**[1]. بالإضافة إلى بعض الأوزاع منهم هنا وهناك؛ في بلاد المغرب كله. أما ابن خلدون فيختم الحديث عن مكناسة بخلاصة؛ ذكر فيها ما وصل إليه حالهم. فذكر أنهم ــ في عهده ــ كانوا متواجدين في **جبال تازا**؛ بعد أن استكانوا لسلطان الدولة؛ فأعطوا الجباية بوفرة، ومدوا الدولة بالمقاتلين، وبالخيل. كما توزع بعضهم ضمن قبائل أخرى؛ **بإفريقية، والمغرب الأوسط.**

É É É

---

[1] **قبائل المغرب، ج: 1، ص: 312.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(2) ـ *زناتـــة:*

وبعـــد **أبنـــاء ورصطـــف بـــن يحـيى بـــن ضـــري**؛ يـــأتي دور أبنـــاء **زانـــا** (أو جانـــا أو شانـــا) **بـــن يـــحي ابـــن ضـــرى**. ويعرفـــون باســـم **زناتـــة**؛ وهـــم حســـب قـــول ابـــن حـــزم ثلاثـــة أحيـــاء: **الدّيديـــت، وورسيـــج، وفريـــني**[2]. وعنـــد ابـــن خلـــدون: **الديـــرت، وورسيـــك، وفـــرني**. وقـــد تناسلـــوا، وتكاثفـــت أحياؤهـــم؛ إلى حـــدٍ أصبحـــوا بـــه في مرتبـــة قبائـــل، أو شعـــوب؛ طبقـــا لـــرأي ابـــن خلـــدون؛ الـــذي يصفهـــم بصفـــات تتعـــدى صفـــات البطـــون. وبهـــذا يحتلـــون مراتـــب أعـــلى مـــن مرتبـــة بطـــن؛ وذلـــك حينمـــا نعتمـــد عـــلى الترتيـــب المتبـــع لـــدى النسابيـــن العـــرب. فابـــن خلـــدون عندمـــا يتكلـــم عـــن زناتـــة؛ يجعلهـــا في مرتبـــة **جيـــل**. كمـــا يكثـــر مـــن قـــول: ((**شعـــوب زناتـــة**)). وهـــذا كلـــه يـــدل عـــلى ضخامـــة زناتـــة، وكثافـــة أحيائهـــا، وتشعبهـــا. أضـــف إلى ذلـــك أنـــه خَصَّـــص لزناتـــة حيـــزا كبيـــرا مـــن كتابـــه العبـــر؛ إذ يشملـــه المجلـــد السابـــع بكاملـــه تقريبـــا. بينمـــا خصـــص المجلـــد الســـادس لبقيـــة الأمازيـــغ، مـــع بـــني هـــلال، وسليـــم. وبالموازنـــة؛ تظهـــر أهميـــة **زناتـــة**. غيـــر أن قوتييـــه E. F. GAUTIER

---

[2] **الجمهـــرة، ص ص: 495 ـــ 496.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينسب ذلك إلى كون الزمن الذي كتب فيه ابن خلدون كتابه؛ كانت زناتة مهيمنة على الحكم في بلاد المغرب؛ مثل بني عبد الواد، وبني مرين، وغيرهم[1].

ـ مدلول زناتة ونسبها: يستعمل ابن خلدون كلمة زناتة بأسلوب يوحي أنها تقابل كلمة أمازيغ، وتتكافأ معها. ففي المقدمة يقول: **((وهؤلاء هم العرب؛ وفي معناهم ظعون البربر، وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركمان، والترك بالمشرق))**[2]. ويقول أيضا في كتاب العبر: **((فأما أولية هذا الجيل** [زناتة] **بإفريقية، والمغرب؛ فهي مساوقة لأولية البربر؛ منذ أحقاب متطاولة؛ لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى... وملك الإفرنجة بها يومئذ جرجير؛ فظاهره زناتة، والبربر على شأنه))**[3]. وثمة أمثلة أخرى من هذا النوع؛ لدى ابن خلدون، وغيره من المؤرخين المسلمين.

ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة؛ الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر؛ نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي. وذلك

---

[1] **Le Passé de L'Afrique du Nord, pp: 217- 218.**

[2] **ج: 2، ص: 583.**

[3] **العبـر: مج: 7، ص ص: 14 ـــ 15.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة؛ ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب؛ لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب؛ يقولون: **زناتة، والبربر.** فزناتة — كما سبق — تنسب إلى **زانا** أو (جانا) **بن يحي بن ضري بن مادغيس الأبتر.** وثمة من يعود بسلسلة الأسماء إلى المدعو **بر.** ومنه تنطلق السلسلة التي يزعمون أنها تربطهم بالنسب العربي؛ أي بقيس عيلان، أو بحمير. ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران — كما سبق — تلك الأقوال؛ ويرجحان القول بانتسابهم إلى كنعان بن حام؛ مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ. أما الظاهرتان المميزتان لزناتة عن غيرها من الأمازيغ؛ فيحددهما ابن خلدون؛ في **أسلوب العيش، وفي اللهجات.**

***

— ***أسلوب العيش:*** تعتمد زناتة في عيشها على النجعة، والظعن؛ عبر السهوب، والفيافي. فهم كالأعراب؛ يتخذون الخيام مساكن لهم، ويتلهفون على اكتساب الإبل، والخيل. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((**وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب: في سكنى الخيام،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واتخاذ الإبل، وركوب الخيل، والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها؛ عن سائر رطانة البربر))[1].

إذن.. فثمة تشابه كبير في أسلوب العيش؛ بين زناتة والأعراب. وحتى النزعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا؛ مثل ما هو حال الأعراب.

***

ـ ***اللهجات***: إن اللهجات التي تتكلم بها زناتة تختلف عن لهجات الأمازيغ الأخرى. وهذا ما ذكره ابن خلدون في النص السابق الذكر. وثمة أبحاث تقول بأن لهجاتهم تنتمي إلى أصول لسانية حامية ـ سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض الخصائص المشتركة. وبالطبع.. فإن هاتين الظاهرتين: **(أسلوب العيش، واللهجات)** تبعثان على الاعتقاد في احتمال نزوح زناتة من المشرق إلى بلاد المغرب؛ في

---

[1] العبر: مج: 7، مج: 7، ص: 3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عهود ليست بعيدة جدا. وربما تزامنت مع ظهور الإبل في هذه الربوع؛ وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الربع للميلاد[2]. ولكن ابن خلدون يرى غير هذا؛ حين يقول: ((**أما أولية هذا الجيل** (أي زناتة) **بإفرقية فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى**)).

ومعنى كلمة زناتة عالجه ابن خلدون في بعض الفقرات من كتاب العبر؛ حيث قال: **((ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا...))**[1].

---

[2] **Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 227.** وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب بن عميرة؛ دورة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.

[1] العبر، مج: 7، ص: 14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كـــان اســـم زناتـــة معروفـــا لـــدى مـــؤرخي العهـــد الإســـلامي؛ فإنهـــا بالمقابـــل غُلفـــت بغمـــوض كثيـــف؛ خـــلال الأحقـــاب التاريخيـــة السابقـــة للفتـــح الإســـلامي. ومـــع هـــذا.. فـــلا يستبعـــد وجـــود هـــذه التسميـــة في العهـــد البيزنـــطي. لأنـــه حيـــن تـــم العثـــور عـــلى بعـــض التسجيـــلات التاريخيـــة؛ في **شلـــف**، **وشرشـــال**؛ اتضـــح أن أحـــد الأسمـــاء المسجلـــة يـــدل عـــلى شخـــص منســـوب إلى **زناتـــة**؛ هـــو **(كلوديـــوس زناتـــوس)** CLAUDIUS ZENATUS. ولا نعـــرف إن كـــان هـــذا الاســـم يكـــفي للدلالـــة عـــلى تـــداول اســـم زناتـــة في الحقبـــة التاريخيـــة البيزنطيـــة[2]. فشـــاهد واحـــد ــ كهـــذا ــ لا يجـــلي الحقيقـــة كلهـــا. غيـــر أن ابـــن خلـــدون يـــرى بـــأن أوليـــة زناتـــة تعـــود إلى حقبـــة موغلـــة في التاريـــخ. وهي متماشيـــة ــ في القـــدم ــ مـــع أزليـــة الأمازيـــغ كافـــة. وذكـــر أن زناتـــة كانـــت تـــؤدي ــ بصـــورة مـــن الصـــور ــ للبيزنطييـــن (الإفرنـــج كمـــا يسميهـــم) فـــروض الطاعـــة؛ عـــلى شكـــل خـــراج مؤقـــت، ومقاتليـــن؛ يحاربـــون إلى جانبهـــم، **((ويمتنعـــون عليهـــم فيمـــا ســـوى ذلـــك))**[3].

---

[2] **Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 228.** **وبـــن عميـــرة؛ دور زناتـــة، ص: 15**

[3] **العبـــر، مج: 7، ص: 15.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن.. فقد تكون زناتة معروفة في العهد البيزنطي؟ وربما كانت في عداد القبائل الجمالة؛ ذات النجعة الموغلة في الصحراء؛ والتي ظهرت في أواخر العهد الوندالي. تلك القبائل التي استعملت الجمال في حربها ضد الوندال، والبيزنطيين. وجملة القول.. أن اسم زناتة ـــ في المغرب ـــ لم يبدأ في الظهور بوضوح إلا بعد الفتح الإسلامي؛ حيث أصبح هذا الاسم يتردد في كتابات المؤرخين. فابن خلدون مثلا يبرز دور زناتة؛ أثناء حديثه عن الفتح الإسلامي **لسبيطلة**؛ حاضرة القائد البيزنطي GREGOIRE **(جرجير)**. ثم ينتقل إلى المقاومة التي قامت بها الكاهنة؛ التي تنتسب إلى زناتة[1]. ودور **زناتة** في المغرب الإسلامي؛ يمكن إجماله ضمن الأدوار التي قامت بها بعض فروعها؛ مثل: **جراوة، وبني يفرن، ومغراوة، وبني عبد الواد، وبني مرين، وبني توجين.**

***

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 16 ـــ 18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **مواطنهم**: حدد ابن خلدون مواطن زناتة ـ بصورة عامة ـ ضمن ما يعرف **بالمغرب الأوسط**؛ لأنه منسوب إليها، ومعروف بها. ومع هذا فقبائل زناتة متواجدة في أقطار المغرب كلها. على أن جمهورهم يتواجد في المناطق التي تنبت فيها **النخيل**؛ ما **بين غدامس، والسوس الأقصى**. كما يتواجد ـ أيضا ـ بتلول **إفريقية، وطرابلس، وجبل أوراس**.

((ومواطنهم في سائر مواطن البربر؛ بإفريقية، والمغرب... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط؛ حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم؛ فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى. وهم ـ لهذا العهد ـ أهل دول، وملك؛ بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم))[2].

É É É

---

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 3 ـ 4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ جـــــراوة:

وهـــم أبنـــاء **جـــراو بـــن الديـــرت بـــن جانـــا (زانـــا)**. وقـــد بـــرز دور جـــراوة منـــذ بدايـــة الفتـــح الإســـلامي؛ وذلـــك مـــن خـــلال المقاومـــة الـــتي تزعمتهـــا هـــذه القبيلـــة؛ بقيـــادة **الكاهنـــة (دُهيـــا بنـــت تابتـــة)**. وربمـــا كـــان مقتـــل عقبـــة بـــن نافـــع بإيعـــاز منهـــا؛ كمـــا قـــال ابـــن خلـــدون؛ نقـــلا عـــن النسابـــة هـــاني بـــن بكـــور الضريـــسي؛ إذ تكـــون قـــد حرَّضَـــتْ سكـــان تهـــودة عـــلى قتـــال المسلميـــن. ولمـــا كـــان المسلمـــون يعرفـــون ذلـــك؛ فإنهـــم سارعـــوا ـــ بعـــد مقتـــل كَسيلَـــة ـــ إلى غزوهـــا؛ في عقـــر دارهـــا؛ بجبـــل أوراس. فتمكنـــت جـــراوة مـــع حلفائهـــا؛ مـــن القبائـــل البتريـــة ـــ في بدايـــة الأمـــر ـــ مـــن صـــد المسلميـــن؛ ولكنهـــا خســـرت الحـــرب؛ في نهايـــة الأمـــر؛ حيـــث قتـــل المسلمـــون منهـــم عـــددا كبيـــرا؛ يزعـــم ابـــن خلـــدون أنـــه وصـــل إلى مائـــة ألـــف[1]. وبعـــد هـــذه الهزيمـــة؛ تفـــرق شمـــل جـــرواة، واندثـــر أمـــرهم؛ إذ توزعـــوا بيـــن القبائـــل الأمازيغيـــة الأخـــرى؛ ومنهـــم الفئـــة الـــتي حلـــت **بسواحـــل مليلـــة**؛ **بالمغـــرب الأقـــصى**؛ حيـــث أقامـــوا في المدينـــة المنسوبـــة إليهـــم. ومنهـــم البطـــن المشهـــور بعلمائـــه،

[1] العبـــر، مج: 7، ص ص: 16 ـــ 18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأدبائه؛ وهم **بنو غفجوم**، بجهات **تادلا**. وفي ديارهم الجديدة بالمغرب الأقصى؛ برز مرة أخرى؛ دور جراوة في مسرح الأحداث؛ خاصة عندما استجار بهم الحسن بن أبي العيش؛ أمير تلمسان؛ بعد هزيمته أمام أمير مكناسة؛ ابن أبي العافية.

! ! !

ـ ***أعيانهم***: ومن رجالات جراوة المشهورين بعلمهم، وآدابهم:

ـ **أبو سعيد خلف بن مسعود المالقي الجراوي**؛ المعروف بابن أمينة (توفي مذبوحا بقرطبة سنة 400هـ/1009م)؛ فقيه؛ ولد بمليلة؛ قال عنه ابن بشكوال: **((قدم قرطبة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة؛ فحمل عنه بها علم كثير. وكان له من القاضي ابن ذَكْوان خاصة. وأغْرِي به العامة؛ فأضجعوه، وذبحوه؛ حين ثورة الأندلس بالبرابرة؛ عند قيام المهدي؛ وقتل العامة البرابرة سنة أربعمائة. وقيل بل شَدَخُوا رأسه بالحجارة؛ وأنه سألهم**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يمهلـوه حـتى يصـلي ركعتيـن؛ ففعلـوا رحمـه اللـه. وكـان ذلـك بمالقـة))[2].

ـ ثـم **أبـو عمـر أحمـد بـن محمـد القيسـي الإشبيلي الجـراوي** (تـوفي بمصـر سنـة 407هـ/1016م)؛ وهـو مـن شيـوخ الإقـراء؛ إذ تصـدر للإقـراء بإشبيليـا، ومصـر.

ـ ثـم **عبـد اللـه بـن محمـد الجـراوي** (تـوفي بالقيـروان سنـة 415هـ/1024م)؛ قـال عنـه ابـن رشيـق القيـرواني: **((تـأدب بجـراوة داخـل المغـرب، قـدم إلى الحضـرة سنـة سبـع وأربعمائـة متعلقـا بالخدمـة. وكـان شاعـرا فحـلا، قويـا، وصَّافـاً، دَربـاً بالخبـر والنسـب، جيـد الفكـر والخاطـر، تحسـب بديهتـه رَوِيَّتَـهُ، عميـدي الترسيـل، يتحَـدَّرُ كلامُـهُ كالسيـل. وكـان حسـن الخلـق، جميـل العشـرة، مدمنـا عـلى الشـراب، متغارقـا فيـه، مزَّاحـاً. سألـه أيـوب** [ربمـا يكـون أيـوب بـن يطوفـت الصنهـاجي] **مـرة: أي بـروج السمـاء لـك؟ فقـال: واعجبـاً منـك؛ مـا لي في الأرض بيـتٌ؛ يكـون لي بـرجٌ في السمـاء. فضحـك، وأمـر لـه بـدار جـواره))**[1].

---

[2] الصلـة، ج: 1، ص: 178.

[1] أنمـوذج الزمـان، ص ص: 216 ـــ 217.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأرجع ابن رشيق سبب قتله إلى وشاية من خصومه؛ توجهوا بها إلى القائد حماد بن بلكين؛ فبعث من قتله ليلا. وبلغ عمره يوم وفاته نيفا وأربعين سنة؛ ويقال أن أحد الجراويين زعم أنه شاهده في المنام يقول له شعرا:

قَتَلُوهُ لاَ لِخِيَانَةٍ عُرِفَتْ لَهُ
إلاَّ لِفَضْلِ بَرَاعَةِ الشُّعَرَاءِ
أمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَاجِبٍ
أكَذَا تَكُونُ صَنَائِعُ الأمَرَاءِ

ولما وصل البيتان إلى حماد أسف على الجراوي. ومن شعره في وصف شرفة المنزل؛ (أو المنظرة، أو الفسقية):

قَدْ كُلِّلَتْ دُرًّا أفَارِيزٌ لَهَا
فَتَبَرَّحَتْ فِيهَا بِكُلِّ طَرِيقِ
وَكَأنَّمَا القَصْرُ المُعَظَّمُ عَاشِقٌ
قَدْ حَارَ وَهْيَ لَدَيْهِ كَالمَعْشُوقِ
يَرْنُو إلَيْهَا بَاهِتاً شُرُفَاتُهُ
نَظَرَ الحَمَامِ لِلَقْوةٍ فِي نِيقِ
وَكَأنَّمَا النَّهْرُ الَذِي قُدَّامَهَا
جريا تَسِيلُ عَلَى رِقَابِ النُّوقِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال ابن رشيق في هذه الأبيات: **((قد ناب هذا الخبر عن العيان؛ فأدى الصفة على تحقيقها، وملّكها أوفى حقوقها))**[1].

وأورد له ابن رشيق أيضا هذه المقطوعة التي يصف فيها الديك:

وكَائِنٍ نَفى النَّوْمَ عَنْ عُتْرُفَانِ
بَدِيعُ المَلاَحَةِ حُلْوُ المَعَانِي
بأجْفَانِ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَتَانِ
كَأنَّ وَمِيضَهُمَا جَمْرَتَانِ
عَلىَ رَأسِهِ التَّاجُ مُسْتَشْرِفاً
كَتَاجِ ابْنِ هُرْمُزَ فِي المَهْرَجَانِ
وَقِرْطَانِ مِنْ جَوْهَرٍ أحْمَرٍ
يَزِينَانِهِ زَيْنَ قِرْطٍ الحِصَانِ
لَهُ عُنُقٌ حَوْلَهَا رَوْنَقٌ
كَمَا حَوَتِ الخَمْرَ إحْدَى القنَانِي
وَدَارَ بُرَائِلُهُ حَوْلَهَا
كَمَا نَوَّرَتْ شَعْرَةَ الزَّعْفَرَانِ
وَدَارَتْ بِجُؤْجُئِهِ حُلَّة
تَرُوقُ كَمَا رَاقَكَ الخُسْرُوَانِي
فَقَامَ لَهُ ذَنَبٌ مُعْجبٌ
كَبَاقَةِ زَهْرٍ بَدَتْ مِنْ بَنَانِ

---

[1] أنموذج الزمان، ص ص: 216 ـــ 220.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَقَــاسَ جَنَاحــاً عَــلىَ سَاقِــةِ
كَمَــا قِيــسَ سِتْــرٌ عَلىَ خَيْــزُرَانِ
وَصَفَــقَ تَصْفِيــقَ مُسْتَهْتِــــــر
بِمُحْمَــرَّةٍ مِــنٌ بَنَــاتِ الدِّنَــانِ
وَغَــرَّدَ تَغْرِيــدَ ذِي لَوْعَــةٍ
يَبُــوحُ بِأشْوَاقِــــهِ لِلْغَــــوَانِي

ومــن شعــره أيضــا:
وَالأعْوَجِيَّــاتُ الجِيَــــا
دُ تُثِيرُهَــا الأسْــدُ الغِضَــابُ
وَالسَّابِــرِيُّ كَأنَّــــهُ
وَدَكَّــاءُ مُذْكِيَــة سَــــرَابُ
مُتَرَقْــرِقٌ كَالْمَــاءِ إذْ
يَعْلُــوهُ فِي النَّهْــرِ الحُبَــابُ
وَالنِّيــلُ يَحْــكِي ألْسُــنُ الْــ
ــحَيَّاتِ أعْوَزَهَــا الشَّــرَابُ

ـ ثـم أبـو عمـران مـوسى بـن عيـسى بـن أبي حجـاج الغـفـجُـومي الجـراوي (تـوفي بالقيـروان سنـة 430هـ/1038م)؛ فقيـه؛ مـن كبـار أهـل العلـم بالقيـروان؛ وكـان مـن أحفـظ النـاس، وأدركهـم للفقـه، والحديـث، والقراءات السبـع؛ ولـه بعـض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤلفات منها: كتاب علق فيه على المدونة، كما سجل من أحاديثه حوالي مائة ورقة.

ـ ثم **أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي** (توفي بالمرية سنة 475هـ/1082م)؛ فقيه؛ كانت له عناية بالعلوم؛ فهو راوية، وخطيب بجامع المرية.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي الوادي آشي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان من كبار كتاب المرابطين بغرناطة. وهو فقيه، وأديب، وشاعر مطبوع؛ له اهتمامات بالطب، وبفنون عديدة؛ مدح الأمير علي ابن يوسف اللمتوني بقصيدة طويلة جاء فيها:

رَحلُوا الرَّكايبَ موهِنا
فَأذاع عُرْفُهُمُ السَّنَا
والحَلْي قَدْ أغرَى بهِمْ
لَّما تَرَنَّمَ مُعْلِنَا
كَمْ حَفَّ حَوْل حِماهُمُ
مِنْ كُلِّ خطَّارِ القَنَا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن قوله في الرثاء:

حَنانَيكَ قَدْ أَبْكَيْتَ حَتى الغَمائِمَا
وشققْتَ عَنْ أزْهارِهِنَّ الكَمائِمَا
وَأدْمَيْتَ خَدًّا للبُرُوق بلَطْمِهَا
وَخلفتَ مِنْ نَوْحِ الرُّعُودِ مَآتِمَا
وَلَمْ يَبْقَ قَلْبٌ لا يُقَلِّبُهُ الأسَى
وَأشْجَيْتَ في أغْصَانِهِنَّ الحَمَائِمَا

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية ابن سعيد العكي الجراوي (توفي بفاس سنة 525هـ/1130م)؛ فقيه، ومحدث؛ كان أبوه قد استوطن القلعة؛ تولى قضاء تلمسان، وإشبيلية، وفاس.

ـ ثم أبو العباس أحمد بن حسن بن سيد المالقي الجراوي (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ كان نحويا بارعا، وأديبا متفننا، وشاعرا مطبوعا. من شعره الذي أورده ابن الأبار:

وبَيْنَ ضُلوعِي للصَّبَابَةِ لوْعَة
بحُكْمِ الهَوَى تقْضي عَليَّ ولا أقْضِي
جَنَى نَاظِر مِنْها عَلى القلب ما جَنَى
فَيا مَنْ رأى بعضاً يُعِين عَلى بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو محمد يسكر بن موسى الغَفَجومي الجراوي** (توفي بفاس سنة 598هـ/1201م)؛ فقيه صوفي؛ أعد بعض الحواشي على المدونة؛ ولد في تاجنيت بتادلا.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغَفَجومي الجراوي** (توفي بإشبيلية سنة 609هـ/1212م)؛ وأصله من تادلا؛ ثم سكن مراكش؛ كان من علماء اللغة، والأدب، وكان شاعرا فحلا، وله ديوان شعر؛ وألف كتابا سماه: صفوة الأدب ونخبة كلام العرب؛ في موضوع الحماسة؛ وقد أثنى على هذا الكتاب عدد من العلماء. وهذه أبيات من قصيدة مدح بها عبد المؤمن:

أعْلَيْتَ دِينَ الوَاحِدِ القَهَّارِ
بالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا الخَطَّارِ
وَرَأى بِهِ الإسْلاَمُ قُرَةَ عَيْنِهِ
وَغَدَتْ بِكَ الغَرَاءُ دَارَ قَرَارِ
وَمَلَكْتَ مِنْ طُرُقِ الهِدَايَةِ لاَحِقاً
طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلَى الآثَارِ
وَجَرَتْ مَعَالِمُكُمْ إلَى الأمَدِ الَّذي
بَعُدَتْ مَسَافَتُهُ عَلَى الأسْفَارِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاَ غَـــرْوَ أنْ كُنْتَ الأخِيرَ زَمَانـــهِ
فَالفَضْـــلُ لِلآصَـــال وَالأسْحَـــــار
وَافَيْـــتَ أنْدَلُســـاً فَآمَـــنَ خَائِـــفٌ
وَسَمَـــا لأخْـــذِ الثـــأرِ رَبُّ الثَّـــارِ

إلى أن يقـــول:
أخَلِيفَـــةَ المَهْدِيِّ دُمْـــتَ مُؤَيَّـــداً
باللَّـــهِ مُنْتَقِمــــــاً مِـــنَ الكُفَّــــارِ
تـــَرْمِي شَيَاطِينَ الأعَادِي فِي الوَغَى
برجُـــوم خَيْـــلٍ مِنْ سَمَـــاءِ غُبَـــارِ
رَوَّعْتَ كُلَّ مُرَوِّعٍ وَحَفِظْتَ كُـــ
ـــلَّ مُضَيَّـــعٍ وَحَمَيْـــتَ كُلَّ ذِمَـــارِ

ومـــدح يوســـف بـــن عبـــد المؤمـــن بقولـــه المبالـــغ فيـــه؛ ومـــع ذلـــك قبلـــه يوســـف:
عَنْ أمْرِكـــُمْ يَتَصَـــرَّفُ الثَّقَـــلاَنِ
وَبِنَصْرِكـــُمْ يَتَعَاقَـــبُ المَلَـــوَانِ
وَبِمَا يَسُـــوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسُرُّكُـــمْ
تَتَحَـــرَّكُ الأفْـــلاَكُ فِي الـــدَّوَرَانِ
جَاهَدْتُمـــُ فِي اللَّـــهِ حَقَّ جِهَـــادِهِ
وَنَهَضْتُـــمُ بِحِمَايَـــــةِ الإيمَـــــانِ
وَتَرَكْتُـــمُ أرْضَ العِـــدَا وَقُلُوبَهُـــمْ
فِي غَايَـــةِ الرَّجَفَـــانِ وَالخَفَقَـــانِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أن يقول:

هَذَا مَقَامُ المُصْطَفَى يَا فَوْزَ مَنْ
حَازَ النِّيَابَةَ فِيهِ عَنْ حَسَّانِ
مَنْ يَعْرَفِ الرَّحْمَنُ حَقًّا يَعْتَرِفْ
بِحُقُوقِهِ لِخَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فإذا كان السلطان يوسف قد صمت عن هذه المبالغات، ولم يعترض على ما جاء في هذه القصيدة؛ فإن ابنه يعقوب ـ المحافظ ـ قد استنكر أقوال الجراوي؛ التي كانت تحمل معانٍ شيعية؛ تضفي بعض الصفات الإلهية على الإمام؛ مثل: **التصرف في الجن، والإنس، والتحكم في الليل، والنهار، والتأثير في الأفلاك العليا**. كما أنه وضع يوسف في **مرتبة المصطفى**؛ بينما تمنى لنفسه **منزلة حسان من المصطفى**. ويقال أن يعقوب بن يوسف غضب عليه بسبب ذلك. ومما قاله في مدح يعقوب؛ بعد الانتصار الذي حققه في موقعة الأرك:

هَذَا الفَتحُ أعْيَا وَصْفهُ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا
وَعَمَّتْ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ بِهِ البُشْرَى
وَأَنْجَدَ فِي الدُّنْيَا وَغَارَ حَدِيثُهُ
فَرَاقَتْ بِهِ حُسْناً وَطَابَتْ بِهِ نَشْرَا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تَمَيَّــزَ بِالآحْجَـــال وَالغُـــرَرِ الَّــتِي
أقَلِّ سَنَاهَـــا يُبْهِـــرُ الشَّمْـــسَ وَالبَـــدْرَا
لَقَدْ أوْرَدَ الأدْفُونْشُ شِيعَتُهُ الــرَّدَى
وَسَاقَهُمْ جَهْـــلاً إلَى البَطْشَـــةِ الكُبْـــرَى

ومـــن شعـــره؛ الـــذي ورد في نفـــح الطيـــب؛ هـــذه القصيـــدة الـــتي يهجـــو فيهـــا قومـــه بـــني غفجـــوم؛ ناقـــلا هجـــاءه إلى بـــني الملجـــوم بفـــاس:

يابْنَ السَّبِيـــلِ إذا مَـــرَرْتَ بِتَـــادَلا
لا تَنْزِلَـــنَّ عَـــلى بَـــنِي غَفَجُـــومِ
أرْضٌ أغَارَ بِهَا العَـــدُوُّ فَلنْ تـــرَى
إلاَّ مُجَاوَبَـــــةَ الصَّـــدَى لِلْبُـــومِ
قَوْمٌ طَـــوَوْا ذِكْرَ السَّماحَةِ بَيْنَهُـــمْ
لكِنَّهُـــمْ نَشَـــروا لِـــواءَ اللُّـــــومِ
لاَ حَـــظَّ في أمْوالِهـــمْ ونَوالِهـــمْ
لِلسَّائِـــلِ العَـــافِي ولاَ المَحْـــــرومِ
لاَ يَمْلِكونَ إذا اسْتُبِيـــحَ حَرِيمِهـــمْ
إلاَّ الصُّـــراخَ بدَعْـــوَةِ المَظْلُـــــومِ
يَا لَيْتَـــنِي مِنْ غَيْرِهِـــمْ وَلَوْ أنَّـــنِي
مِنْ أرْضِ فَـــاس مِنْ بَنِي المَلجُـــومِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـــن شعـــره في هجـــاء أهـــل فـــاس:

مَشى اللؤْمُ في الدنْيَا طَرِيداً مُشَـــرَّدَا
يَجُـــوبُ بِـــلادَ اللـــهِ شَرْقـــاً وَمَغْرِبَـــا
فَلمَّـــا أتى فَاســـاً تَلَقَّـــاهُ أهْلهَـــا
وقالُـــوا لَهُ: أهْـــلاً وسَهْـــلاً ومَرْحَبَـــا

وقـــال عنـــه ابـــن خلكـــان: **((وكـــان هـــذا الأديـــب نهايـــة في حفـــظ الأشعـــار القديمـــة، والمحدثـــة. وتقـــدم في هـــذا الشـــأن، وجالـــس بـــه عبـــد المؤمـــن، ثـــم ولـــده يوســـف، ثـــم ولـــده يعقـــوب... كانـــت لـــه نـــوادر نـــادرة، وملـــح مستظرفـــة عنـــد أهـــل الأدب؛ فمـــن ذلـــك أنـــه حضـــر يومـــا إلى بـــاب دار الأميـــر يوســـف المذكـــور؛ وهنـــاك الطبيـــب سعيـــد الغمـــاري... فقـــال الأميـــر يوســـف لبعـــض خدمـــه: "أنظـــر مـــن بالبـــاب مـــن الأصحـــاب"؛ فخـــرج الخـــادم إلى البـــاب ، ثـــم عـــاد إليـــه فقـــال: "أحمـــد الجـــراوي، وسعيـــد الغمـــاري"؛ فقـــال الأميـــر يوســـف: "مـــن عجائـــب الدنيـــا؛ شاعـــر مـــن جـــراوة، وطبيـــب مـــن** غمـــارة"**؛ فبلـــغ ذلـــك الجـــراوي فقـــال: "وضـــرب لنـــا مثـــلا ونـــسي نفســـه" "يـــس: 87"؛ "أعجـــب منهمـــا واللـــه خليفـــة مـــن كوميـــة". فيقـــال إن الأميـــر يوســـف**

لما بلغه ذلك قال: "أعاقبه بالحلم عنه، والعفو؛ ففيه تكذيبه"))[1]. وكان يوسف بن عبد المؤمن حليما ومتسامحا؛ على خلاف ابنه يعقوب؛ الذي يميل إلى التشدد؛ خاصة فيما يتعلق بالخلق الديني؛ لذا فإنه أبعد الجراوي عن ديوانه؛ بسبب أفكاره التي تميل إلى التصريح بعصمة الإمام؛ وهذه الفكرة بالذات لا يستسيغها يعقوب. وذكر المقري حكاية؛ تكشف عما يكنه السلطان يعقوب من كراهية للجراوي؛ وخلاصتها أن الجراوي تصدى للشاعر يحيى بن مجبر الفهري؛ عندما أنشد قصيدة؛ مدح فيها السلطان يوسف؛ جاء فيها:

إنَّ خَيْرَ الفُتُوحِ مَا جَاءَ عَفْواً
مِثْلُ مَا يَخْطُبُ الخَطِيبُ ارْتِجَالا

فقاطعه الجراوي ـــ من فرط حسده ـــ وقال: **(("يا سيدنا اهتدم بيت وضاح:**

خَيْرُ شَرَابٍ مَا كَانَ عَفْواً
كَأَنَّهُ خُطْبَةُ ارْتِجَالِ

---

[1] وفيات الأعيان، ج: 7، ص ص: 136 ـــ 137.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَبَدَرَ المنصور ـ وهو حينئذ وزير أبيه، وسنه قريب من العشرين ـ وقال: " إن كان اهتدمه؛ فقد استحقه؛ لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف؛ فسر أبوه بجوابه، وعجب الحاضرون))[2]. ولما توفي السلطان يعقوب؛ وخلفه ابنه الناصر؛ استعاد الجراوي بعض مكانته؛ ففي قصيدة يمدحه فيها المح إلى معاناته، والتمس منه إعادته لسابق عهده:

لَبِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالاً كُنْهَهُ
أعْيَا عَلَىَ الأفْكَارِ وَالأوْهَامِ
فَكَأَنَّهَا دَارُ السَّلاَمِ نَعِيمُهَا
مُتَأبِدٌ، وَدُخُولُهَا بِسَلاَمِ

إلى أن يقول:

فَارَقْتُ مَا قَدْ كُنْتُ فِيهِ كَأنَّهُ
طَيْفٌ رَأتْهُ العَيْنُ فِي الأحْلاَمِ
فَعَسَى أرَي وَجْهَ الرِّضَا فَلَطَالَمَا
أمّلْتُ رُؤْيَتَهُ مَعَ الأعْوَامِ

---

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 238.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الوادي آشي الجراوي** (ت: سنة 635هـ/1237م)؛ فقيه، وعالم بالنحو، والأدب؛ ولاه محمد بن هود خطة قاضي الجماعة بالأندلس.

***

ـ ***مواطنهم***: مواطن جراوة الأولى كانت **بإفريقية**، **والمغرب الأوسط**؛ ثم نزحوا إلى **المغرب الأقصى**؛ وهم ـ حتى عهد ابن خلدون ـ يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة **يطوفت**، وغيرها من أحياء **غمارة**.

É É É

ـ ***بنو يفرن:***

وهم أبناء **يفرن بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وإخوانهم هم: مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو واسين. وأهم الأحياء المتفرعة عنهم: **بنو واركوا، ومرنجيصة.** وكان بنو يفرن ـ في بداية الفتح الإسلامي ـ ضمن القبائل الأمازيغية المتحالفة مع جرواة؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهدف مقاومة المسلمين. وبعد هزيمة ذلك الحلف، ومقتل الكاهنة، وافتراق شمل القبائل في أقطار المغرب، تعرض بنو يفرن للمصير نفسه. ولكنهم سرعان ما ظهروا للمرة الثانية؛ ضمن أحلاف أمازيغية جديدة؛ قامت بالثورة ضد ولاة بني أمية، وبني العباس؛ بقيادة ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، **وأبي قرة اليفرني.** كما ظهروا أيضا ضمن أحلاف قبلية أخرى؛ ثارت على الدولة الفاطمية؛ **بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني**؛ وهو من **بني واركو.** وقد بلغ تأثير هذه الثورة في الدولة الفاطمية؛ درجة كادت بسببها أن تسقطها نهائيا؛ لولا بعض التصرفات السلبية؛ التي تسببت في تفرق جل القبائل عن أبي يزيد.

ومع هذا فقد استطاعت قبيلة بني يفرن أن تصل برؤسائها إلى **مرتبة الملك**؛ حيث أقامت دولا عديدة؛ في المغربين: الأوسط، والأقصى؛ وفي الأندلس؛ زمن الطوائف؛ وهذه الإمارات هي: **إمارة أبي قرة اليفرني**؛ وهي في الحقيقة إمارة بدوية؛ قامت في شكل حلف قبلي. ثم إمارة **يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان.** ثم **إمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا**؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المغرب الأقصى. ثم **إمارة أبي نور بن أبي قرة اليفرني برندة**؛ من إقليم **تاكرُنَّا بالأندلس**. أضف إلى ذلك.. الكتلة القبلية التي **ترأسها أبو يزيد**؛ والتي يمكن اعتبارها إمارة حرب؛ تجمع بعض الأحلاف القبلية الزناتية؛ وهي ــ في الحقيقة ــ تتشابه مع التجمع القبلي الذي قاده أبو قرة اليفرني. وما يستحق الملاحظة ــ هنا ــ هو تمكن تلك الإمارات من الصمود ــ لبعض الوقت ــ أمام تكالب الدول القوية؛ في المنطقة؛ إذ كانت تستميت؛ طمعا في البقاء، والاستقلال؛ ولكن تعذر عليها الاستمرار في صمودها طويلا؛ نظرا لتضارب المصالح بين القبائل، والبطون الزناتية؛ إذ لم تتمكن أية عصبية؛ من احتواء العصبيات الصغرى الأخرى. ومع مرور الزمن؛ مال حال بني يفرن إلى الضعف، والتفكك؛ بعد العز، والسلطان؛ فتفرقت أحياؤهم عبر بلاد المغرب، والأندلس[1].

---

[1] أنظر ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 22 ــ 50.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد عرف ابن خلدون حياً من أحيائهم بإفريقية؛ ما بين القيروان، وتونس؛ من بقايا قبيلة **مرنجيصة**؛ بعد أن **وهنت عصبيتهم**، وضاع عزهم؛ فأضحوا في عداد القبائل الغارمة. ويقول عنهم أنهم كانوا ظواعن في تلك الجهات؛ ينتجعون الكلأ، ويرعون الشاء، والبقر؛ كما يتعاطون الفلاحة؛ في بعض الحالات. وكانت الدولة الموحدية قد ألزمتهم بدفع المغارم، وتقديم حصة من المقاتلين للدولة؛ عند الحاجة. وفي زمن ابن خلدون؛ تسلط عليهم حي من بني سليم؛ يسمى الكعوب؛ كانت الدولة الحفصية قد استنجدت بهم؛ لصد قبيلة الدواودة؛ من أحياء رياح؛ فأقطعتهم المنطقة ما بين قابس، وباجة. فأضحت مرنجيصة ـ بذلك ـ ضمن إقطاعاتهم؛ فألزموها بدفع الخراج، والمغارم إليهم؛ دون الدولة؛ بل فرضوا على هذا الحي تقديم حصة من المقاتلين؛ عند الحاجة؛ لتكون معهم في حروبهم.

! ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ***أعيانهم***: من علماء بني يفرن المعدودين:

ـ **أبو عبد الله محمد بن المَعِزِ اليفرني المايورقي** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ مقرئ، ومحدث؛ ولي خطة الشورى، والقضاء بميورقة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى اليفرني** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ وهو من الفقهاء.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** الشهير بالمكناسي وبالطنجي (ت: سنة 734هـ)؛ فقيه؛ من الأعلام اليفرنيين الذين ارتبط اسمهم بمدينة مكناسة؛ كان إماما في علمي: الفرائض، والحساب في زمنه.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** (توفي بفاس سنة 753هـ/1352م)؛ فقيه. وهو أخو أبي الحسن الطنجي؛ واشتهر بالمكناسي؛ بسبب إقامته بتلك المدينة لبعض الوقت.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرني** الشهير بالمكناسي (ت: سنة 818هـ/1415م)؛ وهو من الضالعين في العلوم الفقهية، وعلم الفرائض.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد اليفرني** الشهير بالمكناسي (توفي بفاس سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه؛ ومن علماء: الحساب، والفرائض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني**؛ الشهير بالمكناسي أيضا (توفي بفاس سنة 917هـ/1511م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بفاس لمدة تعدت الثلاثين سنة؛ وهو من ذرية أبي الحسن الطنجي؛ له مؤلفات منها: مجالس القضاة والحكام، والتنبيه والإعلام فيما أفتاه به المفتون وحكم به القضاة من الأحكام.

ooo

أما أعيان بني يفرن وأمرائهم، ورجال السياسة فيهم؛ فهم:

ـ **أبو قرة اليفرني** (كان حيا سنة 148هـ/765م)؛ وهو من قادة الصفرية الثائرين على ولاة القيروان.

ـ ثم **أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني** (ت: سنة 335هـ/946م)؛ الإباضي، النكاري، الثائر على الفاطميين؛ فإلى جانب اشتغاله بأمور السياسة، والحكم؛ فهو ـ أيضا ـ من علماء المذهب الإباضي؛ ولكنه نكاري الإتجاه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **محمد بن صالح اليفرني** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أبو السلاطين من بني يفرن؛ وإن كان شأنه قبلهم لا يتعدى حدود رئيس القبيلة.

ـ ثم **يعلى بن محمد بن صالح** (ت: سنة 347هـ/958م).

ـ ثم **يدوي بن يعلى بن محمد** (توفي بعد 383هـ/993م).

ـ ثم **حمامة بن زيري بن يعلى اليفرني** (توفي بعد 406هـ/1015م).

ـ ثم **أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني** (ت: سنة 446هـ/1054م).

ـ ثم **أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني** (ت: سنة 450هـ/1058م). وهو الذي استبد بمنطقة تاكرُنَّا؛ بالأندلس؛ حيث شيد فيها إمارة استقل بها ـ أيام حكم الطوائف ـ واتخذ من رندة حاضرة لإمارته.

ـ ثم ولده **أبو نصر فتوح بن هلال** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ وبموته انتهت دولتهم برندة؛ وسقطت في أيدي ابن عباد.

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **مواطنهم**: كانت مواطن **بني يفرن** ـ في البداية ـ **بإفريقية**، **وجبال أوراس**، **وجهات تلمسان**، **وتيهرت**. ثم انتقل جمهورهم إلى **المغرب الأقصى**؛ حيث أقاموا **دولة في فاس**، **وسلا**.

É É É

ـ **مغرواة**:

وهم أبناء **مغراو بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وهم اخوة بني يفرن، وبني يرنيان، وبني واسين. ومن أهم بطون مغراوة: **لقواط** أو (لغواط)، **وريغة**، **وبنو سنجاس**، **وبنو ورا**. ويقال أن أميرهم ـ أثناء الفتح ـ كان يسمى **صولات بن وزمار**؛ ذهب إلى المدينة المنورة؛ إما موفدا، وإما أسيرا؛ فقابل عثمان رضي الله عنه؛ فأكرمه؛ بعد إسلامه، وعقد له على قومه. فأصبح صولات؛ هو وقومه مغراوة ـ منذئذ ـ من موالي عثمان، وبني أمية. وبعد قيام الدولة الإدريسية انحازت إليها مغراوة، وسلمت إليها قيادة الأمور في تلمسان. واكتفى أمراؤها بمرتبة الرئاسة على قومهم عبر الأرياف، والبوادي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولما تطلع حكام الأندلس؛ من بني أمية؛ إلى بلاد المغرب؛ نقل المغراويون ولاءهم إليهم. نظرا لظهور الدولة الفاطمية؛ التي تهددهم جميعا، وتبعا لهرم الدولة الإدريسية؛ العاجزة عن حماية كيانها، وردع أعدائها. هذا.. وقد عرفت مغراوة فتنا عديدة، وصراعات شديدة؛ بينها وبين الدول المتواجدة ــ آنئذ ــ بالمغرب الإسلامي مثل: الدولة الفاطمية، والدولة الصنهاجية؛ بشقيها: (الزيرية، والحمادية). هذا.. بالإضافة إلى الحروب الطاحنة؛ بينهم وبين اخوتهم من بنى يفرن؛ وذلك بسبب أنهم ــ جميعا ــ يسعون إلى إقامة دولة؛ تخضع إليها **العصبيات الزناتية** كلها. ولما كانت العصبيتان متكافئتين؛ فقد تعذر حسم الصراع لصالح أحدهما. ومع هذا فقد تمكن كل طرف من إنشاء بعض الإمارات، والدول في المغربين: الأقصى، والأوسط، ثم طرابلس؛ مثل: **إمارة محمد بن خزر** بتلمسان، **وإمارة آل زيري ابن عطية** بفاس، **وإمارة بني خزرون** بسجلماسة، **وإمارة بني خزرون** بطرابلس، **وإمارة بني يعلى** أولاد خزر بتلمسان، **وإمارة لقوط بن**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوسف بن علي المغراوي بأغمات، **ثم إمارة بني منديل** بشلف ومازونة[1].

وبنو سنجاس منهم؛ وهم منتشرون في إفريقية، والمغربين: الأوسط، والأقصى؛ أين تركوا أثرا كبيرا؛ نتيجة لحروهم المضنية ـ إلى جانب أبناء عمومتهم من زناتة ـ ضد صنهاجة؛ حيث اشتد عيثهم، وتضاعف فسادهم في المدن، والمسالك. وبقدوم بني هلال؛ ضعف أثرهم؛ وانسحب جمعهم إلى الحصون، والمعاقل؛ حيث أعطوا ـ صاغرين ـ المغارم إلى شيوخ القبائل الهلالية المتغلبة على تلك الجهات أحيانا، وإلى الدولة أحيانا أخرى.

أما **بنو ريغة** فيتفرعون إلى أحياء عديدة؛ توزعوا في الأقطار؛ بعد افتراق الأحلاف الزناتية: فمنهم من اختار سكنى القياطن؛ عند **جبل عياض**، وفي السهوب الممتدة إلى **نقاوس**؛ منصاعين، وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو للقبائل المتغلبة. ومنهم من اطمأن إلى بيوت الطين، والحجر؛ في **قصور الزاب، ووادي ريغ، وورگلا**؛ مستسلمين للدولة، وضرائبها. **أما لقواط** فهم كذلك فخذ من مغراوة. اشتهروا

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 50 ـــ 101. 131 ـــ 146.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإبـــاء، والنجـــدة، والامتناع عـــن الدولـــة، والأعـــراب؛ في المناطـــق النائيـــة. **وأمـــا بنـــو ورا** فمتفرقـــون بيـــن: **مراكـــش، والســـوس، وقسنطينـــة، وشلـــف.** قابليـــن بإعطـــاء المغـــارم، والمقاتليـــن للدولـــة. وبعـــد أفـــول الدولـــة الموحديـــة؛ نهـــض حي مـــن مغـــراوة في **جهـــات شلـــف**؛ وهـــم **بنـــو منديـــل**؛ أمـــراء تلـــك الجهـــات[1].

! ! !

ـ *أعيانهـــم*: بـــرز مـــن مغـــراوة علمـــاء، وأمـــراء، وقـــادة؛ كـــان لهـــم ذكـــر، وشهـــرة؛ منهـــم:

ـ **أبـــو عـــلي منصـــور بـــن الخيـــر بـــن يعقـــوب ابـــن يملا المالـــقي المغـــراوي** المعـــروف بالأحـــدب (تـــوفي بمالقـــة سنـــة 526هـــ/1131م)؛ وهـــو عالـــم بالقـــراءات؛ فاعتـــنى بهـــا، وبروايتهـــا، وطرقهـــا؛ وجمـــع فيهـــا كتبـــا؛ لقنهـــا لغيـــره.

ـ ثـــم **أبـــو زكريـــاء يحيـــى بـــن محمـــد التونـــسي المغـــراوي** (مـــن أعـــلام القـــرن الثامـــن للهجـــرة)؛ وهـــو ممـــن سمـــع منهـــم ابـــن الخطيـــب بالمدينـــة المنـــورة.

---

[1] أنظـــر العبـــر، مج: 7، ص ص: **131 ـــ 146**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد بـن عبـد اللـه المغـراوي** (ت: سنـة 820هـ/1427م)؛ مـن أعـلام الفقـه المالـكي، والأصـول، والنحـو. ويقـال أنـه كـان يعـارض عبـد الرحمـن ابـن خلـدون، ويفـتي عليـه؛ كمـا حدث بينـه وبيـن البسـاطي جـدال علـمي تحـول إلى مشاجـرة، ومشاتمـة.

ـ ثـم **أحمـد بـن عبـد الرحمـن المغـراوي التلمسـاني** الشهيـر بابـن زاغـو (ت: سنـة 845هـ/1441م)؛ فقيـه، وصـوفي؛ لـه مؤلفـات عديـدة منهـا: تفسيـر الفاتحـة، وشـرح التلمسانيـة في الفرائـض؛ ولـه أيضـا فتـاوى عديـدة في مختلـف العلـوم والأغـراض؛ سجـل معظمهـا في معيـار المـازوني.

ـ ثـم **واضـح بـن عثمـان بـن محمـد بـن عيـسى بـن فركـون المغـراوي** (ت: سنـة 856هـ/1452م)؛ فقيـه وقـاضي، ومـن أعـلام الفقـه، والبيـان.

ـ ثـم **أحمـد بـن القـاضي البجـائي المغـراوي** (تـوفي قبـل سنـة 920هـ/1514م)؛ مـن الفقهـاء العامليـن بجبـل زواوة.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه شقـرون محمـد بـن أحمـد ابـن أبي جمعـة** (ت: سنـة 930هـ/1523م)؛ مقـرئ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأستاذ، ومتكلم؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين.

ـ ثم **محمد بن يحيى بن موسى المغراوي التلمساني الراشدي** دارا؛ فقيه. وصوفي؛ من أهل التفسير، والتوحيد؛ له شرح على أرجوزة أبي زيد عبد الرحمن السنوسي.

ooo

ومن أهم رؤساء مغراوة وأمرائها العاملين في شئون الحكم، والسياسة:

ـ **صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة)؛ وهو كبير مغراوة وأميرها خلال الفتح الإسلامي؛ كما سبق ذكره.

ـ ثم ابنه **حفص بن صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة).

ـ ثم **خزر بن حفص بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة). أمير مغراوة؛ في عهده.

ـ ثم **محمد بن خزر بن حفص**. أمير مغراوة في وقته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **خزرون بن فلفول بن خزر**(توفي بعد 366هـ/976م)؛ وهو مؤسس إمارة مغراوة بسجلماسة.

ـ ثم **سعيد بن خزرون بن فلفول** (ت: سنة 381هـ/991م)؛ وهو أمير طبنة؛ تحت طاعة السلطان المنصور ابن بلكين الصنهاجي.

ـ ثم **زيري بن عطية بن عبد الله بن خرز بن حفص المغراوي** (ت: سنة 391هـ/1000م)؛ عرف عهده اضطرابات عديدة، ووقائع بينه وبين مختلف القوى المتواجدة آنذاك ببلاد المغرب؛ كبني أمية، وبني حماد، وبني يفرن.

ـ ثم ولده **فلفول بن سعيد بن خزرون** (ت: سنة 400هـ/1009م)؛ كان أميرا على طبنة؛ ثم نشبت بينه وبين بني زيري الصنهاجيين فتن، وخلافات؛ انجر عنها احتلاله لطرابلس؛ أين أقام فيها إمارة للمغراويين.

ـ ثم **المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي** (ت: سنة 417هـ/1026م)؛ كان في البداية منضويا إلى بني أمية؛ ولما اضطرب حالهم؛ مال إلى الاستبداد، وعدم الرجوع إليهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو العطاف حمامة بن المعز بن زيري ابن عطية** (ت: سنة 433هـ/1041م)؛ يعتبر من أجَلِّ أمراء مغراوة؛ علما، وسلطانا؛ كان محبا للأدب، ومشجعا للشعراء؛ الذين يتسابقون إلى بلاطه ببلاد المغرب؛ وافدين إليه من الأندلس.

ـ ثم **دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي** (ت: سنة 452هـ/1060م)؛ تولى إمارة فاس بعد وفاة أبيه؛ وعرف عهده هدوءا، ورخاء؛ نمت، وعظمت فاس بسببهما؛ وأضحت قبلة للتجار، وأصحاب الصنائع؛ كما تضاعف عمرانها؛ ببناء أسوار المدينة، وتشييد المساجد، والفنادق، والحمامات، ومختلف المنشآت، والمرافق.

ـ ثم **الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز ابن عطية المغراوي** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ في عهده سقطت دولة مغراوة بفاس؛ بواسطة جيوش المرابطين؛ وإليه ينتسب باب الفتوح الموجود الآن بفاس.

ـ ثم **منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد الخزري المغراوي** (ت: سنة 623هـ/1226م). صاحب إمارة مغراوة بشلف.

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ ***مواطنهم***: تمتد مواطن مغراوة ضمن بلاد المغرب الأوسط؛ **من تلمسان إلى شلف، وحتى جبال مديونة.** ثم هيمنوا ــ بعد ذلك ــ على المغرب الأوسط كله تقريبا، **وبعض الأقطار من المغرب الأقصى.** وبعد أن أخرجهم الصنهاجيون من المغرب الأوسط. عادوا إلى الظهور فيه؛ أواخر الدولة الموحدية؛ عبر مناطق **شلف، ومتيجة**، وبعض المناطق الداخلية.

وحدد ابن خلدون بعض مواطن بطونهم المعروفة بقوله: **((فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقية، والمغربين؛ فمنهم قبلة المغرب الأوسط؛ بجبل راشد، وجبل كريكرة؛ بعمل الزاب، وبعمل شلف...[و] بعمل قسنطينة... ومن بني سنجاس من نزل بالزاب...[و] بأرض المشنتل؛ ما بين الزاب، وجبل راشد؛ أوطنوا جباله... أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناتة؛ تحيز منهم إلى جبل عياض، وما إليه من البسيط إلى نقاوس؛ وأقاموا في قياطينهم... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا؛ فاختطوا قرى كثيرة؛ في عدوة وادٍ ينحدر من الغرب إلى الشرق،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويشتمل على المصر الكبير، والقرية المتوسطة، والأطم؛ قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران؛ من ريغة هؤلاء. وبهم تعرف لهذا العهد...وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت... ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين...وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا؛ فهم في نواحي الصحراء؛ ما بين الزاب وجبل راشد[1]. ولهم هناك قصر مشهور بهم؛ فيه فريق من أعقابهم؛ على سغب من العيش؛ لتوغله في القفر... وبينهم وبين الدوسن؛ أقصى عمل الزاب مرحلتان؛ وتختلف قصودهم إليه؛ لتحصيل المرافق منه...وأما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضا...وهم متشعبون، ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراكش والسوس، ومنهم ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة...))[1].

É É É

[1] جبل عمور حالياً.

[1] المصدر السابق، ص ص: 96 ــ 100.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **بنو يرنيـــان:**

وهـــم **بنـــو يرنيـــان بـــن يصلتيـــن.** جدهـــم الأكبـــر هـــو **زانـــا بـــن يحـــيى.** ومـــن اخوهمـــم: بنـــو يفـــرن، ومغـــراوة. عرفنـــا مـــن بطونهـــم ـ حـــتى الآن ـ **بـــني وطـــاط.** وكـــان بنـــو يرنيـــان مـــن أشـــد القبائـــل شكيمـــة، وأخلصهـــم جهـــادا؛ حيـــث أمـــدوا الدولـــة الأمويـــة بالأندلـــس بأقـــوى الجنـــود، وأفحـــل المجاهديـــن. ولمـــا حدثـــت الفتنـــة الـــتي أجهـــزت عـــلى الدولـــة الأمويـــة؛ **ثـــار بنـــو خـــزرون**؛ الذيـــن ينسبهـــم بعـــض المؤرخيـــن إلى بـــني يرنيـــان؛ **بقلشانـــة** سنـــة 402هــ/1011م؛ فتمكنـــوا بعدهـــا مـــن التغلـــب على **أركـــش**؛ وأعلنـــوا دولتهـــم بهـــا. غيـــر أنـــي أشـــك في انتمـــاء بـــني خـــزرون هـــؤلاء إلى بـــني يرنيـــان؛ وأعتقـــد أنهـــم مـــن مغـــراوة، وينحـــدرون عـــن الجـــد المدعـــو **عبـــدون بـــن الخيـــر بـــن محمـــد بـــن خـــزر المغـــراوي**؛ القـــادم إلى الأندلـــس مـــع جعفـــر بـــن عـــلى؛ في جملـــة زعمـــاء الأمازيـــغ[1].

[1] ابـــن حيـــان؛ المقتبـــس، القطعـــة المحققـــة مـــن طـــرف حـــجي، ص ص: 39 ـــ 40.
العبـــر، مج: 4، ص ص: 324. 339.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن الالتباس حدث بسبب كونهم من حلفاء مغراوة؛ ـ كما ذكر ابن خلدون ـ ولما كانت أعداد بني يرنيان متغلبة؛ على غيرهم من حماة إمارة بني خزرون؛ فأن بعض الناس ظنوا أن أمرائهم هم بدورهم من بني يرنيان؛ مع أنهم ـ كما يبدو لي ـ من مغراوة؛ حلفاء بني يرنيان آنذاك. وقبولهم بحكمهم؛ يرجع إلى أنهم كانوا يصنفون ضمن **أهل النصاب الملكي**؛ لما كانوا عليه أيام بني أمية. ومما يعزز هذا الرأي أن ابن خلدون لم يشر كما هي عادته ـ عند حديثه عن بني يرنيان إلى إمارتهم بالأندلس؛ بينما نراه يشير إلى إمارات أخرى لبني يفرن، وبني دمر، وبني برزال..ألخ وعلى الرغم من شكي؛ فسأضعهم مع بني يرنيان حتى يأتي اليقين بخلاف هذا.

أما في بلاد المغرب؛ فكان **بنو يرنيان** أتباعا، وأعوانا لإخوانهم مغراوة أيام الملك. وفي العهود الأخيرة تحالفوا مع بني مرين، وجاوروهم بالقفر؛ خلال عهدي: المرابطين، والموحدين؛ وكانوا سندا قويا لهم عند إسقاط الدولة الموحدية. وعليه.. فقد أشركهم بنو مرين في مناصب الدولة؛ حيث أسندوا إلى بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيوتهم مرتبة الوزارة، كما عُين آخرون على رأس المقاطعات، والعمالات[2].

! ! !

ـ ***أعيانهم***: نبدأ بمن نسب إليهم في الأندلس؛ علما بأني سأبقى متحفظا ـ كما سبق أن أشرت ـ وعليه.. يمكن أن يكون منهم:

ـ **أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري** (توفي حوالي عام 420هـ/1029م)؛ قال عنه ابن عذاري: ((**ثم غلب على أركش؛ وهي أعظم معاقل الأندلس؛ فملكها، وأقام ملكها، ظابطا لها، مثمرا لأموالها؛ وكان فتاكا، هتاكا، قتالا، سفاكا**))[1].

ـ ثم **عبدون بن محمد بن خزرون** (توفي حوالي عام 445هـ/1053م)؛ خلف والده على إمارة أركش؛ وضم إليها ما جاورها من البلاد؛ كقلشانة، وشريش؛ وفي عام 445هـ غدر به ابن عباد؛ حين دعاه مع محمد بن نوح

---

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 101 ـ 103.

[1] البيان المغرب، ج: 3، ص: 294.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى زيارته بإشبيلية؛ ولما قدما إليه؛ قبض عليهما، وقتلهما في سجنهما.

ـ ثم **محمد بن محمد بن خزرون** (ت: سنة 461هـ/1068م)؛ تولى حكم أركش بعد موت أخيه عبدون؛ حيث سارع إلى تحصين بلاده؛ تحسبا لصد هجمات ابن عباد؛ ولكن هذا الأخير طاوله، واستنزف قواه؛ حتى سقطت أركش في يده. وقتل محمد بن خزرون في المعركة؛ بعد أن أمر بقتل زوجته؛ ذات الجمال الرائع، وأخته؛ لكي لا تقعا في أسر أعدائه.

ooo

وأهم رؤساء، وزعماء بني يرنيان في ظل الدولة المرينية:

ـ **إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي خطة الوزارة لعدد من سلاطين بني مرين؛ بدءا بعامر بن عبد الله بن يوسف، فسليمان بن عبد الله، فعثمان بن يعقوب.

ـ ثم ابنه **مسعود بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان أبو الحسن على أعمال السوس سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

730هـ/1329م، واستخلفه ـ بعدها ـ بأخيه حسون؛ أما مسعود فولاه على بلاد الجريد؛ لما فتحها سنة 748هـ/1347م.

ـ ثم **حسون بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي أعمال السوس هو الآخر بعد أخيه مسعود.

ـ ثم **موسى بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ تقلد خطة الوزارة؛ لدى أبي الحسن علي بن عثمان؛ كما أسند إليه أبو عنان مهام جليلة؛ منها ولاية أعمال سدويكش الكتاميين بجهات قسنطينة.

ـ ثم **محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو الذي رشحه أبو عنان للوزارة، كما أسندها ـ أيضا ـ إليه السلطان عبد الحليم بن أبي علي (المعروف بحلي).

***

ـ **مواطنهم**: ومواطن **بني يرنيان** الأصلية تمتد بين **سجلماسة، وكرسيف**، على ضفاف ملوية؛ حيث كانوا مجاورين لمكانسة. وفي عهد المرابطين، والموحدين من بعدهم؛ نزح الظواعن من بني يرنيان إلى القفر؛ وبقي العاجزون عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظعن منهم: كبني وطاط، وغيرهم؛ حيث خضعوا للدولة، وانصاعوا لفروض الطاعة، والتزموا بدفع المغارم، والجبايات. ولما استولى المرينيون على سدة الحكم في المغرب الأقصى اقطعوا بني يرنيان **البلد الطيب**، في **أطراف سلا، والمعمورة**؛ بالإضافة إلى مواطنهم الأصلية؛ على ضفاف ملوية. ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن بني يرنيان؛ بأنهم كانوا ـ في زمنه ـ متواجدين بالجبال المشرفة على وادي ملوية؛ من ناحية الجنوب؛ إذ كانوا منتشرين في القصور الممتدة عبر تلك الجهات؛ **من ملوية إلى تازة، وفاس.**

É É É

ـ وجديجن:

وهم من **أولاد ورتنيص**. وجدهم هو **زانا ابن يحيى**. واخوتهم هم بنو واغمرت. كانت أعدادهم زاخرة، وقوتهم وافرة. ومن أشهر رؤسائهم الشيخ عنان. (عاش في عهد يعلى ابن محمد اليفرني؛ أمير بني يفرن؛ الذي توفي سنة 347هـ/958م). وحدثت لهذا الشيخ قصة طريفة؛ يمكن تصنيفها من بين النوادر التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفرزها **العصبية القبلية.** خلاصة القصة أن امرأة من وجديجن متزوجة في قبيلة لواتة؛ المجاورة لقبيلتها؛ فتخاصمت مع نساء من بيت زوجها؛ فعايرنها بالفقر؛ فكتبت لعنان؛ شيخ وجديجن تشكوه، وتحرضه. فغضب الشيخ[1] **((واستجاش بأهل عصبيته؛ من زناتة، وجيرانه. فزحف معه يعلى؛ في بني يفرن، وكلمام بن حياتي؛ في مغيلة، وعزانة في مطماطة. ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو؛ وانهوا بهم إلى كدية العابد؛ من آخرها. وهلك عنان؛ شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع؛ بملاكو؛ من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة إلى جبل كريكرة؛ قبلة السرسو)).** وهذه عينة من سخافات العصبية، وشطحاتها.

! ! !

ـــ ***أعيانهم:*** فمن أهم علماء وجديجن، وأصحاب الفكر فيهم:

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 104.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **محمد بن موسى الوجديجي التجيني** (كان حيا حوالي 930هـ/1523م)؛ وهو فقيه تلمسان ومفتيها؛ آنئذ.

ـ ثم **إبراهيم الوجديجي التلمساني** (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة). وهو فقيه؛ من أهل التصوف.

ـ ثم **محمد بن أحمد الوجديجي** (توفي حوالي 950هـ/1543م)؛ وهو أحد الشيوخ الصوفيين؛ وكان يعلم الصبيان.

ـ ثم **محمد بن محمد بن موسى الوجديجي** المعروف بالصغير (توفي بالوباء سنة 981هـ/1573م)؛ وهو فقيه، ومن العلماء المتفننين، والمحققين؛ وقد اختص بالإفتاء في تلمسان.

ـ ثم **محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني** (توفي بفاس سنة 983هـ/1575م)؛ وهو فقييه؛ كان يكنى بمالك الصغير؛ لضلوعه في الفقه، والفروع؛ كما كانت له اهتمامات بالتفسير، والحساب، والفرائض، والبيان، والمنطق؛ اختص بالإفتاء في تلمسان؛ وبعدها تولى الإفتاء بمراكش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **محمد بن موسى الوجديجي التجيني.** فقيه.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطنهم **بمنداس**؛ إذ كانوا مجاورين لبني يفرن من جهة الغرب، ولواتة من جهة الجنوب في السرسو، ومطماطة من جهة الشرق بالوانشريس. ولما تغلبوا على لواتة استولوا على أراضيهم، وظلوا هناك حتى تغلبت عليهم أحياء بني يلومي، وبني ومانوا.

É É É

ـ ***واغمرت:***

ويسمون ـ أيضا ـ **غمرت**. وهم **أبناء ورتنيص**؛ من **أحفاد زانا**. وكان هذا الحي من أوفر الأحياء عدادا. وقد انضموا إلى أبي يزيد في ثورته؛ ضد الفاطميين. وبعد فشلهم جميعا؛ تعرضوا للتصفية؛ بالقتل، والتشريد من طرف عاهل الدولة الفاطمية إسماعيل المنصور، ثم أكمل مهمة الإثخان فيهم؛ بلكين بن زيري أمير صنهاجة؛ فساءت أحوالهم نتيجة لذلك؛ خاصة عندما اكتملت مصيبتهم؛ باجتياح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ديارهم من طرف بني هلال؛ الذين أجبروهم على الاعتصام في الجبال الجنوبية من المسيلة؛ التي استوطنوها بعد أن تركوا الظعن، واستقروا في القرى، والمدن المتواجدة بتلك الجهات. فضعفت بذلك عصبيتهم، وانقادوا لغيرهم من القبائل الهلالية؛ مثل الدواودة؛ الذين أقطعتهم الدولة الجبال التي تسكنها واغمرت؛ فأضحوا بذلك من القبائل الغارمة؛ التي تدفع مغارمها إلى قبيلة الدواودة[1].

! ! !

ــ ***أعيانهم***: من أهم علماء وأعيان واغمرت أو غمرت:

ــ **أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمْري السرقسطي** (ت: سنة 392هـ/1001م)؛ فقيه مالكي؛ كان قد تنقل في أقطار المغرب، والمشرق؛ دارسا، ومدرسا؛ وله كتاب بعنوان كتاب الوجازة في صحة القول بالإجازة؛ أشار فيه إلى من لقيهم من العلماء في رحلته.

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 105 ــ 106.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـــن مشاهيرهـــم؛ كاهـــن زناتـــة **مـــوسى بـــن صالـــح**؛ قـــال عنـــه ابـــن خلـــدون: ((**مشهـــور عندهـــم حـــتى الآن، ويتناقلـــون بينهـــم كلماتـــه برطانتهـــم عـــلى طريقـــة الرجـــز؛ فيهـــا أخبـــار بالحدثـــان؛ فيمـــا يكـــون لهـــذا الجيـــل الزنـــاتي مـــن الملـــك، والدولـــة...وأفـــرط الخـــلاف بيـــن هـــذا الجيـــل الزنـــاتي؛ في التشيـــع لـــه، والحمـــل عليـــه: فمنهـــم مـــن يزعـــم أنـــه ولي، أو نـــبي؛ وآخـــرون يقولـــون كاهـــن**))[1].

***

ـــ ***مواطنهـــم***: كانـــت مواطنهـــم في بدايـــة الأمـــر جنـــوب بـــلاد صنهاجـــة؛ **مـــن المشنتـــل إلى الدوســـن.** غيـــر أن الأحـــداث الـــتي مـــروا بهـــا أجبرتهـــم عـــلى تـــرك تلـــك الديـــار لغيرهـــم، والاكتفـــاء **بالجبـــال الجنوبيـــة لمدينـــة المسيلـــة.**

É É É

1ـــ العبـــر، مج: 7، ص: 105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ***بنو واركلا:***

وهم من **أبناء تمالة بن فريني بن زانا ابن يحيى**. ومن إخوانهم: منجصة، ويزمرتن. عددهم ليس كبيرا. يعيش معهم في ديارهم النائية؛ جماعة من بني زنداك المغراويين؛ الذين التجأ إليهم أبو يزيد؛ قبل ثورته. ورئيس بني واركلا أيام ابن خلدون من بيت منهم؛ وهو **أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول**. وكان يلقب بالسلطان.

! ! !

ـ ***أعيانهم***: من علماء بني وركلا أو (ورجلا):

ـ **أبو زكريا يحيى بن علي الوركلاني** (الورجلاني) (ت: سنة 471هـ/1078م)؛ وهو من الفقهاء، والمؤرخين؛ ألف كتاب سير الأئمة وأخبارهم؛ ويعتبر هذا الكتاب أقدم أثر تاريخي ـ معروف حتى الآن ـ للإباضيين في المغرب الإسلامي؛ وقد ترجم ملخص له بالفرنسية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم أبـو صالـح جنـون بـن يمريـان الورجـلاني (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الثالـث للهجـرة)؛ وهـو أحـد علمـاء الإباضيـة بورجـلان.

***

ـ *مواطنهـم*: تربـض مواطنهـم **جنـوب الـزاب.** ولهـم مصـر مستبحـر بعمرانـه؛ ويبعـد عـن بسكـرة بثمـاني مراحـل (400كلم تقريبـاً)؛ إلى الجنـوب الغـربي. كانـوا قـد بنـوه قصـورا متجـاورة، وقريبـة مـن بعضهـا؛ فالتصقـت؛ وأضحـت مصـرا واحـدا؛ عـرف باسمهـم. ويقـول عنـه ابـن خلـدون: **((وهـذا البلـد لهـذا العهـد بـاب ولـوج السفـر؛ مـن الـزاب إلى المفـازة الصحراويـة المفضيـة إلى بـلاد السـودان؛ يسلكهـا التجـار الداخلـون إليهـا بالبضائـع. وسكانهـا لهـذا العهـد مـن أعقـاب بـني واركـلا، وأعقـاب إخوانهـم مـن بـني يفـرن، ومغـراوة، ويعـرف رئيسهـم باسـم السلطـان؛ شهـرة غيـر نكيـرة بينهـم.))**[1].

É É É

---

[1] العبـر، مج: 7، ص: 107.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ **بنــو دمــر:**

وهــم أبنــاء **الغانــا بــن وريســك** أو (ورسيــج)؛ لأن اســم دمــر لقبــه، وليــس اسمــه. وجدهــم هــو **زانــا بــن يحــيى.** وبطــون دمــر كثيــرة، وعديــدة؛ منهــا: **بنــو ورغمــة** أو (ورجمــة)، **وبنــو ورنيــد؛** الذيــن تشعبــت أفخاذهــم أيضــا؛ فعــرف منهــم: **بنــو بــرزال، وبنــو تفــورت** أو (تقــورت)، **وبنــو ورتاتيــن، وبنــو غــرزول.** وقــد أجــاز منهــم إلى بــلاد الأندلــس؛ بعــض أعيانهــم، وأبطالهــم؛ فكــان لهــم ذكــر، وصولــة. وقــد تمكــن بنــو دمــر، واخوتهــم بنــو بــرزال مــن تشييــد إمارتيــن صغيرتيــن بالأندلــس؛ همــا: **إمــارة بــني بــرزال بقرمونــة.** ثــم **إمــارة بــني نــوح الدمَّــري بمــرور**Moron. وظــل بنــو دمــر متمسكيــن بمذهبهــم الخــارجي؛ خلافــا لإخوانهــم بــني بــرزال. وسقطــت ــ في النهايــة ــ هاتــان الإمارتــان بواسطــة ابــن عبــاد؛ صاحــب اشبيليــا؛ بعــد أحــداث، وخطــوب.

وكانــت **لبــني بــرزال بــن ورنيــد** ــ في بــلاد المغــرب ــ أحــداث مذكــورة، وأعــداد موفــورة. كمــا كانــت لهــم مواقــف معلنــة، وانحيــاز ظاهــر إلى صــف أبي يزيــد؛ إذ انتقــل إليهــم؛ فأجــاروه، وناصــروه، وحمــوه. ولمــا مــات عــادوا إلى طاعــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدولة الفاطمية؛ في موالاة أمير المسيلة، والزاب؛ جعفر بن علي بن حمدون. فكانوا له أتباعا، وأنصارا. ولما انشق عن دولة الفاطميين؛ ناصروه، ثم أجازوا معه إلى بلاد الأندلس؛ أين استقروا جميعا. وهناك ازداد نفوذهم، ونمت ثرواهم، وتعددت مناصبهم في الدولة الأموية. وبعد سقوطها؛ سارعوا إلى الاستبداد بإمارهم في **قرمونة**. ويبدو أن الأمر قد اختلط على محمد عنان؛ حين نسب بني برزال إلى بني يفرن؛ بينما هم — في الحقيقة — من بني ورنيد بن دمر بن ورسيك[2].

! ! !

— ***أعياهم***: من أشهر أعيان، وعلماء بني دمر؛ على اختلاف بطوهم:

— **يحيى بن موسى بن عبد الله البِرْزالي الغرناطي** (ت: سنة 541هـ/1146م)؛ وهو فقيه، وإمام بقرطبة.

— **ثم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يُدَّاس البرزالّي الإشبيلي** (توفي

---

[2] ابن عذاري؛ البيان المغرب، ج: 3، ص ص: 270 — 273. 275. ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 108 — 111.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدمشق سنة 636هـ/1238م)؛ عالم، بالحديث؛ ثقة؛ قال فيه ابن الأبار: ((**في شيوخه كثرة، وفي روايته سعة، وكان حسن الخط، جيد الضبط، صحيح العقيدة، معروفا بالحفظ؛ جمع من الحديث شيئا كثيرا...**))[1].

ـ ثم **علَمُ الدين أبو محمد القاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي الإشبيلي** (ت: سنة 739هـ/1338م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوية، ومؤرخ؛ من مؤلفاته: كتاب التاريخ؛ وهو صلة لتاريخ أبي شامة؛ وصل به إلى أحداث 738هـ/1337م، وكتابان ـ أحدهما مطول، والآخر مختصر ـ جمع فيهما أسماء، وتراجم الذين أجازوه من العلماء؛ وقد وصل عددهم حوالي ثلاثة آلاف، ثم كتاب الوفيات، وكتاب الشروط، وكتاب ثلاثيات من مسند أحمد، وكتاب مختصر المائة السابعة، وكتاب العوالي المسندة، ومجاميع وتعاليق عديدة؛.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي** (ت: سنة 803هـ/1400م)؛ وهو من أكبر علماء تونس في عصره؛ ولي إمامة الجامع الأعظم، ثم أسندت إليه فيه خطة الخطابة،

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 643.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم الإفتاء بعدهما؛ من مؤلفاته: المختصر الكبير؛ في الفقه المالكي، والمختصر الشامل؛ في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط؛ في الفقه؛ جزأه إلى سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، والحدود؛ في التعاريف الفقهية.

ـ ثم **أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن العتل البرزالي القيرواني** (ت: سنة 844هـ/1440م)؛ فقيه تونس ومفتيها؛ كان ينعت بشيخ الإسلام؛ وهو صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، وكتاب جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام؛ وهو في مجلدين اثنين .

ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ابن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي** المعروف بابن الحاج (توفي حوالي 930هـ/1523م)؛ كان متمكنا من علوم، وفنون شتى كـ: الأصول، والمنطق، والعربية، والبلاغة، والحساب، والعروض؛ كما كان ينظم الشعر الصوفي. وكان يتراسل مع ابن غازي بالألغاز المنظومة؛ من ذلك ما بعثه إليه ابن غازي؛ طالبا حله:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَمَيِّت قبْــر طَعْمِــه عِنْــد رَأسِــه
إذَا ذَاقَ مِــنْ ذَاكَ الطَّعَــامِ تَكلمَــا
يَقُــومُ فَيَمْــشي صَامِتــاً مُتكَلِّمَــا
وَيَأوي إلى القَبْــرِ الذي مِنــْهُ قُوِّمــَا
فَــلا هُــوَ حَيٌّ يَسْتَحِــقُّ زيَــارَة
وَلا هُــوَ مَيْــت يَسْتَحِــقُّ تَرَحُّمَــا

فأجابــه أحمــد الورنيــدي (ابــن الحــاج):
بِحَمْدِ اللَّــهِ ابْتَــدِي ثُمَّ بَعْــدَهُ
أصَــليِّ عَلىَ خَيْــرِ الأنَــامِ مُسَلِّمــاً
هُوَ القَلَمُ القَبْــرُ الدَّوَاة وَطَعْمُــهُ
مِــدَادُ كَلامُــهُ الكِتَابَــة فَافْهَمَــا
وَكَاتِبُ هَذا أحْمَدُ بْنَ مُحَمَّــدٍ
عَفَــا اللــّهُ عَنْهُ كلَّ مَا كَانَ أجْرَمَــا

ولــه قصيــدة في مــدح الرســول صــلى اللــه عليــه وسلــم؛ يقــول فيهــا:
سَــلامٌ عَلى سُكَانِ طَيْبَة وَالحِــمَى
فَهُمْ أسْلَمُــوا قَلــْبي سَلِيماً مُسَلّمَــا
نَــأتْ دَارُهُمْ عَنِّي فَظَلْتُ لِبَيْنِهــمْ
كَئِيبــاً قَرِيحَ القَلــْبِ صَبــّاً مُتَيَّمَــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى آخرها؛ حيث يقول:

فَلمَّا عَدِمْتُ القَبْرَ يَمَّمْتُ مَدْحَهُ
فَمَنْ لَمْ يَجدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا

وله أيضاً بعضَ المصنفات مثل: شرح السينية لابن باديس، وشرح البردة للبصيري؛ لم يكتمل.

ـ ثم **محمد بن سعيد الورنيدي** المدعو الحاج المناوي (توفي حوالي سنة 955هـ/1548م)؛ فقيه، ومفتي، وأستاذ؛ وملم بالقراءات.

ـ ثم **محمد بن عبُّو المناوي الورنيدي** (توفي بعد سنة 970هـ/1562م)؛ فقيه، ومدرس، ومحدث، وخطيب، ونحوي؛ متمكن من القراءات.

ـ ثم **حَدُّو بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** (ت: سنة 998هـ/1589م)؛ فقيه، وأستاذ، وناظم.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** المعروف بأمقران (ت: سنة 1009هـ/1600م)؛ فقيه، وإمام، وخطيب.

ooo

ومن أمراء، وأعيان بني برزال المشتغلين في شئون الحكم، والسياسة، والجيش:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ الحاجب **أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي الزناتي** (ت: سنة 434هـ/1042م). كان حاكما على قرمونة بالأندلس؛ قبل سقوط الدولة الأموية. ولما انحل شأن الدولة؛ استبد بإمارتها، واستقل بحكمها؛ سنة 404هـ.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي.**

ـ ثم **المستظهر عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي** (ت: سنة 459هـ/1066م)؛ ثاني أمراء بني برزال بقرمونة بالأندلس؛ حكمها بعد وفاة أبيه؛ إلى أن تغلب عليه ابن عباد؛ كغيره من الأمراء الأمازيغ .

ـ ثم **أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي الغرناطي**؛ وهو من الفرسان الأبطال؛ شهير باسم الرُّيَّة؛ بسبب حمرة كانت في وجهه. ويعتبر من الأبطال المذكورين في الأندلس، وكان على رأس ثلاثمائة فارس من بني برزال؛ في خدمة بني زيري بالأندلس.

ـ ثم **وانزمار بن أبي بكر البرزالي**؛ وهو أحد الفرسان الأبطال؛ من الأمازيغ الذين كانوا في خدمة المنصور بن عامر. ذكره المقري؛ بقوله: **((تقدم إلى المنصور وانزمار...وقد جلس**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للعرض والتمييز؛ والميدان غاص بالناس؛ فقال له بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي؛ مالي ولك؛ أسكني فإني في الفحص. فقال: وما ذاك يا وانزمار؟ وأين دارك الواسعة الأقطار؟ فقال: أخرجتني عنها نعمتك؛ أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي، وأخرجني عنها؛ وأنا بربري مجوّع، حديث عهد بالبؤس؛ أتراني أبعد القمح عني؟ ليس ذاك من رأيي. فتطلّق المنصور، وقال: لله درك من فذ عَييٍّ؛ لعَيّك في شكر النعمة أبلغ عندنا، وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد، وبليغ متفنن؛ وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال: يا أصحابنا؛ هكذا فَالْتُشْكر الأيادي، وتستدام النعم؛ لا ما أنتم عليه من الجَحْد اللازم، والتشكي المبرّح؛ وأمر له بأفضل المنازل الخالية))[1].

ooo

أما الأمراء، والأعيان المنتسبون إلى القبيلة الأم (دمر)؛ فهم:

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص: 417.

ـ ثم **أبو تيزيري الدمري** (ت: سنة 403هـ/1012م)؛ وكان قد استولى ـ مع قومه ـ على **موورور**، وما حولها؛ أثناء الفتنة التي قضت على الدولة الأموية؛ ثم اتخذها قاعدة لإمارة بني دمر.

ـ ثم ولده **نوح بن تيزيري الدمري** (ت: سنة 433هـ/1041م).

ـ ثم **عز الدولة محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ اتصف بحسن السياسة؛ والسهر على أمن رعيته؛ حتى سقط في حبائل ابن عباد الذي غدر به؛ مع بقية الأمراء من الأمازيغ.

ـ ثم **عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ ضايقه ابن عباد ـ هو الآخر ـ وطاوله؛ حتى قبل بتسليم مرور إليه؛ والانتقال إلى إشبيليا في ضيافته؛ ولما ذهب إليها أحسن إليه، وقام به أفضل قيام، وبالغ في إكرامه.

***

ـ **مواطنهم**: تمتد مواطن **بني دمر** عبر إفريقية، والمغرب الأوسط؛ فمنهم أحياء **بجهات طرابلس**، وجبالها؛ ويعرفون **بوَرْغمة**؛ بينما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتنقل الطواعن منهم؛ عبر **سهوب إفريقية**، **والمغرب الأوسط**. ومن بني ورنيد؛ منهم — أيضا — جماعة في **الجبل المشرف على تلمسان**؛ انتقلوا إليه من السهوب الجنوبية لتمسان؛ بسبب ضغوط بني راشد؛ الذين كانوا مزاحمين لهم في تلك البسائط. ومنهم — كذلك — من كان **بجبال سالات**؛ **بنواحي المسيلة**؛ وهم **أحياء من بني برزال**.

ÉÉÉ

— ***بنو وامانوا***:

ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل نسبهم؛ وإن كان يجعلهم من بين قبائل **زناتة**؛ تبعا لروايات النسابين. **وبنو وامانوا** هؤلاء كانوا حلفاء لإخوانهم، وجيرانهم بني يلومي؛ فتمكنت القبيلتان من التغلب على ربوع المغرب الأوسط. ولم يفُقْهم — من زناتة آنئذ — في **قوة العصبية**، وكثرة العدد؛ سوى بني يفرن، ومغراوة. وعندما أجبر بلكين بن زيري زناتة على النزوح إلى المغرب الأقصى؛ بقي بنو وامانوا، وإخوانهم بنو يلومي في مواطنهم؛ بسبب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحالفهم مع صنهاجة، وانضمامهم إليها في حروبها.

وقد أصهر المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي إلى بني وامانوا؛ في أخت شيخ القبيلة **ماخوخ**؛ فتعززت بذلك أواصر القربى بين الدولة، والقبيلة. ولكن دب الخلاف بين الطرفين؛ عندما ناصرت قبيلتا: بني وامانوا، وبني يلومي المرابطين؛ ضد الدولة الحمادية؛ وعندما فشل المنصور في عملياته العسكرية ضد القبيلتين العاصيتين؛ التجأ إلى أسلوب الانتقام من صهره؛ بطريقة غريبة؛ إذ لم يجد أمامه سوى زوجته الضعيفة؛ أخت ماخوخ؛ شيخ قبيلة وامانوا؛ فأطفأ غليله فيها، بقتلها؛ بدلا من أخيها العاق..!! ولما توفي المنصور، وخلفه العزيز، رجع بنو وامانوا إلى طاعة الدولة الحمادية، وأصهر إليهم العزيز كذلك؛ فتزوج ابنة ماخوخ. ولما هلك ماخوخ؛ خلفه أولاده في رئاسة قبيلة بني وامانوا؛ وهم: **تاشفين، وعلي، وأبو بكر.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـــذا.. ولـــم يـــدم الحلـــف بيـــن بـــني **وامانـــوا**، **وبـــني يلـــومي** طويـــلا؛ حيـــث نشبـــت بينهمـــا الفتـــن؛ الـــتي انضمـــت إليهـــا أحيـــاء أخـــرى مـــن زناتـــة. وكـــان بنـــو وامانـــوا متذبذبيـــن في ولائهـــم للدولـــة. فهـــم أحيانـــا مـــع بـــني حمـــاد، وأحينـــا أخـــرى مـــع المرابطيـــن، وأخـــرى مـــع الموحديـــن. وقـــد ينتهـــزون أدنى فرصـــة تسنـــح لهـــم؛ لـــكي يتنكـــروا لطـــرف مـــا، ويقدمـــوا ولاءهـــم لطـــرف آخـــر. ووصـــل بهـــم الحـــال إلى الوقـــوف مـــع الموحديـــن؛ في حمـــلاتهـــم القتاليـــة؛ ضـــد إخوانهـــم، وحلفائهـــم بـــني يلـــومي. ومـــع مـــرور الوقـــت أخـــذ الضعـــف، والوهـــن يـــدب في القبيلتيـــن؛ بسبـــب الفتـــن، والحـــروب الـــتي أكلـــت خيارهـــم؛ فأصبحـــوا مغلوبيـــن لقبيلـــتي: توجيـــن، وبـــني عبـــد الـــواد[1].

***

ـــ **مواطنهـــم**: أمـــا مواطـــن **بـــني وامانـــوا** فـــهي في المغـــرب الأوســـط؛ **شـــرق وادي مينـــاس** (مينـــا حاليـــا) **بمنـــداس؛ وحـــتى أسافـــل شلـــف**. ويجاورهـــم عـــلى الضفـــة الغربيـــة؛ لـــوادي مينـــاس بنـــو يلـــومي.

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص ص: 114 ـــ 119.

وثمة بعض الأحياء من بني وامانوا تعرف **ببني يالدّاس**؛ وينتشرون في **القصور الجنوبية** التي تسمى **توات، وتيكورارين**. وهي عبارة عن حزام أخضر؛ ممتد من الغرب إلى الشرق؛ ويضم المئات من القصور، وآلاف البساتين؛ التي تزخر بأشجار النخيل، وكروم العنب، ومختلف الفواكه الأخرى. وأشهر قصورهم هي: **بودا، وتمنطيط، وتيميمون، وقليعة**. وتعتبر هذه القصور الصحراوية بمثابة محطات رئيسية؛ لقوافل التجار المتنقلين بين مالي، وأقطار المغرب. وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف ثراؤها، وازدهرت تجارتها.

وقد سجل ابن خلدون بعض الملاحظات؛ عن الطريقة التي يتبعها سكان تلك الجهات في استنباط المياه الجوفية. فقال: **((وفي هذه البلاد الصحراوية؛ إلى وراء العرق؛ غَريبَة في استنباط المياه الجارية؛ لا توجد في تلول المغرب. وذلك أن البئر تحفر عميقة، بعيدة المَهْوَى. وتطوَى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة؛ فتحت بالمعاول، والفؤوس إلى أن يرق جرمها. ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد؛ تكسر طبقها عن الماء؛ فينبعث**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صاعدا؛ فيفعم البئر، ثم يجرى على وجه الأرض واديا. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات، وتيكورارين، ووركلا، وريغ. والعالم أبو العجائب))[1].

É É É

ـ بنو يلومي:

كل ما قيل عن بني ومانوا ينطبق على **بني يلومي**؛ لأن هاذين الحيين يجمعهما مصير واحد؛ نظرا لتلاحمهما، وتحالفهما؛ وذلك بالإضافة إلى النسب الواحد الذي جمعهما. ويرى بعضهم أن بني يلومي، وبني ورتاجن إخوان. وبما أن ورتاجن هو أبو قبيلة بني مرين؛ فقد أضحى بنو يلومي يشاركونهم مرين عصبيتهم. ولما ظهر المرابطون على مسرح الأحداث بالمغرب؛ برزت خلافات عميقة بين بني يلومي، وحلفائهم بني وامانوا؛ وازدادت عمقا عندما ظهر الموحدون أيضا؛ حيث وصل بهم

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 119.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحال إلى الاقتتال. بسبب تحيز أحدهما إلى أعداء الآخر.

ويبدو أن أحياء زناتة كلها انقسمت؛ نتيجة لظهور المرابطين، والموحدين؛ بحيث اختار كل حليف حليفه الجديد. وقد تباين ولاء قبيلتي: بني يلومي، وبني وامانوا للدولة؛ حيث انضم – في البداية – **بنو وامانوا** إلى الموحدين؛ متخلين في ذلك عن أبناء عمومتهم، وحلفائهم الطبيعيين بني يلومي.

أما **بنو يلومي فظلوا على ولائهم للمرابطين**. وهكذا.. تسببت تلك الفتن، والحروب – في عهد الدولة الموحدية خاصة – في إضعاف القبيلتين؛ فاضمحل شأنهما، وانقرض عزهما، ووهنت شوكتهما؛ فأصبحت القبيلتان – بذلك – أوزاعا بين القبائل الزناتية. والرئاسة في بني يلومي يمكن حصرها في **بيت أمير الناس**؛ من خلال ولديه: **سيد الناس، وبدرج**.

***

– **مواطنهم**: تتواجد مواطن بني يلومي أيضا – بالمغرب الأوسط؛ وهي في **الضفة الغربية لوادي**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ميناس (مينا)؛ **بالجعبات، والبطحاء، وسيك، وسيرات، وجبل هوارة، وبني راشد.**

É É É

ـ بنو واسين:

وهم **أبناء واسين بن يصلتين.** وجدهم **زانا بن يحيى.** اشتهروا بفرعيهم: **بادين، وورتاجن.** فمن بادين تفرع: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب.** أما ورتاجن فمنهم **بنو مرين.** أما **بنو راشد**؛ فأبوهم راشد **أخو بادين** من أبيهما محمد؛ لذا اندرجوا في بني عبد الواد. أما بنو زردال، وبنو مصاب فالتحقوا ببني عبد الواد. أما بنو توجين فتأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد بني عبد الواد؛ نظرا لكثرة عددهم، وشدة بأسهم. وتقول المصادر التاريخية عن بني واسين؛ أنهم ساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين؛ إذ حاصروا توزر كما أمرهم. وربما انضم ـ منهم ـ بنو عبد الواد إلى عقبة بن نافع في ولايته الثانية، وأبلوا معه في الجهاد[1].

---

[1] أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 120 ـ 131.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأهم بطون بني عبد الواد هم: **بنو طاع الله**، **وبنو كمي**، **وبنو مطهر**. أما بطون بني مرين فأهمهم: **بنو عسكر**، **بنو وطاس**، **وبنو يابان**. أما بطون بني توجين فهم: **بنو مدن**، **وبنو رسوغين**؛ وتفرعوا جميعا إلى عدد من الأفخاذ؛ أشهرهم: **بنو منكوش** المنتسبين إلى **بني رسوغين**، **وبنو يدلتن**، **وبنو يرناتن** المنتسبين إلى بني مدن؛ وإلى يدلتن ينتمي **بنو سلامة**؛ أصحاب **قلعة تاوغزوت** الشهيرة؛ وهي التي لجأ إليها ابن خلدون؛ أين شرع في تأليف كتابه العبر.

وكان بنو واسين — في عهودهم الأولى — مغلوبين للطبقة الأولى من زناتة، وأن اعتزوا ببداوتهم؛ إذ كانوا من أهل الظعن، وأصحاب الخيام؛ ومن المنتجعين عبر السهوب، والسباسب، في ربوع المغرب، وإفريقية؛ ما بين ملوية، والزاب. ولما أخرج الصنهاجيون أهل الطبقة الأولى من زناتة عن المغرب الأوسط؛ ظل بنو واسين في منتجعهم؛ معتزين ببداوتهم، ومنعتهم عن قهر الدولة؛ حتى العهد الموحدي. وما أن دب الهرم في الدولة الموحدية؛ حتى شرعوا في الاستبداد، **والتطلع إلى مراتب الملك**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكـــذا.. فبنـــو واســـين ـــ أيـــام الطبقـــة الأولى مـــن زناتـــة ـــ كانـــوا معروفيـــن بهـــذا الاســـم. ولمـــا تشعبـــت بطونهـــم، وتكاثـــرت، أفخاذهـــم؛ تفرعـــوا إلى أحيـــاء منفصلـــة، ومتنافســـة عـــلى الرئاســـة؛ فظهـــر منهـــم في البدايـــة فرعـــان؛ همـــا: **بنـــو باديـــن، وبنـــو ورتاجـــن.** وكانـــت **عصابـــة بـــني باديـــن** ـــ في البدايـــة ـــ أقـــوى لاشتمالهـــا عـــلى أربـــع بطـــون؛ هـــم: **بنـــو عبـــد الـــواد، وبنـــو توجيـــن، وبنـــو زردال، وبنـــو مصـــاب،** بالإضافـــة إلى بطـــن آخـــر ينتـــمي إليهـــم؛ وهـــم **بنـــو راشـــد**؛ أخـــو باديـــن.

ومـــع مـــرور الزمـــن، وبعـــد وصـــول **بـــني عبـــد الـــواد** إلى مرتبـــة **الملـــك**، وانفرادهـــم بعـــزه، وشرفـــه؛ دون البطـــون الأخـــرى؛ عندهـــا.. دب الخـــلاف بيـــن أحيـــاء بـــني باديـــن، **وانقســـمت عصبيتهـــم** إلى عصبيـــات أصغـــر، وأضيـــق؛ فبـــرز ـــ عندئـــذ ـــ كـــل حي مستقـــلا بذاتـــه. وهنـــا **قويـــت شوكـــة بـــني مريـــن**؛ بعـــد **انقســـام عصبيـــة بـــني باديـــن.** وحـــدث ـــ مـــن جـــراء الصـــراع، والتنافـــس المشتعـــل بيـــن أحيـــاء بـــني واســـين ـــ أن نشـــأت لهـــم دول، وإمـــارات بالمغربيـــن: الأقـــصى، والأوســـط. **كدولـــة بـــني عبـــد الـــواد، ودولـــة بـــني مريـــن، وإمـــارة بـــني توجيـــن.** وقـــد اشتـــد الصـــراع، والاقتتـــال بيـــن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الدول؛ طوال سنوات وجودها؛ وذلك بغرض احتواء مجموع الإمارات؛ ضمن دولة واحدة؛ ولكن عامل الحسم العسكري كان مفقودا لديهم جميعا.

! ! !

ـ **أعيانهم**: لبني واسين عدد من الأعيان، والمشاهير تضيق بهم الصفحات؛ ذلك أنهم تمكنوا ـ بمختلف أحيائهم ـ من تشييد ممالك، وإمارات عديدة؛ أهلتهم لاحتلال مراكز مرموقة في المجتمعات المغربية كافة. وعليه سنكتفي بذكر أهم رجالاتهم على الإطلاق. نبدأ بذكر أصحاب القلم منهم؛ ثم ننتقل إلى أصحاب السيف، والسلطان. ونشرع في ذكر أعيان بني عبد الواد؛ لأنهم سبقوا الأحياء الأخرى في إقامة دولتهم؛ فمن أعيانهم:

ـ **أبو حمو موسى الثاني ابن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 791هـ/1388م)؛ ويعتبر هذا السلطان من أبرز سلاطين، وأدباء بني عبد الواد؛ فهو ـ إلى جانب شدة عزمه، وقوة إرادته ـ أديب ملم بالشعر، والنثر معا. فمن مؤلفاته النثرية كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، وله قصائد كثيرة؛ موزعة ضمن مصادر عديدة؛ جَمَع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبـد الحميـد حاجيـات أهمهـا في كتابـه ((أبـو حمـو مـوسى الزيـاني؛ حياتـه، آثـاره)). ومـن شعـره السيـاسي؛ قصيـدة قالهـا عندمـا حـان وقـت انطلاقـه إلى تلمسـان؛ لاستعـادة ملـك آبائـه:

حَـانَ الفِرَاقُ فَكُنْتُ مِنْهُ بِمَنـْزِل
وَدَنَـا الرَّحِيلُ فَكُنْـتُ فِيـهِ بِـأَوَّلِ
وتَحَكَّمَ البَيْـنُ المُشَتِّتِ والنَّـوى
فِينَـا بِفَتْكَـةِ سَيْفِـهِ المُتَكَلَّـلِ
وبَـدَا غُرَابُ البَيْنِ في عَرَصَاتِهَـا
يُـرْثِي عَلَيْهَـا مَنْـزِلاً فِي مَنْـزِلِ

إلى أن يقـول:

والـدَّارُ أَمْسَتْ بَلقعاً مِنْ أَهْلِهـا
يُـرْثِي عَلَيْهـا كُـلُّ طَيْـرٍ أَلْيَـلِ
والـورْقُ نائِحَة على أغْصانِهـا
نَـوْحُ الشَّـجِي المُدْنَـفِ المُتَعَلِـلِ
فَسَمِعْـتُ هاتِفَـةٍ على أفْنانِهـا
تَشْكـو بِصَـوْتٍ بَيِّـن لم يُجْهَـلِ
فَنَشَدْتُهـا عَنْ حَالِهَـا فَتَرَنَّمَـتْ
وبَكَتْ وأَبْكَتْ صُمَّ صَخْـرِ الجَنْـدَلِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَالَتْ وَأشْوَاقُ النَّوَى لَعِبَتْ بِهَـــا:
عَنْ غيــْرِ حَــاَلِي يَا ابْنَ آدَمَ فَاسْـــأَلِ
أوَمَا رَأيْتَ الرَّوْضَ أمْسَى مُقْفِــراً
لَعِبَـــتْ بِهِ ريـــحُ الصَّبَـــا وَالشَّمْـــأَلِ
هَاذِي دِيَارُكمْ وَهَاذِي أرْضُكُـــمْ
بالأمْـــسِ قَدْ كَانُـــوا بِهَـــذَا المَنْـــزِلِ
دَعْنِي أنُوحُ عَلَيْهِـــمُ طُولَ المَـــدَى
أبْـــكِي عَلَيْهِمْ جَـــدْوَلاً فِي جَـــدْوَلِ
فَشَفِقْتُ لَمَّا أنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَـــا
وَالجَفْـــنُ يَغـــْرَقُ بالدُّمُـــوعِ الهُطَّـــلِ
نَادَيْتُهَـــا وَالجِسْـــمُ مِنِّ قَدْ فَـــنَى
وَعَـــلَى فُـــؤادِي غَمْـــرَةَ لَمْ تَنْجَـــلِ
لَوْ ذقْـــتِ يَاوَرْقَـــاءُ مَا قَدْ ذقْتُـــهُ
لَحَرقْـــتِ أغْصَـــانَ الأرَاكِ المِيَّـــــلِ
كَمْ حُرْقَـــةٍ كَمْ زَفْرَةٍ كَمْ لوْعَـــةٍ
يَحْلُـــو لَدَيْهَـــا كُل صَعْـــبٍ مُذهِـــلِ
وَشَوَاهِدِي هُمْ هَؤُلاَءِ كَمَا تَـــرَى
بَانُـــوا وَكُـــلٌّ مُبَيَّـــنٍ لَـــمْ يُجْهَـــلِ
دَمْـــعِي يَسِيحُ وزَفْرَتِي لاَ تَنْقَـــضِي
والسَّهَـــرُ أنْحَلَـــنِي وعَـــذلُ العَـــاذِلِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوْ ذاقَ قاسي القلْب مَا قَدْ ذقْتــهُ
لَغَــدوا سَكَــارَى في مَحَلٍ مُهْمِــلِ
أوْ حَلَّ مَا بِي بالجِبَال تَدَكْدَكَــتْ
دَكــاً وأمْسَتْ مِثْلَ كُحْــلِ المِكْحَــلِ
وَالحَــالُ تُنْبئُ وَالكَوَاكِبُ تَشْهَــدُ
أنِّي أرَاقِبُهَـــا وَلَــمْ أتَخيَّـــلِ
حَالِي يَطُولُ وَمِحْنَتِي لا تَنْقَــضي
كَمْ لي بمَيْــدان الــوَغَى مِنْ مَحْفَــلِ
لا بُدَّ مِنْ سَــوْق النُّجُوعِ مُغَرِّبــاً
حَــتَّ تَكِــلَّ مُتُونُهَــا بِالأحْمُــلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ دَائرَات بالعِــدَى
تَسْــقي لِوَارِدِهَــا نَقِيــعَ الحَنْظَــلِ

ــ ثــم أبــو زيــان محمــد بــن أبي حمــو الثــاني (ت: ســنة 805هــ)؛ وهــو كأبيــه؛ محــب للعلــم والأدب، ويجيــد نظــم الشعــر؛ ومــن شعــره قصيــدة بعــث بهــا؛ مــع هديــة إلى سلطــان مصــر برقــوق؛ نذكــر منهــا:

لِمَنِ الرَّكَائِــبُ سَيْرهُــنَّ ذَمِيــلُ
وَالصَّبْــرُ ــ إلاَّ بَعْدَهُــنَّ ــ جَمِيــلُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَأيُّهَــا الحَــادِي رُوَيْــدَكَ إنَّهَــا
ظُعُــنٌ يَمِيــلُ القَلــبُ حَيْثُ تَمِيــلُ
رِفْقــاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْقَ ظُهُورِهَــا
فَالحُسْــنُ فَوْقَ ظُهُورِهَــا مَحْمُــولُ

إلى أن يقــول:

مَنْ لي بِــزَوْرَة رَوْضَةِ الهَادي الذِي
مَــا مِثْلُــهُ في المُرْسَلِيــنَ رَسُــــولُ
هُوَ أحْمَدٌ ومُحَمَّــدٌ والمُصْطَــفَى
وَالمُجْتَــبَى وَلَــهُ انْتَــهَى التَّفْضِيــلُ
يا خَيْرَ مَنْ أهْدَى الهُدَى وأجَلَّ مَنْ
أثْــنَى عَلَيْــهِ الــوَحْيُ وَالتَّنْزِيــلُ
وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِيــهِ عَــلَى
قَلْــبِ النَّــبِيِّ مُحَمَّــدٍ جِبْرِيــلُ
مَدَحَتْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَبَشَّــرَتْ
بِقُدُومِــكَ التَّــوْرَاة وَالإنْجِيــلُ
صِلَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْكَ تَحْلو فِي فَــمِي
مَهْمَــا تَكَــرَّرَ ذِكْــرُكَ المَعْسُــولُ

ثــم يقــول:

يَا سَائِقــاً نَحْوَ الحِجَازِ حَمُولَــةً
وَالقَلْــبُ بَيْــنَ حُمُولِــهِ مَحْمُــولُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لِمُحَمَّدٍ بَلِّغْ سَلامَ سَمِيِّهِ
فَذِمَامُهُ بِمُحَمَّدٍ مَوْصُولُ
وَسَلِ الإلَهَ لَهُ اغْتِفَارَ ذُنُوبِهِ
يُسْمَعْ هُنَاكَ دُعَاؤُكَ المَقْبُولُ
وعَنِ المَلِيكِ أبِي سَعِيدٍ فَلْتَنُبْ
فَلَكَمْ لَهُ نَحْوَ الرَّسُولِ رَسُولُ
مُتَحَمِّلٌ لِلَّهِ كِسْوَةَ بَيْتِهِ
يَا حَبَّذَاكَ المَحْمِلُ المَحْمُولُ
سَعْدُ المَلِيكِ أبي سَعِيدٍ أنَّهُ
سَيْفٌ عَلَى أعْدَائِهِ مَسْلُولُ
مَلِكٌ يَحُجُّ المَغْرِبُ الأقْصَى بِهِ
فَلَهُمْ بِهِ نَحْوَ الرَّسُولِ وُصُولُ

وهذه القصيدة طويلة جدا؛ ولا يتسع المجال لذكرها بالكامل.

OOO

أما شيوخ بني عبد الواد، ورؤساء القبيل الأوائل؛ أي قبل نشوء دولتهم؛ فهم:

ـ **يوسف بن تكفا** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ وهو الذي كان يرأسهم أيام تغلب بني يلومي، وبني وامانوا على المغرب الأوسط.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن مَنَغْفَادْ بن يغرن** (من أعلام المائة السادسة للهجرة)؛ كان زعيمهم عند ظهور الدولة الموحدية؛ وهو الذي استرد أموال عبد المؤمن بن علي من أيدي بني مرين؛ وقتل كبيرهم المسمى المخضب بن عسكر.

ـ ثم **زيان بن ثابت بن محمد** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ كان شيخا على بني طاع الله؛ حينما حدثت الفتنة بينهم وبين إخوانهم بني مطهر؛ تلك الفتنة التي قتل فيها زيان بن ثابت بواسطة كندوز الكمي؛ فنهض بنو طاع الله؛ بزعامة جابر ابن يوسف؛ وتمكنوا من قتل كندوز؛ ثأرا لزيان؛ وانجر عن هذه الفتنة؛ هروب بني كمي إلى تونس؛ مع شيخهم عبد الله بن كندوز.

ـ ثم **جابر بن يوسف بن محمد** (توفي أمام أسوار ندرومة سنة 629هـ/1231م)؛ انتقل من طور الزعامة إلى طور الإمارة؛ بعد إجهاضه للمؤامرة التي دبرها ضد شيوخ بني عبد الواد إبراهيم ابن علان الصنهاجي؛ الثائر بتلمسان على الدولة الموحدية؛ فقبض عليه هو وأتباعه؛ ثم انتصب على سدة الحكم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلمسان؛ معلنا دعوته إلى الموحدين؛ استرضاء لهم؛ وبذلك.. مهد لقيام الدولة العبد الوادية.

ooo

أما **بنو مطهر** فمنهم:

ـ **حمامة بن مطهر** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي رافق سيد الناس بن أمير الناس؛ زعيم بني يلومي، وعطية الخير؛ زعيم بني توجين؛ لتقديم فروض الطاعة إلى عبد المؤمن بن علي؛ أثناء حصاره لوهران.

ـ ثم **عمر بن موسى المطهري** (كان حيا سنة 766هـ/1364م)؛ ولي قيادة دلس؛ من طرف أبي حمو الثاني.

ooo

ومن **بني كمي:**

ـ **كندوز بن عبد الله بن كمي** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي سبقت الإشارة إليه؛ عندما ذكرنا قتله لزيان؛ ثم مقتله هو الأخر من طرف بني طاع الله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **عبد الله بن كندوز** (كان حيا سنة 665هـ/1266م)؛ وهو الذي هرب ببني كمي إلى تونس بعد مقتل أبيه؛ غير أهم عادوا فهاجروا إلى المغرب الأقصى؛ أين التجئوا إلى يعقوب بن عبد الحق المريني؛ فأكرمهم، وأقطعهم بنواحي مراكش؛ غير أن **نزوات العصبية القبلية** أثارت فيهم جرثومة الخلاف؛ بعد أن وصلت إليهم أخبار حصار تلمسان؛ من طرف يوسف بن يعقوب المريني؛ فخرجوا عن طاعة الدولة المرينية، والتحقوا بحاحة سنة 703هـ. وبعد موت السلطان يوسف عادوا إلى طاعة الدولة المرينية.

ـ ثم **عمر بن كندوز بن عبد الله بن كمي** (توفي سنة 704هـ/1304م)؛ وذلك خلال ثورهم على بني مرين؛ احتجاجا على حصارهم لتلمسان.

ooo

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا **بنـــو زردال** فمنهـــم:

ـ أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن مسلـــم الـــزردالي (ت: سنـــة 747هـــ/1346م). هـــو القائـــد الفـــذ، والوزيـــر المحنـــك؛ الـــذي أسنـــد إليـــه أبـــو حمـــو موسى الثـــاني شئـــون حربـــه؛ فقـــام بهـــا أحســـن قيـــام.

ooo

أمـــا أشهـــر ملـــوك؛ بـــني عبـــد الـــواد فهـــم:

ـ أبـــو يحـــيى يَغُمْرَاسَـــنْ بـــن زيـــان (ت: سنـــة 681هـــ/1282م)؛ وهـــو مؤســـس دولـــة بـــني عبـــد الـــواد، وأب ملوكهـــم، وأشهـــر أعيانهـــم عـــلى الإطـــلاق. قـــال عبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون في وصفـــه: **((كـــان يغمراســـن بـــن زيـــان بـــن ثابـــت ابـــن محمـــد مـــن أشـــد هـــذا الـــحي بأســـا، وأعظمهـــم في النفـــوس مهابـــة وجلالـــة، وأعرفهـــم بمصالـــح قبيلـــه، وأقواهـــم كاهـــلا عـــلى حمـــل الملـــك، واضطلاعـــا بالتدبيـــر والرياســـة؛ مهـــدت لـــه بذلـــك آثـــار قبـــل الملـــك وبعـــده. وكـــان مرموقـــا بعيـــن التجلـــة، مؤمـــلا للأمـــر عنـــد المشيخـــة،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة))[1].

– ثم **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ خلف والده يغمراسن في الملك. افتتح عهده بشن حملات واسعة على المقاطعات الشرقية؛ حيث أخضع معظم قبائلها، وإماراتها لسلطانه؛ ووصل فتح إلى بجاية.

– ثم **أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن** (ت: سنة 718هـ)؛ قال عنه صاحب العبر: **((كان صارما، يقظا، حازما، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدة؛ وهو أول ملوك زناتة؛ رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى... يقول: ويعنيه؛ موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة.))**[1]. ومن الأخبار التي تؤيد ما وصف به من شراسة، وصرامة؛

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 162.

[1] نفسه، ص ص: 203 ـــ 204.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقفه الغريب تجاه سلطان مصر محمد بن قلوون؛ الذي أرسل خطابا يعاتبه فيه على ما نال مبعوثيه لملك المغرب من سلب، وعدوان بالمغرب الأوسط؛ وأرفق خطاب العتاب بهدية لا تناسب الحال؛ بالمقارنة مع الهدية التي وجهها لخصمه سلطان المغرب. وقد أورد ابن خلدون القصة؛ معددا محتويات الهدية؛ التي كانت عبارة عن: **((كوزين بدهن البلسان؛ المختص ببلادهم، وخمسة مماليك من الترك؛ رماة؛ بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة؛ من العرى، والعقب... ثم استدعى القاضي محمد بن هدية؛ وكان يكتب عنه؛ فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل، وما أصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي، وأبنت لهم الاستعجال؛ حذرا مما أصابهم؛ وأريتهم مخاوف بلادنا، وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إننا جئنا من عند ملك المغرب، فكيف نخاف؟ مغترين بشأنهم؛ يحسبون أمره نافذ في أعراب قبائلنا. وأما الهدية فردت**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليك: أما دهن البلسان؛ فنحن قوم بادية؛ لا نعرف إلا الزيت؛ وحسبنا به دهنا. وأما المماليك الرماة؛ قد افتتحنا بهم اشبيلية، وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد؛ والسلام))[1].

ـ ثم **أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 737هـ/1336م)؛ كان حازما، غشوما؛ لم يتورع عن قتل والده، والجلوس على سدة الحكم بدلا منه. وفي عهده امتدت حدود الدولة العبد الوادية إلى أقصى نطاق لها؛ إذ وصلت إلى مشارف تونس. ومع هذا فهو محب للعمران، والعلوم؛ ويقول عنه عبد الرحمن بن خلدون: **((وأغرى دولته بتشييد القصور، والرياض، والبساتين؛ فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك؛ وأربى عليه؛ فاحتفلت القصور، والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسعت أخباره))**[1].

ـ ثم **أبو زيان الرابع أحمد بن عبد الله ابن موسى الثاني** (ت: سنة 957هـ)؛ اختلف مع أخيه محمد؛ الذي استعان بالإسبان؛ فتمكن أحمد من القضاء على الحملة الإسبانية

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 470 471.

[1] نفسه، ص: 219.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقيادة ألفونس دي مارتينيز Don Alfonso de Martinez ثم اعتلى عرش تلمسان؛ داعيا على منابره للسلطان العثماني.

É É É

أما بنو مرين – فهم بدورهم – ظهر لهم أدباء، وعلماء؛ وقادة، وأمراء كبار؛ منهم:

– **أبو علي عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (توفي مقتولا في السجن بمدينة فاس سنة 734هـ/1333م)؛ كان أديبا؛ ناظما للشعر؛ منه هذه الأبيات التي بعث بها إلى أخيه السلطان أبي الحسن؛ عندما كان محاصرا له في سجلماسة:

فَلاَ يَغُرَّنَّكَ الدَّهْرُ الخَئُونُ فَكَمْ
أَبَادَ مَنْ كَانَ قَبْلِي يَا أَبَا الحَسَنِ
الدَّهْرُ مُذ كَانَ لا يبْقى عَلى صِفَةٍ
لا بُدَّ مِنْ فَرَحٍ فِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
أَيْنَ المُلُوكُ التي كَانَتْ تَهَابُهُمُ
أُسْدُ العَرِينِ ثَوَوْا في اللَّحْدِ والكَفَنِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بَعْدَ الأسِرَّةِ والتِيجَانِ قَد مُحِيَــتْ
رُسومها وعَفتْ عنْ كُلِّ ذي حســنِ
فاعْمَلْ لأخْرَى وكُنْ باللَّهِ مُؤْتَمــراً
واسْتَغْــنِ باللــهِ في سِــرٍ وفي عَلَــنِ
واختَــرْ لنَفْسكَ أمْرا أنْتَ آمِــرهُ
كَأنَّــي لم أكُــنْ يَوْمــاً ولم تَكُــنِ

ــ **ثــم أبــو العبــاس أحمــد بــن إبراهيــم بــن علــي ابــن عثمــان** (تــوفي بتــازا ســنة 796هــ/1393م)؛ اعتــلى عــرش بــني مريــن مرتيــن: الأولى ســنة 775هــ/1373م؛ ثــم خُلــع في عــام 786هــ/1384م؛ ثــم عقــدت لــه البيعــة في المــرة الثانيــة ســنة 789هــ/1387م. وكــان ضعيفــا، تابعــا لأبــن الأحمــر بالأندلــس؛ وفي عهــده تــم قتــل ابــن الخطيــب، بإيعــاز مــن ابــن الأحمــر. وكــان أديبــا، وشاعــرا؛ ولكنــه مقــل. مــن شعــره:

أمَّا الهَــوَى يَا صَاحِــبي فَألِفْتُــهُ
وَعَهدْتُــهُ مِــنْ عَهْــدِ أيَّــامِ الصِّبَــا
وَرأيْتُــهُ فَوْتَ النُّفُوسِ وَحَلْيَهَــا
فَتخْذتُــــهُ دِينــــاً إليَّ وَمَذهَبَــــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَلَبِسْتُ دُونَ النّــَاسِ مِنْهُ حُلــَّةً
كَانَ الوَفَــاءُ لَهَــا الطِــّرَازُ المُذَهَّبَــا
لَكِنْ رَأَيْــتُ لَهُ الفِرَاقَ مُنَغِّصَــا
لاَ مَرْحَبــاً بِتَفَـــــرُّقٍ لاَ مَرْحَبَـــــا

وقـــال في مناسبـــة أخــرى:
يَا عَاذِلِي دَعْ عَنْــكَ عَذلَ العَــاذِلِ
وَاخْلَــعْ عِذَارَكَ فِي الحَبِيبِ الوَاصِــلِ
وَإِذَا ذَكَــرْتَ عَشِيَّـــة بمَحَاسِـــنٍ
فَاذكُــرْ عَشَايَانَـــا بِــدَارِ العَـــــادِلِ

ـ ثــم أبــو فــارس عبــد العزيــز بــن أحمــد بــن إبراهيــم بــن عــلي المريــني (ت: سنــة 799هــ/1396م)؛ كـــان رقيـــق القلـــب، شفوقـــا؛ منقبضـــا عـــن سفـــك الدمـــاء، أديبـــا، وشاعـــرا؛ وإن كـــان مقـــلا. مـــن شعـــره هـــذه الأبيـــات الـــتي يشكـــر اللـــه فيهـــا عـــلى سقـــوط المطـــر:
اللَّـــهُ يَلْطُـــفُ بالعِبَـــادِ فَوَاجِـــبٌ
إنْ يَشْكُـــرُوا فِي كُلِّ حَـــالٍ نِعْمَتَـــهْ
فَهُـــوَ الَذي فِيهِـــمُ يُنْـــزِلُ غَيْثَـــهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُـــوا وَيَنْشُـــرُ رَحْمَتَـــهْ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما رؤساء بني مرين؛ فمنهم الشيوخ الأوائل؛ مثل:

ــ **المخضب بن عسكر المريني** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ وهو الرئيس عليهم في أواخر الدولة اللمتونية، وأوائل الدولة الموحدية؛ وقتل بأيدي بني عبد الواد المنحازين إلى صف الموحدين آنئذ. ثم أبو بكر بن حمامة بن محمد المريني (ت: سنة 561هـ/1165م)؛ وهو الذي تولى رئاسة قبيل بني مرين؛ بعد موت المخضب.

ــ ثم **محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني** (توفي سنة 592هـ/1195م)؛ ترأس قبيل بني مرين بعد موت أبيه؛ ولما حشدت الحشود لموقعة الأرك بالأندلس سنة 591هـ/1194م؛ لبى محيو النداء، وشارك ــ هو وقومه ــ في المعركة؛ فأصيب بجروح؛ مات متأثرا بها.

OOO

أما أشهر أمرائهم، وملوكهم؛ فهم:

ــ **أبو محمد عبد الحق بن محيو بن أبي بكر المريني** (ت: سنة 614هـ/1217م)؛ وهو صاحب الخطوات الأولى نحو إنشاء الدولة المرينية؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصاحب مجدهم، وعزهم؛ قال عنه ابن خلدون: **((وكان عبد الحق أكبرهم؛ فقام بأمر بني مرين؛ وكان خير أمير عليهم؛ قياما بمصالحهم، وتعففا عما في أيديهم، وتقويما لهم على الجادة، ونظرا في العواقب))**[1].

ـ ثم **أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني** (ت: سنة 656هـ/1160م)؛ وهو أول من أدخل ملامح الدولة في الوسط القبلي لبني مرين؛ وأعلن بالدعوة إلى الحفصيين؛ لإضفاء الشرعية على الكيان الذي يتطلع لإقامته؛ وكانت له مواقع ساخنة مع الموحدين بمراكش؛ حالفه النصر في معظمها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني** (توفي سنة 685هـ/1286م)؛ بيده سقطت دولة الموحدين؛ كان حازما، شديد المراس؛ قام بالانتقال إلى بلاد الأندلس مرات عديدة؛ بغرض الجهاد، وصد هجمات الإسبان. توفي في الأندلس عندما كان معسكرا في الجزيرة الخضراء للجهاد؛ ويعتبر من أعظم سلاطين بني

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 347.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرين؛ بما له من خلال حميدة، وأعمال جليلة.

– ثم **أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني** (قتل سنة 706هـ/1306م)؛ كان ذلك بيد مملوك له؛ طعنه غدرا؛ وهو على فراشه. قضى معظم حياته في حروب ضد بني عبد الواد، وضد الثوار من قبيله؛ والإسبانيين، وأعراب المعقل.

– ثم **أبو سعيد عثمان بن إدريس أبي العلاء ابن عبد الله بن عبد الحق المريني** (توفي سنة 730هـ/1329م)؛ في الجهاد بالأندلس؛ وكان قد هاجر إليها بعد فشله في الوصول إلى عرش بني مرين؛ وفي الأندلس ولي مشيخة الغزاة؛ فأبلى في الجهاد خير البلاء؛ إذ وصلت غزواته إلى 732 غزوة ضد الإفرنج.

– ثم **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني** (ت: سنة 752هـ/1351م)؛ كان محبا للعلماء، مقربا إياهم، مستدعيا لكبارهم في بلاطه؛ مغرما بالبناء والعمران؛ إذ شيد القصور، والمدارس، والمورستانات، والقناطر..الخ. وكان طافح الطموح، ساعيا لاستعادة أمجاد من سبقه من الملوك المسلمين؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير أن الحظ خانه مرتين؛ كانت آخرها هي القاضية عليه، وعلى دولته: أولاها تمت عندما مني بهزيمة منكرة أمام جيوش النصرى بالأندلس، والثانية هي التي قصمت ظهره؛ وحدثت حينما مُنِيَ بهزيمته الثانية؛ أمام أعراب بني هلال وسليم بإفريقية.

ــ ثم **أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني** (قتل سنة 759هـ/1357م)؛ خنقا بيد وزيره عمر الفردودي. كان ــ كوالده ــ محبا للعلم، والعلماء، وكانت له ــ أيضا ــ الطموحات نفسها؛ ولكنه كان ــ كذلك ــ سيئ الحظ؛ فانتهى به الأمر إلى الموت بيد أقرب مساعديه.

ــ ثم **أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني** (توفي مقتولا سنة 869هـ/1464م)؛ وهو آخر سلاطين بني مرين؛ ثارت عليه رعيته؛ بعد أن استوزر وزيرين يهوديين؛ فوّض إليهما شئون الدولة؛ فأساءا السيرة؛ فانجر عن ذلك اشتعال ثورة الناس عليه؛ فكانت نهايته، ونهاية الدولة المرينية؛ وقيام الدولة الوطاسية؛ بدلا منها.

ooo

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـــن بـــني يابـــان:

ــ جدهـــم **يابـــان بـــن جرمـــاط بـــن مريـــن.**

ــ ثـــم **يوســـف بـــن عـــلي اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة: 656هـــ/1258م)؛ ولاه يعقـــوب ابـــن عبـــد الحـــق أعمـــال بـــلاد درعـــة وأحوازهـــا.

ــ ثـــم **عمـــر بـــن عبـــد اللـــه بـــن عـــلي اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة 759هـــ/1357م)؛ ولاه أبـــوعنـــان خطـــة الحجابـــة.

ــ ثـــم **محمـــد بـــن العبـــاس بـــن أبي يحـــيى اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة 760هـــ/1358م)؛ ولي وزارة إبراهيـــم ابـــن أبي الحســـن المريـــني.

ــ ثـــم **يعيـــش بـــن عـــلي بـــن فـــارس اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة 788هـــ/1386م)؛ ولي وزارة محمـــد ابـــن أبي الفضـــل بـــن أبي الحســـن المريـــني.

ــ ثـــم **إدريـــس بـــن مـــوسى بـــن يوســـف اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة 789هـــ/1387م)؛ ولي وزارة أحمـــد بـــن أبي سالـــم المريـــني.

ــ ثـــم **صالـــح بـــن حمـــو اليابـــاني** (كـــان حيـــا سنـــة 789هـــ/1387م)؛ ولي ــ هـــو كذلـــك ــ وزارة أحمـــد ابـــن أبي سالـــم المريـــني.

ooo

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـا بنـو وطـاس فمنهـم:

ـ شيخهـم الأول **وطـاس بـن بجـوس المريـني.**

ـ ثـم **عبـد الرحمـن بـن يعقـوب الوطـاسي**؛ وزيـر.

ـ ثـم **أبـو زكريـاء يحـيى بـن زيـان بـن عمـر ابـن زيـان الوطـاسي** (ت: سنـة 853هـ/1449م)؛ كـان وزيـرا، ووصيـا عـلى السلطـان الصغيـر عبـد الحـق ابـن عثمـان بـن أحمـد المريـني.

ـ ثـم **أبـو حسـون علـي بـن يوسـف بـن زيـان الوطـاسي** (ت: سنـة 865هـ/1460م)؛ ولي وزارة عبـد الحـق ابـن عثمـان بعـد مقتـل الوزيـر الوطـاسي يحـيى بـن زيـان.

ـ ثـم **يحـيى بـن يحـيى بـن زيـان بـن عمـر الوطـاسي** (قتـل ذبحـا بأمـر مـن السلطـان عبد الحـق سنـة 866هـ/1461م)؛ ولي وزارة السلطـان المريـني عبـد الحـق بـن عثمـان؛ ولكنـه قتلـه مـع جمـع مـن بـني وطـاس؛ لـكي يتخلـص مـن نفوذهـم، واستبدادهـم عليـه.

ـ ثـم **محمـد الشيـخ بـن يحـيى بـن زيـان الوطـاسي** (تـوفي بفـاس سنـة 910هـ/1504م)؛ هـو الـذي أقـام دولـة بـني وطـاس؛ وأول سلاطينهـم. في عهـده استفحـل شـأن البرتغاليـن، والإسبانييـن؛ إذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استولوا على آخر المعاقل الإسلامية ببلاد الأندلس، ثم استولوا بعدها على أصيلا، والبريجة، وأزمور، وتيط، وسواحل السوس بالمغرب.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الوطاسي** (توفي بعد سنة 956هـ/1549م)؛ وهو آخر سلاطين بني وطاس؛ تغلب عليه السلطان السعدي؛ محمد الشيخ المعروف بالمهدي؛ فاعتقله بمراكش، أو في درعة حتى مات.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي** المعروف بأبي حسون (ت: سنة 961هـ/1553م)؛ هو ثالث سلاطين بني وطاس، وقبل الأخير منهم. ثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد؛ فسلم له الحكم مضطرا؛ ولكنه تمكن من الهرب إلى المغرب الأوسط؛ حيث استنجد بالأتراك؛ الذين ساعدوه على فتح فاس، وانتزاعها ـ لبعض الوقت ـ من السعديين؛ المتغلبين آنذاك على المغرب الأقصى؛ غير أن محاولته لم تعمر طويلا؛ إذ زحف إليه محمد الشيخ السعدي؛ فاسترد فاسا، وقتله.

ooo

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما **بنو توجين** فمعلوماتنا عنهم ضئيلة جدا؛ بسبب محيطهم البدوي؛ الذي اقتصر على إبراز رؤسائهم لا غير. وأشهر زعمائهم في عهد بني زيري الصنهاجيين؛ هم:

ــ **عطية بن دافلتن** (دافلين) **بن أبي بكر بن الغلب** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

ــ ثم **لقمان بن المعتز** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

وفي عهد الموحدين ترأسهم:

ــ **عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن** (دافلين)؛ المعروف بعطية الحيو (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كانت لقومه ــ برئاسته ــ وقائع، وأحداث ضد إخوانهم، ومنافسيهم ــ في الوقت نفسه ــ بني عبد الواد.

ــ ثم **العباس بن عطية بن مناد** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ تراجع عن الطاعة التي التزم بها سلفه للموحدين؛ فدسوا له من اغتاله.

ــ ثم **عبد القوي بن العباس بن عطية** (ت: سنة 647هـ/1249م)؛ وينتسب إلى بني منكوش من بني رسوغين. قال فيه ابن خلدون: **((ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن عباس؛ والكل لأمره؛ فصار له ملك بدوي؛**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يفارق فيه سكنى الخيام، ولا إبعاد النجعة، ولا إيلاف الرحلتين؛ ينتهون في مشاتيهم إلى مصاب، والزاب؛ ويترلون في المصائف بلادهم هذه من التل؛ ولم يزل هذا شأن عبد القوي، وابنه محمد))[1].

ـ ثم **محمد بن عبد القوي بن العباس** (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ قتل أخاه يوسف الذي خلف أباهم في إمارة القبيلة؛ ثم استقل برئاستها. هذا وكان متقلبا في ولائه؛ بين القوى المتواجدة آنذاك في بلاد المغرب؛ فكان يوما مع بني عبد الواد، ويوما مع بني أبي حفص، ويوما مع بني مرين.

أما الذين ينتسبون لبني يدلتن من بني مَدَّن فهم:

ـ **نصر بن سلطان بن عيسى** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي استوطن بقومه نواحي الجعبات، وتاوغزوت.

ـ ثم **سلامة بن علي بن نصر بن سلطان** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو الذي شيد قلعة تاوغزوت المسماة باسمه.

000

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 321.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما بنو يرناتن من بني رسوغين فمنهم:

ـ **نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

ـ ثم ابنه **مهيب بن نصر** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

***

هذا وقد لاحظنا ـ من خلال تتبعنا لأخبار القبائل في بلاد المغرب ـ أن اهتماماتهم متباينة؛ فمنهم من وجدوا في أنفسهم القدرة على السعي إلى **الملك** والسلطان؛ فجعلوه هدفهم الأساسي؛ حتى وصلوا إليه؛ ومنهم من عجز عن الملك؛ فسعى إلى وجهة أخرى؛ كالاهتمام **بالعلوم**. ومن هنا.. نجد بين القبائل التي عجزت عن الوصول إلى الملك؛ اهتماما كبيرا **بالشئون الثقافية، والدينية**. وعليه.. فقد برز فيها العلماء، وأصحاب الفكر، والقلم. ومن هذه القبائل على سبيل المثال: **مغيلة، وعجيسة، ونفوسة، وزواوة، ونفزة** ..إلخ؛ وإلى هذا الصنف من القبائل؛ تنضم **قبيلة بني راشد**؛ التي أعطت بلاد المغرب الإسلامي عددا ـ لا بأس به ـ من العلماء؛ منهم:

! ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **أبو جعفر أحمد عبد النور بن أحمد المالقي الراشدي** (ت: سنة 702هـ/1302م)؛ وهو من بني راشد المقيمين بمالقة؛ وهنا.. يمكن أن ينطبق عليه ما سبق ذكره بخصوص لماية، وصدينة، وأوربة؛ تلك الأحياء الأمازيغية التي استقرت بالأندلس. وهو من علماء العربية، والعروض، والفقه، ويقرض الشعر؛ كما يتمتع بموهبة صوتية أهلته إلى تجويد القرآن. وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية، وكتاب رَصْف المباني في حروف المعاني؛ قال عنه ابن الخطيب: **((هو أجل ما صنف، ومما يدل على تقدمه في العربية))**[1]. وكتاب في العروض، وكتاب في شواذ العروض، وكتاب في شرح الكوامل؛ لأبي موسى الجزولي، وكتاب في شرح مُغْرب أبي عبد الله ابن الشوَّاس؛ لم يكمله، وتقييد على الجمل؛ لم يكتمل. من شعره:

مَحَاسِنُ مَنْ أهْوَى يَضِيقُ لها الشَّرْحُ
لـهُ الهمَّة العَلْيَاءُ والخُلُقُ السَّمْحُ

لهُ بَهْجَةٌ يَغْشَى البصائِر نورُها
وَتَعْشَى بِهَا الأَبْصَارُ إنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص: 198.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا مَا رَنَى فَاللَّحْظُ سَهْـــمٌ مُفَـــوَّقٌ
وفي كُـــلِّ عُضْـــو مِنْ إصابَتــهِ جُـــرْحُ

إذا مَا انْثنَى زهْـــواً ووَلّى تَبَخْتُـــراً
يَغَـــارُ لِـــذَاكَ القَـــدُّ مِنْ لِينِـــهِ الرُّمْـــحُ

وَإنْ نَفَحَتْ أزْهَـــارُهُ عِنْدَ رَوْضَـــةٍ
فَيُخْجـــلُ رَيَـــاَّ زَهْرِهَـــا ذِلِـــكَ النَّفْـــحُ

هُوَ الزَّمَنُ المَأمُـــولُ عِنْدَ ابْتِهاجِـــهِ
فَلِمَّتُـــــهُ لَيْـــلٌ، وَغُرَّتُـــــهُ صُبْـــــحُ

لَقَدْ خَامَـــرَتْ نَفْسِي مُدامَةُ حُبِّـــهِ
فَقَلْـــبِيَ مِنْ سُكْـــرِ المُدامَـــةِ لا يَصْـــحُ

وَقَدْ هَامَ قَلْبي فِي هَوَاه فَبَرَّحَـــتْ
بِأَسْـــرَارِهِ عَيْـــنٌ لِمَدْمَعِهـــا سَبْـــــحُ

ــ ثـــم الشيـــخ الـــولي الصـــوفي **أبـــو عـــلي الحســـن ابـــن مخلـــوف بـــن مسعـــود بـــن سعـــد المزيـــلي الراشـــدي** الشهيـــر بأبركـــان (ت: سنـــة 857هــ/1453م)؛ وهـــو فقيـــه مـــن الصوفيـــة الزهـــاد؛ ترجـــم لـــه ابـــن مريـــم؛ ولكنـــه لـــم يفـــد القـــارئ بشيء عـــن ثـــروة الرجـــل العلميـــة؛ وكـــل الـــذي ســـرده في ترجمتـــه الطويلـــة؛ **حكايـــات، وخـــوارق عجيبـــة**؛ نسبهـــا للشيـــخ أبركـــان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أبو عبد الله **محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي** (ت: سنة 868هـ/1463م)؛ له بعض المؤلفات؛ منها: الثاقب في لغة ابن الحاجب، وثلاثة شروح على الشفا؛ أكبرها في مجلدين؛ وهو المسمى بالغنية، وتعليق رجال ابن الحاجب، ومؤلفات أخرى.

ـ ثم **محمد بن عياد الكبير المعمراني الراشدي** (ت: سنة 964هـ/1556م)؛ كان شاعرا، ومحدثا، ونحويا، وفقيها، وأصوليا، ومنطقيا.

ـ ثم **أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي** (ت: سنة 1096هـ/1684م)؛ من الأدباء، والمؤرخين؛ له مؤلفات منها: فتح المنان شرح قصيدة ابن الونان؛ في مجلدين.

ـ ثم **عبد القادر الراشدي** (توفي حوالي سنة 1112هـ/1700م)؛ فقيه من أصحاب الاجتهاد؛ ولي قضاء قسنطينة، والإفتاء بها؛ له مؤلفات منها: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وكتاب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في تحريم الدخان.

ـ ثم **أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله ابن محمد المشرفي الغريسي** المعروف بسقط (ت: سنة 1192هـ/1778م)؛ وهو من المحدثين،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمؤرخين؛ وهو صاحب الرسالة المعنونة بـ: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري الجزائري** المعروف بأبي راس (ت: سنة 1239هـ/1823م)؛ هو أحد العلماء المهتمين بالتاريخ، والحديث ورجاله، والفقه، والأدب؛ ألف حولي 50 كتابا؛ أهمها: تفسير القرآن، لب أفياخي في عدة أشياخي، وتخريج أحاديث دلائل الخيرات، وشرح المقامات الحريرية، والسيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى، ومروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، ودر السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة، والزمردة الوردية في الملوك السعدية، والخير المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم، وحاشية على المكودي، وحاشية على السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي، وشرح العقيقية، وشرح الشمقمقية، وشرح الحلل السندسية، وكتاب التأسيس، ودرء الشقاوة، وفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحـــاوي الجامـــع بيـــن التوحيـــد والتصـــوف والفتاوى، وكتـــاب عـــن رحلتـــه في المشـــرق والمغـــرب.

ـ ثـــم **أبـــو راشـــد عمـــار الراشـــدي** المعـــروف بالغـــربي (تـــوفي بقسنطينـــة سنـــة 1251هـــ/1835م)؛ مـــن أهـــل الفقـــه، والعلـــم، والمعرفـــة؛ ومـــن الملمين بـــالأدب؛ ولي إفتـــاء المالكيـــة؛ لـــه نظـــم، وألـــف حاشيـــة عـــلى شـــرح الشبرخيـــتي عـــلى المختصـــر.

OOO

أمـــا رؤســـاء بـــني راشـــد، وزعماؤهـــم الأوائـــل فهـــم:

ـ **إبراهيـــم بـــن عمـــران الراشـــدي** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ كـــان يتـــولى رئاستهـــم عنـــد زحفهـــم نحـــو التلـــول مـــع بـــني عبـــد الـــواد؛ في عهـــد الموحديـــن.

ـ ثـــم **ونزمـــار بـــن عمـــران الراشـــدي** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ استبـــد عـــلى أخيـــه إبراهيـــم، وأزاحـــه مـــن مرتبـــة الرئاســـة، وتولاهـــا بـــدلا منـــه.

ـ ثـــم **مقاتـــل بـــن ونزمـــار بـــن عمـــران** (مـــن أعـــلام القـــرن السابـــع للهجـــرة)؛ خلـــف والـــده ونزمـــار؛ بعـــد أن قتـــل عمـــه إبراهيـــم؛ وأحـــدث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذلك انقساما بين أسرة بني عمران؛ فأضحوا قسمين: **بنو إبراهيم**، **وبنو ونزمار**؛ إلا أن بني إبراهيم كانوا أظهر.

ـ ثم **ونزمار بن إبراهيم بن عمران** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ كان معاصرا ليغمراسن بن زيان.

ـ ثم **أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ابن ونزمار بن إبراهيم الراشدي** (كان حيا سنة 737هـ/1336م)؛ وهي السنة التي احتل فيها أبو الحسن المريني تلمسان، والمغرب الأوسط؛ فنقل ـ تبعا لذلك ـ أعيان زناتة في تلك الديار ـ إلى المغرب الأقصى؛ ومن بين من نقلهم أبو يحيى بن موسى هذا.

ـ ثم **زيان بن أبي يحيى بن موسى الراشدي** (قتل سنة 768هـ/1366م)؛ عاد إلى وطنه من منفاه بالمغرب؛ في عهد أبي حمو الثاني؛ فاحتفى به عند قدومه؛ ولكنه اتهم بالتجسس لسلاطين المغرب؛ فسجنه مرتين؛ حيث قتله في المرة الثانية في سجنه.

! ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثمة – أيضا – علماء من الإباضيين؛ ينتسبون إلى بني واسين، وكانوا معروفين باسم هذه القبيلة الأم؛ قبل أن تتشعب أحياؤها، وتستقل بطونها بنفسها. وديار هؤلاء العلماء؛ هي الديار القديمة لبني واسين؛ قبل أن ينتقل جمهورهم إلى تلول المغرب الأوسط؛ وهي بلاد الجريد؛ ومن هؤلاء العلماء:

– **أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني**؛ أي الواسيني؛ نسبة إلى بني واسين؛ (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من حامة قسطيلية؛ له دراية بالأدب، وعلوم: اللسان، والأصول، والفروع، والحديث، والفقه، والقرآن، والسيرة؛ قُتِل بأمر من المعز لدين الله الفاطمي؛ بسبب وشاية من أحد اليهود.

– ثم **أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث؛ رافق أبو القاسم بن يزيد في مرحلة الدراسة، والعطاء العلمي؛ ثار على المعز الفاطمي؛ بعد مقتل رفيقه أبي القاسم؛ ولكنه استفاد من العفو؛ وأصبح من المقربين إلى المعز؛ حيث أخذه معه إلى مصر عندما انتقل إليها؛ وامتد عمره إلى عهد ولده نزار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

– ثم **أبو عبد الله محمد بن سودرين الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من العلماء البارزين؛ له إلمام بعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

– ثم **أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من شيوخ الإباضية الملمين بالعلوم الشرعية، والمنطق.

– ثم **ميمون حمودي بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ أحد علماء الإباضية المستوعبين لعلوم: النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

– ثم **أبو جعفر أحمد بن خيران** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية المجتهدين؛ اشتهر بالورع، والكرم.

– ثم **أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ عالم إباضي؛ كف بصره وهو صغير؛ ومع هذا لم تمنعه علته من التعلم؛ حتى أضحى من العلماء البارزين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **يوسف بن أحمد الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ قال عنه الدرجيني: ((**وأما يوسف بن أحمد فلا يبعد أن يكون حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ فإنه كان حفاظا؛ ولكن لا يحسن التصرف فيما يحفظه...وكان الشيخ يوسف كثير الورع، والاجتهاد؛ ذا خمول، واقتصار ممن يتعلم منه ويستفاد**))[1].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ راوية، من المؤرخين؛ له مشاركة في السير.

***

ـ ***مواطنهم***: تنتشر مواطن **بني واسين** في **ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط**. إذ كانوا في **جهات قسطيلية، وتوزر، وبلاد الحمة**. وإلى الغرب من **قابس** يسكن **بنو ورتاجن**، وفي **جبال أوراس**

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

يوجد حي من بني عبد الواد، ويوجد آخرون من **بني واسين بصحراء برقة، وأرض الزاب، وقصور غدامس** التي يسكن في بعضها **بنو وطاس**؛ وهم من بني مرين. **وفي قصور مصاب** أحياء منهم؛ وقد سميت تلك الديار بهم. ويسكن في تلك البلاد ــ بالإضافة إلى مصاب ــ **فئات من بني عبد الواد، وبني توجين، وبني زردال**؛ وهم جميعا أبناء بادين. وجل بني واسين كانوا متواجدين في السهوب المحصورة ما **بين ملوية، وجبل بني راشد.** وفي أواخر الدولة الموحدية تغلبوا على تلول المغرب الأوسط كافة؛ سواء بالإقطاع، أو بالاحتلال، ثم تدرجت بعض أحيائهم ــ فيما بعد ــ نحو الملك القاهر[2].

هذا وقد عُرف ــ أيضا ــ بعض أعلامهم بنسبتهم إلى زناتة مباشرة؛ وهي قبيلتهم الأم؛ دون معرفة البطون التي ينتمون إليها؛ ومن هؤلاء:

ــ أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل (أو سِهْر) ابن إسماعيل التاهرتي الزناتي (توفي بتاهرت سنة 296هـ/908م)؛ وهو من فحول الشعراء بالمغرب الإسلامي؛ ولكن أكثر شعره

---

[2] ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 120 ــ 124.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضاع، ولم يصل إلينا منه إلا قليله. وقد جمع الأستاذ محمد بن رمضان شاوش؛ منه بعض القصائد، والمقطوعات؛ التي كانت مبعثرة ضمن المصادر الأدبية، والتاريخية المختلفة؛ ووصل عدد ما عثر عليه: مائة وعشرة أبيات لا غير. وذكر ابن عذاري خبر ابن حماد بقوله:[1]

((مات أبو عبد الرحمن بُكْر ابن حمَّاد بن سِهْر بن أبي إسماعيل؛ وهو زَناتِيٌّ؛ في شوال بقلعة ابن حَمَّة؛ بجوفيّ مدينة تيهرت؛ وبها كان مولده، ومنشأه؛ صلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه؛ وهو يومَ مات ابْنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكْر إلى المشرق في سنة 217هـ[/832م]؛ وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء، وجلَّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث، وتمييز الرجال؛ وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتصِم؛ ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب، وصريع، ودِعْبِل، وعلي بن الجَهْم، وغيرهم من شعراء العراق. وله أبيات إلى المعتصم؛ يحرضه فيها على دعبل؛ وهي:

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 153 ــ 154.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيَهْجُو أمِيــرَ المُؤْمِنِيــنَ وَرَهْطَــهَ
وَيَمْشِي عَلَى الأَرْضِ العَرِيضَةِ دِعْبــلُ
أما والَّــذِي أرْسَى ثَبِيــراً مَكَانَــهُ
لَقَدْ كَــادَتِ الدُّنْيَــا لِــذَاكَ تُزَلْــزَلُ
وَلَكِــنَّ أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ بفَضْلِــهِ
يَهُــمُّ فَيَعْفُــو أوْ يَقــُولُ فَيَفْعَــلُ

فعاتبــه حبيــب فيــه؛ وقــال لــه: "قتلتــه واللــه يــا بكــر"؛ فقــال في قصيدتــه هــذه:

وَعَاتَبَــنِي فِيهِ حَبِيــبٌ وَقــالَ لِي:
"لِسَانُــكَ مَحْــذُورٌ وَسَمُّــكَ يَقْتُــلُ"
وَإِنِّي وَإِنْ صَرَفْتُ فِي الشِّعْرِ مَنْطِقِي
لأُنْصِــفُ فِيمَا قُلــْتُ فِيــهِ وَأعْــدِلُ)).

ومــن شعــره الــذي يصــف فيــه طقــس تاهــرت البــارد:

مَا أخْشَــنَ البَــرْدَ وَرِيعَانَــهُ
وَأَطْــرَفَ الشَّمْــسَ بِتَاهَــرْتِ
تَبْــدُو مِنَ الغَيْمِ إِذَا مَا بَــدَتْ
كَأَنَّهَــا تُنْشَــرُ مِــنْ تَخْــتِ
نَحْــنُ فِي بَحْــرٍ بَــلاَ لُجَّــةٍ
تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّمْــتِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نَفــْـرَحُ بِالشَّمْسِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَفَرْحَــةِ الــذمِّي بِالسَّبْـــتِ

عـــاد إلى مسقــط رأســه تاهــرت؛ هاربــا مـــن بطـــش الأميـــر إبراهيـــم بـــن أحمـــد بـــن الأغلـــب؛ فاعتـــرض طريقـــه اللصـــوص؛ بالقـــرب مـــن تاهـــرت؛ في المكـــان المســـمى بقلعـــة ابـــن حمـــة؛ وذلـــك سنـــة 295هـ/907م؛ فقتلـــوا ولـــده، وجرحـــوه هـــو بجـــروح بليغـــة؛ مـــات متأثـــرا بهـــا؛ فيمـــا بعـــد. وهـــذه أبيـــات مـــن قصيـــدة قالهـــا في رثـــاء ولـــده:

بَكَيْـــتُ عَــلىَ الأحِبــَّةِ إذْ تَوَلـــَّوا
وَلـَــوْ أَنِّي هَلَكْتُ بَكــَوا عَلَيَّـــا
فَيَا نَسْـــلِي بَقـَــاؤُكَ كَانَ ذُخْـــراً
وَفَقْدِكَ قَدْ كَوَى الأَكْبــَادَ كَيَّـــا
كَفَى حُزْنـــاً بِأَنَّنِي مِنْــكَ خُلْـــوٌ
وَأَنَّـــكَ مَيِّـــتٌ وَبَقِيـــتُ حَيَّـــا
وَلَمْ أكُ آيِســـاً فَيَئِسْـــتُ لَمَّـــــا
رَمَيْتُ التُّرَابَ فَوْقَــكَ مِنْ يَدَيـــَّا
فَلَيْتَ الخَلـْــقُ إذْ خُلِقـــُوا أَطَاعُـــوا
وَلَيْتَكَ لَمْ تَـــكُ يَا بَكْـــرُ شَيَّـــا
تُسَـــرُّ بِأَشْهُـــرٍ تَمْـــضِي سِرَاعـــاً
وَتُطـــْوَى فِي لَيَالِيهـــنَّ طَيَّــــــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَلاَ تفــْرَحْ بِدُنْيــَا لَيــْسَ تَبْــقَى
وَلاَ تَأسَــفْ عَلَيْهَــا يَــا بُنَيَّــا
فَقَدْ قَطَعَ البَقَــاءُ غُرُوبَ شَمْــس
وَمَطْلَعُهَــا عــلَى يَــا أخَيَّـــــا
وَلَيْــسَ الْهَــمُّ يَجْلُــوهُ نَهَـــارٌ
تَــدُورُ لَــهُ الفَرَاقِــدُ وَالثُّرَيَّــا

وفي قصيــدة أخــرى؛ قــال يــرثي ولــده أيضــا:
وَهَــوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي بِكَ لاَحِــقٌ
وَأَنَّ بَقَــائِي فِي الحَيَــاةِ قَلِيــــلُ
وَأنْ لَيْسَ يَبْــقَى لِلْحَبِيبِ حَبِيبُــهُ
وَلَيْــسَ بَبَــاقٍ لِلْخَلِيــلِ خَلِيــلُ
وَلَوْ أنَّ طــُولَ الحُــزْنِ مِمَّا يَــرُدُّهُ
لَلاَزَمَـــنِي حُــزْنٌ عَلَيْــهِ طَوِيــلُ

ولمــا أحــس بدنــو أجلــه قــال يــرثي نفســه:
أحْبُو إلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُــو الجَمَلْ
قَد جَــاءَنِي مَا لَيْــسَ فِيــهِ حِيَــلْ

وقــال في قاتــل عــلي كــرم اللــه وجهــه:
قُلْ لاِبْنِ مُلْجَــمْ وَالأَقْــدَارُ غَالِبَــةٌ
هَدَّمْتَ وَيْلَــكَ لِلإسْــلاَمِ أرْكَانَــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَتَلْتَ أفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَىَ قَــدَمِ
وَأوَّلَ النَّــاسِ إسْلاَمــاً وَإيمَانَــــا
وَأعْلَمَ النَّاسِ بِالقُــرْآنِ ثُــمَّ بِمَــا
سَــنَّ الرَّسُــوَلُ لَنَا شَرْعاً وَتِبْيَانــا
صَهْــرُ النَّــبِيِّ وَمَــوْلاَهُ وَنَاصِــرُهُ
أضْحَـــتْ مَنَاقِبُــهُ نُــوراً وَبُرْهَانَــا
وَكَانَ مِنْــه عَلَىَ رَغْمِ الحَسُودِ لَــهُ
مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَــا
وَكَانَ فِي الحَرْبِ سَيْفاً صَارِماً ذَكَراً
لَيْثــاً إذَا لَــقِيَ الأقْـــرَانُ أقْرَانَــا

ـ ثــم **أبــو الحســن صالــح الزنــاتي الإشبيــلي العابــد** (ت: سنــة 587هــ/1191م)؛ كــان مــن أهــل الخيــر والصــلاح، ورع، زاهــد؛ قــضى أيامــه في تــلاوة كتــاب اللــه؛ ولا يشغــل نفســه بمشاغــل الدنيــا أبــدا.

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن خلــف بــن مــرزوق بــن أبي الأحــوص البلنســي الزنــاتي** المعــروف بابــن نســع (ت: سنــة 599هــ/1202م)؛ قــال فيــه ابــن الأبــار: ((**وكــان مقرئــا صالحــا، زاهــدا ورعــا؛ أخــذ عنــه النــاس؛ وكثيــرا مــا كــان**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُسمع كتاب السيرة؛ لعلو إسناده فيه، وكذلك الإستيعاب؛ حتى كان يحفظهما))[1] .

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الزناتي** المعروف بابن حافي رأسه (ت: سنة 725هـ)؛ من فقهاء المالكية؛ له نظم؛ منه:

كَأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُنْ فُرْقَةَ
إذَا كَانَ مَا بَيْنَ الفُرَاقِ تَلاَقِي

É É É

(3) ـ سمكان:

وهم **أبناء سمكان بن يحي بن ضري ابن زحيك بن مادغيس الأبتر.** ذكر ابن خلدون بطنين منهم؛ هما: **زواغة، وزواوة.** غير أنه اضطرب في موقفه؛ حين أدرج **زواوة** مرة ضمن **بني سمكان بن يحيى** البتري، ومرة بين **قبائل كتامة البرنسية**؛ معللا ذلك بكون نسابة البربر قد أدرجوا زواوة ضمن بني سمكان بن يحيى، بينما أدرجهم ابن حزم ضمن أحياء كتامة. أما هو فيميل إلى رأي ابن حزم؛

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 567.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستندا إلى كون مواطن زواوة تقع في جوار مواطن كتامة. ويرى أن سبب الخطأ الذي وقع فيه غيره؛ يعود للالتباس الذي سببه التصحيف، والخلط بين قبيلتين؛ هما: **زواوة، وزوازة.** ولكن عبد الوهاب بن منصور حاول تصحيح هذا الالتباس بقوله: ((**ويظهر لي أن ابن خلدون نفسه وقع هنا في خطأ؛ بسبب التصحيف، فالاسم الذي صحف، وكان مثار هذا الالتباس هو زوارة بالراء التي سميت بها مدينة، وتعرف بها بطون إلى اليوم، وليس زوازة التي لا تعرف بين قبائل البربر؛ في قديم ولا حديث**))[1]. ومع وجاهة هذا الرأي الأخير؛ إلا أنه لا يكفي لإقناع المحققين؛ فالتصحيف ممكن حدوثه — أيضا — في اسم زوارة نفسها؛ خاصة وأن هذه التسمية لم نعثر عليها محققة، ومنسوبة لقبيلة ما؛ في المصادر التاريخية القديمة؛ والتي أعدت قبل القرن السابع للهجرة. ولا يكفي وجود مدينة، أو قبيلة بهذا الاسم في هذه الأيام. للتدليل على صحة تلك المزاعم. فاسم المدينة — أيضا — معرض للتحريف. فعلى سبيل المثال: توجد — في أيامنا هذه — بالجزائر؛

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 320.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة يسميها الناس **تامنراست بالراء**؛ بينما هي في الأصل تسمى **تامنغاست بالغين**؛ إذ تحولت الغين إلى راء؛ بسبب اللهجات. وعليه.. ألا يحتمل أن تكون **زواغة** هي **زوارة**؛ ثم تعرضت للتصحيف؟

وبينما خلت المصادر القديمة من تسمية قبيلة بهذا الاسم؛ نجدها في كتاب القلقشندي؛ (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)؛ مع أنه لا يذكر — في حرف الزاي — زواوة، ولا زواغة؛ ويخلط في الأمر حين يقول: **((بنو زوارة بطن من صنهاجة؛ من البرانس؛ من البربر. وهم بنو زوارة بن صنهاجة بن برنس بن بربر... بنو زواعة** [بالعين المهملة] **ويقال لهم بنو زواعة باسم أبيهم: بطن من ضري))**[1]. ومن خلال ما سبق ذكره؛ يبدو أن التصحيف بدأ في زمن غير بعيد عن زمن القلقشندي؛ الذي توفي في عام 821هـ. وربما لا يتجاوز زمن التصحيف؛ النصف الأخير من القرن السابع للهجرة. ونظرا لغياب الدليل القاطع، والسند المقنع؛ سنسجل ما هو متوفر لدينا، ونترك الباب مفتوحا للمزيد من التحقيق. وعليه..

---

[1] ص: **276**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنعتبر **زوارة**، **وزواغة**؛ **وزواوة** من بين أحياء بني سمكان بن يحيى؛ حتى يثبت غير هذا.

É É É

ـــ زوارة:

لم أعثر ـــ كما سبق أن ذكرت ـــ في المصادر التاريخية القديمة المتوفرة على قبيلة تسمى **زوارة** بالراء؛ إلاّ فيما ورد من خلط ضمن كتاب نهاية الأرب، وما ذكره عبد الوهاب بن منصور في كتابه ـــ الحديث ـــ قبائل المغرب. حيث يقول بأنهم مندمجون في قبائل أخرى هي: قبيلة **بني موسى** (دوار سيدي حمودة)، وقبيلة **صنهاجة** (دوار الشركة)، وقبيلة **أولاد عطية** (دوار الصوادق) بالمغرب الأوسط. ومن جهتي.. لا أدري إن كان هذا يكفي؛ كدليل على وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ فالاندماج يتبعه الذوبان.. فهل احتفظ المندمجون باسم قبيلتهم زوارة..؟ ومن جهة أخرى؛ يشير عبد الوهاب بن منصور ـــ أيضا ـــ إلى المدينة الساحلية المسماة باسمهم؛ في الجهة الغربية من طرابلس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا ما تصفحنا مصدرا قديما؛ مثل كتاب الرحلة المغربية للعبدري؛ الذي أُعِدّ في عام 688هـ؛ نجده يذكر اسم **قرية زوارة**؛ في سياق عام، وبأسلوب غامض؛ عن شيء اسمه زوارة؛ ولكن يصعب على القارئ التمييز إن كان المقصود بها اسم قبيلة، أو اسم قرية. أما التجّاني (الذي توفي سنة 717هـ) فتكلم عن **زوارة** كاسم لمكانين: **زوارة الكبرى**؛ التي كانت تسمى كوطين، **وزوارة الصغرى**؛ التي كانت تسمى بلد المرابطين. أما الورتلاني في رحلته؛ التي تمت في عام 1179هـ؛ فقد ذكر في كتابه ثلاثة أماكن ــ متقاربة ــ تسمى زوارة؛ هي: **زوارة الخالية**، **وزوارة العامرة**، **وزوارة الشرقية** أو (الكبرى).

أما محمد علي دبوز؛ فلا يذكر من بين القبائل اسما **لـزوارة**؛ وإن كان قد أشار إلى الاسم على أنه لإحدى المدن القريبة من طرابلس؛ التي خلفت مدينة زواغة المندثرة: **((ليست زُوّاغة هي زْوارة كما يعتقد الكثيرون. إن زواغة كانت في القرن الثاني والثالث الهجري، أما زْوارة** [بالسكون فوق الزاي]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنشأت في سنة 380 **من الهجرة. وزُواغة انقرضت وزْوارة لا زالت...وأرى أن زْوارة نشأت لما انقرضت زواغة؛ فهاجر أهل زُواغة إليها فعمروها))**[1]. وبعد الذي ذكرناه؛ يبدو أنه لا داعي لذكر المزيد من المصادر الأخرى؛ التي جاءت بعد رحلة التجاني؛ لاحتمال انتقال العدوى، وانتشار الالتباس، والتصحيف. وعليه؛ نتساءل.. ألا تكون تسمية **زوارة** هذه تعرضت ــ بدورها ــ للتصحيف؟ كما حدث لمدينة **تامنغاست** (تامنراست).. وخلاصة القول.. أنه لم يثبت ــ حتى الآن ــ وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ وإن كان وجود مكان بهذا الاسم أمر ثابت لا محالة.

É É É

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 603. تعليق: 1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **زُوّاغـــــة**:

يـنــدرج **بنــو زواغــة** ــ باتفــاق المؤرخيــن، والنسابيــن ــ ضمــن **أبنــاء زواغ بــن سمكــان بــن يحــيى**. ويقــول ابــن خلــدون عنهــم: ((**وأمــا زواغــة فلــم يتــأدّ إلينــا مــن أخبارهــم، وتصاريــف أحوالهــم مــا نعمــل فيــه الأقــلام**))[1]. ثــم يذكــر ثــلاث مــن بطونهــم؛ هــم: **بنــو دمــر بــن زواغ** (**ودمــر** هــذا ليــس هــو **الغانــا** المعــروف بدمــر السابــق الذكــر)، **وبنــو ماجــر بــن تيفــون بــن زواغ، وبنــو واطيــل بــن زحيــك بــن زواغ**.

! ! !

ـ ***أعيانهــم***: مــن علمــاء زواغــة:

ـ **أبــو الخطــاب وسيــم بــن ستتــن الــزواغي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الرابــع للهجــرة)؛ وهــو مــن العلمــاء الإباضييــن؛ عــرف بفضلــه، وصلاحــه.

ـ ثــم **أيــوب بــن كلابــة الــزواغي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الرابــع للهجــرة)؛ وهــو مــن أفاضــل علمــاء الإباضيــة؛ اشتهــر بالثــراء،

---

[1] العبــر، مج: 6، ص: 264.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكرم؛ وقد تناقل الأخباريون حكايات عديدة عن جوده، وكرمه؛ بالإضافة إلى علمه، وصلاحه.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي** (من أعيان النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ اشتهر بالتقوى، والصلاح؛ وكان من رجال الفتوى.

ـ ثم **يزيد بن يخلف الزواغي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بوادي ريغ.

***

ـ ***مواطنهم***: يقول ابن خلدون[1] أنهم موزعون بين القبائل، ومتفرقون في نواحي طرابلس؛ حيث يتواجد الجبل المعروف بأحد بطونهم؛ وهو **جبل دمر**. وفي جهات **قسنطينة**، وفي **جبال شلف** جماعة منهم اسمهم **بنو واطيل**. وكذا الحال؛ في نواحي فاس؛ أين يتواجد بعضهم. وحين أشار مبارك الميلي إلى مواطن زواغة قال: **((ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 264.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بزواغة))[2]. ويقول ابن منصور أن آخرين متواجدون **بفج مزالة.** ويرى أنهم كانوا في تلك الديار في أول الفتح الإسلامي؛ وينسب إليهم **بسيط زواغة** الممتد بين **فاس**، وبين **صفرو، وجبل كندر**[1].

É É É

ـ *زواوة:*

إذا كان ابن خلدون قد تذبذب في حكمه بخصوص انتماء **زواوة**؛ فإنه بالمقابل خصص لهم فصلا رئيسيا بين قبائل البتر؛ إذ نسبهم ـ من خلاله ـ إلى **سمكان بن يحيى ابن ضري.** وبالمقابل اكتفى ببعض الفقرات؛ التي كررها عنهم في الفصول المخصصة للبرانس. وقد تأثر ابن خلدون ـ في رأيه هذا ـ برأي ابن حزم؛ الذي ينسب زواوة إلى كتامة؛ ثم يعلل ابن خلدون ذلك؛ بكونهم متجاورين في الأوطان. مع أنه يقول: **((وأكثر الناس جاهلون بنسبهم. وعامة نسابة البربر على أنهم من**

---

[2] تاريخ الجزائر، ص: 599

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 311 ـــ 312.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بني سمكان بن يحيى بن ضريس، وأنهم اخوة زواغة))[1]. والغريب في الأمر — هنا — هو موقف ابن خلدون المنحاز إلى رأي ابن حزم؛ ذلك الرأي الذي يخالف أقوال نسابة البربر عامة مع أنه اعترض عليه في نص آخر؛ مرجحا أقوال من سماهم بـ **((نسابة البربر))** فقال حين تكلم عن لواتة: **((وذكر ابن حزم أن نسابة البربر يزعمون أن سدراتة، ولواتة، ومزاتة من القبط. وليس ذلك بصحيح؛ وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك))**[1]. ومع هذا.. يبدو أن انحيازه لآراء ابن حزم؛ يرجع إلى ما يقوله عنه؛ من صفات تتحلى بالثقة، والتوثيق. وعلى الرغم من التردد، والاضطراب الذين وقع فيهما ابن حزم حينما أدرج **زواوة** مرة بين أبناء **سمكان بن يحيى البتريين**، ومرة أخرى ضمن **قبائل كتامة البرنسية**؛ فإن ابن خلدون بقي في موقفه المنحاز إليه؛ بل سايره في اضطرابه؛ حيث أدرج — هو الآخر — زواوة

---

[1] **العبر، مج: 6، ص: 308.**

[1] **نفسه، ص: 235.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضمن أبناء سمكان من جهة، وأبناء كتامة من جهة أخرى.

وعليه.. هل يمكن الحكم بانتماء جماعات معينة إلى جماعات أخرى؛ على أساس الجوار في الموطن فقط..؟ وإذا كان الرد بالإيجاب؛ فكيف نفسر وجود قبائل أخرى متجاورة؛ مع أنها لا تنتمي إلى بعضها بعضا؟ والعكس صحيح أيضا. إذ هناك قبائل تنتسب إلى نسب واحد؛ ولكن أوطانها متباعدة. ولنفرض أن الموطن، والجوار يمكن اعتبارهما حجة لتصحح الانتماء، والقربى.. فما هو الرأي إذن.. حينما نرى ابن خلدون يؤكد على كون المغرب الأوسط هو وطن زناتة؛ وبالمقابل نجد أمة عظيمة تنتسب إلى البرانس؛ مواطنها هي الأخرى في المغرب الأوسط..؟

وجملة القول.. فابن خلدون لم يتمكن من حسم موقفه تجاه **زواوة؛** بل إنه لم يجد ما يقوله بخصوص **أبناء سمكان** كافة؛ فإذا كان قد اعترف بذلك حين تكلم عن **زواغة؛** فإنه احتار – من جهة أخرى – بخصوص **زواوة**، وحاول إيجاد تأويلات، وافتراضات، ومسوغات – غير مقنعة – عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصحيف يكون قد حدث لاسم **زوازة** [بالزاي]؛ فأخذت على أنها **زواوة**. مع أن زوازة لا وجود لها بين قبائل المغرب بالكامل. وفي كتاب مفاخر البربر ـ الذي يكون كتب سنة 712هـ؛ أي قبل أن يلد ابن خلدون ـ ورد نص يسجل أسماء القبائل البترية؛ جاء فيه: **((وأعلام القبائل التي تسمى البتر؛ من البربر هم: زواغة، وزناتة، وزواوة، ونفزة، ولواتة، ومزاتة، ونفوسة، ومغيلة، ومطماطة، ومطغرة، ومديونة، وصدينة. ولكل هؤلاء شعوب وقبائل كثيرة وبطون وأفخاذ وعمائر لا تحصى نسبوا إلى جدهم الأبتر وهو مادغس بن بركان** [هكذا صحف] **يلقب بالأبتر))**[1]. وجاء في الصحفة 71 من المصدر نفسه: **((وزواو اسم رجل هو زواو بن سمجان** [سمكان] **بن يحيى ابن تمزيت** [تمصيت] **بن ضريس))**.

وما يمكن قوله في هذا المجال؛ أنه وردت في العبر[2] أسماء كثيرة للبطون المتفرعة عن قبيلة زواوة؛ نكتفي منها بـ: **بني كوزيت، وبني كوفي، وبني مرانة، ومشدالة، وولزاجة.** ثم

---

[1] ص: 76.

[2] العبر: مج: 6، ص ص: 262 ـــ 264.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وردت في العبر – أيضا – أسماء بعض قبائلهم التي عاصرت ابن خلدون؛ وهم: **بنو بوشعيب، وبنو بويوسف، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو فوراسن، وبنو كشطولة، وبنو مانكلات، وبنو ماني، وبنو يتورغ، وبنو يراتن.** وكان لزواوة أثر ملحوظ في دولة بني حماد؛ حيث أضحت عاصمتهم مجاورة لمواطن زواوة؛ كما جاء في العبر: **((ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم، وتمرسوا بهم؛ فانقادوا، وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة. واتصل إذعانهم إلى هذا العهد؛ إلا تمريضا في المغرم؛ يحملهم عليه الموثقون بمنعة جباهم))**[1]. ويعتبر **بنو يراتن** من أبرز قبائلهم في عهد ابن خلدون. وبيت الرئاسة فيهم، هم رهط **عبد الصمد.** وكانت ترأسهم امرأة منهم اسمها **شمسي**؛ لها عشرة أولاد؛ فتغلبت بهم على قومها. وكان لشمسي هذه ذكر مع السلطان أبي الحسن المريني.

! ! !

---

[1] العبــر: مج: 6، ص: 263.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ***أعيانهم***: ومن أعلام زواوة ورجالها المشهورين بالعلم، والفضل:

ـ **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي** (ت: سنة 611هـ/1214م)؛ وهو من أهل التصوف، والزهد؛ إذ تفرغ للعبادة، وتدريس الفقه، والحديث، وتفسير القرآن.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي** الملقب بزين الدين (توفي بالقاهرة سنة 628هـ/1230م)؛ شاعر مجيد، وإمام كبير من أئمة النحو، واللغة العربية؛ من مؤلفاته: كتاب الدرة الألفية في علم العربية، وكتاب الفصول، وكتاب العقود والقوانين، والهوامش على ابن السراج، وشرح على كتاب الجمل للزجاجي؛ هذه كلها في النحو؛ ثم منظومة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة لابن دريد في اللغة، وكتاب المثلث في اللغة، وشرح لأبيات سيبويه نظما، وديوان خطب، وديوان شعر، والبديع في صناعة الشعر، ونظم كتاب الصحاح للجواهري؛ لم يكتمل. قال عنه ابن خلكان: ((**كان أحد أئمة عصره في النحو، واللغة؛ سكن دمشق زمانا طويلا؛ واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به، وصنف تصانيف مفيدة... ثم إن الملك الكامل أرغبه في الإنتقال إلى مصر؛ فسافر إليها؛ وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب))[1].

ـ ثم ضياء الدين عبد الرحمن بن عبد الله الزواوي (توفي بدمشق سنة 644هـ/1246م)؛ فقيه، وله مشاركة في علوم عديدة.

ـ ثم أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (توفي بدمشق سنة 681هـ/1282م)؛ شيخ مشائخ الإقراء بدمشق؛ وهو أول من تولى قضاء المالكية بها؛ ولكنه عزل نفسه بعد تسع سنوات؛ من مؤلفاته: التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات؛ وهو في القراءات، وعدد الآي.

ـ ثم أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي (ت: سنة 683هـ/1284م)؛ أحد كبار العلماء؛ ولي قضاء المالكية بدمشق.

ـ ثم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي (ت: سنة 686هـ/1287م)؛ فقيه، وشاعر.

---

[1] وفيات الأعيان، ج: 6، ص: 197.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنكلاتي الزواوي** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ فقيه، أصولي، مشارك في علم العقائد؛ تفرغ للعبادة، والتدريس ببجاية.

ـ ثم **أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي** (توفي بدمشق سنة 717هـ/1317م)؛ أحد كبار علماء المالكية؛ فقيه، ومحدث؛ تولى القضاء بدمشق طوال ثلاثين سنة؛ قال عنه ابن تغري بردي: **((كان فقيها، عالما، عالي الهمة، محدثا بارعا، مشكور السيرة في أحكامه))**.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف المنكلاتي الزواوي** (ت: سنة 730هـ/1329م)؛ فقيه، وابن فقيه؛ ولي القضاء ببجاية؛ قال عنه ابن القاضي في درة الحجال: **((كان فقيها، حافظا، مستبحرا في حفظ المسائل، والفروع))**[1].

ـ ثم **أبو الرُّوح عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى المنكلاتي الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 743هـ/1342م) فقيه، وعالم في الحديث، ومؤرخ؛ تولى القضاء بدمشق، والقاهرة، والتدريس بالأزهر. من مؤلفاته:

---

[1] ج: 2، ص: 101.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إكمال الإكمال؛ وهو شرح لصحيح مسلم؛ في 12جزءا، وشرح جامع الأمهات في 7 أجزاء؛ وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه المالكي، وشرح المدونة في الفروع، ومناقب الإمام مالك، وكتاب في الوثائق، وكتاب في المناسك، وفي علم المساحة، وشرح العضدية للسمرقندي، وكتاب في التاريخ كبير أنجز منه عشرة مجلدات.

ـ ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي (ت: سنة 750هـ/1349م)؛ وهو من كبار القراء في المغرب، وفقيه، ومحدث؛ له فهرست سجل فيه مقروءاته، ومروياته.

ـ ثم **أبو على منصور بن علي بن عبد الله الزواوي** (ت: سنة 770هـ/1368م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية؛ أصولي؛ وحافظ للحديث، ناقد، ونحوي، وشاعر؛ قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: **((هذا الرجل طرف في الخير، والسلامة، حسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع... صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم: العقلية، والنقلية، وإطلاع، وتقييد، ونظر في: الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في: الحساب، والهندسة، والآلات، يكتب، ويشعر؛ فلا يعدو الإجادة، والسداد))[1]**.** ومن شعره الذي ذكره ابن الخطيب:

يُحَيِّيكَ عَنْ بَعْضِ المَنازِل صَاحِبُ
صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدَى إلَيْكَ رَسَايلُه
مُقَدِّمَة حِفْظ الوِدَادِ وَسِيلَة
وَلاَ وُدَّ إلاَّ أنْ تَصِحَّ وَسَائِلُه
يُسايِلُ عَنكَ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ
تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَايِلُه

ومن شعره أيضا:

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظاً حَقِيقَة في المَعَالي
مُقَدِّمَاتُ عُلاَكُمْ أنْتَجْنَ كُلَّ كَمَالِ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَاسٌ خَلَوْتَ مِنْهُ فَخَالِ

ـ ثم بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي (توفي بالقاهرة سنة 775هـ/1373م)؛ فقيه، وحافظ للحديث، وله إلمام بعلوم أخرى.

---

[1] ج: 3، ص ص: 324 ـــ 325.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يللبخت الزواوي** (من أعلام القرن الثامن الهجري)؛ حافظ للحديث، وأحد كبار علماء الفقه المالكي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري)؛ أحد فقهاء بجاية؛ له فتاوى؛ سجل بعضها في المازونية، والمعيار.

ـ ثم **عبد الله بن عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي** (ت: سنة 800هـ/1397م)؛ وهو من أصحاب التنجيم، والأبحاث الغيبية؛ من مؤلفاته: المثلث في علم الرمال.

ـ ثم **نصر الزواوي** (توفي بالقدس سنة 826هـ/1422م)؛ عالم، ومن الزهاد، والعباد الصالحين، له مشاركة في علوم العربية.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد المؤمن الزواوي** (ت: سنة 828هـ/1424م)؛ فقيه، ومن العارفين بالحديث، وله اهتمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: حل عقود الدرر في علوم الأثر؛ وهو لعقود المؤرخ ابن ناصر الدين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أبو الحسن **منصور بن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي بعد 850هـ/1446م)؛ وهو فقيه بجاية، ومفتيها، وعالمها في وقته؛ له فتاوى مسجلة في الدرر المكنونة، والمعيار.

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ قاضي، وفقيه مالكي، وله اهتمامات بعلوم أخرى.

ـ ثم **شهاب الدين أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي** (ت: سنة 855هـ/1451م)؛ فقيه مالكي، ومحدث حافظ؛ هو أحد الذين أجازوا الإمام السخاوي.

ـ ثم **إبراهيم بن جابر بن موسى الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ فقية من علماء المالكية له اهتمامات عديدة في علوم مختلفة.

ـ ثم أبو إسحاق **إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية، وله المام بالتفسير؛ من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل؛ في الفقه المالكي؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو في 8 مجلدات وربما 3 ، وفيض النيل في شرح مختصر خليل؛ في مجلدين، وتلخيص التلخيص؛ وهو عبارة عن شرح على تلخيص المفتاح وتحفة المشتاق؛ وهو في مجلد كبير.

ـ ثم **عيسى الزواوي** (ت: سنة 878هـ/1473م)؛ صوفي، وعالم بالحساب، والفرائض؛ له بعض المؤلفات؛ قال عنها السخاوي: **((أوقف كتبه قبل موته))**.

ـ ثم **أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري** (توفي بمدينة الجزائر سنة 884هـ/1479م)؛ وهو أحد علما المالكية؛ من مؤلفاته: اللامية؛ في علم الكلام؛ شرحها الإمام السنوسي.

ـ ثم **بلقاسم بن محمد الزواوي** (ت: سنة 922هـ/1516م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له شرح على الرجز للضرير المراكشي.

ـ ثم **شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 927هـ/1520م)؛ صوفي، ومشارك في عدد من العلوم؛ قال صاحب الكواكب السائرة: ((له تصانيف)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** (ت: بعد 940هـ/1533م)؛ نزيل المدينة المنورة؛ فقيه، وصوفي؛ من مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد؛ في التصوف؛ وهو في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله؛ في كراسين.

ـ ثم **يحيى بن سليمان الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له إلمام بالعقائد.

ـ ثم **إبراهيم بن محمد الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ فقيه من الحفاظ، وله إلمام بالفرائض، والحساب؛ قال عنه ابن القاضي: **((وهو الآن فقيه كَنْوا من بلاد السودان، ومدرسها؛ بعد أبي عبد الله التونسي))**[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي القاسم الحسني الزواوي** (ت: سنة 1208هـ/1793م)؛ شيخ الطريقة الرحمانية؛ قال صاحب شجرة النور: له **((تآليف، وأوراد))**.

ـ ثم **محمد بن عامر المغازي الزواوي** (ت: سنة 1221هـ/1806م)؛ صوفي، وفقيه؛ من مؤلفاته: الوظائف المحمدية لأهل الطريقة المغازية.

---

[1] **درة الحجال، ج: 1، ص: 205.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم **أحمـد الطيـب بـن محمـد بـن الصالـح بـن سليمـان العيسـاوي الـزواوي** (ت: سنة 1251هـ/1835م)؛ وهـو مـن علمـاء النحـو، والأدب، وأحـد كبـار علمـاء المالكيـة، وشاعـر؛ ومـن مؤلفاتـه: الـدرة المكنونـة؛ وهي أرجـوزة في عقائـد التوحيـد، وتكملـة الفوائـد في تحريـر العقائـد؛ وهـو شـرح علـى أم البراهيـن، ومفتـاح الأحكـام؛ وهي منظومـة في أحكـام الفتـوى تصـل أبياتهـا إلى الألفيـن، وتذكـرة الحكـام؛ وهـو شـرح لمفتـاح الأحكـام، ونصـرة الإخـوان في احجـاج الفقهـاء بالبرهـان؛ وهي أرجـوزة، ومنهـج الوصـول؛ وهي أرجـوزة في علـم الفرائـض، ومفيـد الطلبـة؛ وهـو شـرح الأجروميـة، والقـرة العصريـة؛ في أحكـام الفتـوى.

ـ ثـم **علـي بـن محمـد المغـازي الـزواوي** (تـوفي بعـد 1301هـ/1883م)؛ صـوفي؛ مـن مؤلفاتـه: الفيوضـات الإضافيـة والتدرجـات الإنسانيـة في نشـر الطريقـة الخلوتيـة؛ طبـع بمصـر سنـة 1301هـ.

ولا تفوتـني ـ هنـا ـ الإشـارة إلى شاعـر شعـبي مـن زواوة؛ ظهـر في وقـت متأخـر بعـض الـشيء؛ ودواعي إدراجـه ـ في هـذا المجـال ـ ترجـع إلى كونـه عينـة صادقـة للشعـراء الأمازيـغ الشعبييـن؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين يتعاملون مع هذا الفن بأسلوب شفوي غير مكتوب، وبالأمازيغية، والعربية الدارجة.
وهذا الشاعر هو:

ـ **محند أو محند أمزيان حمدوش** (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر للهجرة)؛ جاء في كتاب الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي؛ لعبد الرحمن بوزيدة: **((أما عائلة الشاعر فهي آيت حمدوش؛ من عرش شَرْعَوى... يسمى والد الشاعر محند أمزيان حمدوش؛ أصله من قرية أقمون وقد فر إلى شَرْعَيوى (الأربعاء أنيراثن) إثر قضية ثأر. وبعد أن حطم الاستعمار شَرْعَيوى، وشتت سكتنها سنة 1857م استقرت عائلة سي محند بأقبو... وقد كان عم الشاعر أرزقي حمدوش فقيها، ومدرسا؛ فتح زاوية بالمنطقة؛ حيث يدرس القرآن؛ وقد بدأ الشاعر تعليمه بهذه الزاوية؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي بعين الحمام؛ أين تفقه في العلوم الدينية... ثم تدهورت حياة أسرته بعد ثورة المقراني سنة 1288هـ/1871م؛ حيث انضم إليها أبوه، وعمه. وقد أعدم أبوه بعد القضاء على هذه الثورة؛ أما عمه فقد**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفي إلى كلدونيا الجديدة؛ وتشردت عائلته، وهام الشاعر ـ إثر ذلك ـ على وجهه؛ ضاربا في البلاد؛ بعد أن نجا من الإعدام بأعجوبة... إن الأشعار المنسوبة إلى الشاعر كثيرة جدا، ومتنوعة؛ وهي غير مكتوبة؛ بل بقيت في معظمها خاضعة لمنطق أدب الحفظ والمشافهة. ورغم اتفاق الرواة على أن سي محند كان يقول الشعر بالعربية، وبالأمازيغية معا، ورغم إتقانه للعربية؛ لم يكتب أشعاره، ولم يترك تراثا مكتوبا))[1]**.** وهذه عينة من شعره الْمُعَرَّب:

إنَّ فِي العِشْقِ اخْتِلاَفْ
وَفُرُوقاً وَصُنُوفْ
كُلُّ فَرْدٍ مِحْنَتُهْ

بَعْضُهُمْ يَزْهُو سَعِيدْ
حَظُّهُ حَظٌّ رَغِيدْ
لاَ يُفَارِقْ مَنْ يُحِبْ

---

[1] ـ بوزيدة عبد الرحمن؛ الحوار الرفيع، ص ص: 29 ـ 32. 42.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بَعْضُهُــــمْ يَبْــقى يُعَــانِي
يَتَعَلَّــلْ بالأمَــاني
حَالُــهُ، اَللّــهُ أعْلَــمْ

هــُوَ ذَا قَلْــبي اِمْتَــلاَ
فَيْــضُ دَمْعِــهْ قَدْ جَــرَى
كَــمْ تَلَــقىَّ مِــنْ مِحَــنْ

سِــرُّهُ هَــدَّ الجِبَــالْ
وَاخْتَنَــقْ فِيــهِ المَجَــالْ
هُــوَ بِالعِشْــقِ ظُلِــمْ

إلى أن يقــول:
لِي جنَــانٌ مُتَفَــرِدْ
بنَبَــاَتٍ مُتَمَــدِّدْ
فَحَــمَى اَللّــهُ غِلاَلَــهْ

قَــدْ بَنَيْــتُ سُــورَهُ
وَغَلَقْــتُ بَابَــهُ
حَارِسُــهْ دَوْمــاً يَقِــظْ

السُّيُــولُ اكْتَسَحَتْــهُ
جَرَفَــتْ مَا وَجَدَتْــهُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَانْدَثَــرْ دُونَ أثَــرْ

مَــنْ أذَانِي، لاَ سَمَــاحْ
فِي صَمِيمِي كَمْ جــرَاحْ
كَــمْ ضَمِيــرِي يَتَألَــمْ

***

ـ *مواطنهــم*: يقــول ابــن خلــدون: ((ومواطــن زواوة بنــواحي بجايــة؛ مــا بيــن مواطــن كتامــة، وصنهاجــة؛ أوطنــوا منهــا جبــالا شاهقــة متوعــرة؛ تنذعــر منهــا الأبصــار، ويضــل في خمرهــا السالــك؛ مثــل: بــني غبريــن؛ بجبــل زيــري؛ وفيــه شعــراء مــن الــزان؛ يشهــد بهــا لهــذا العهــد. ومثــل بــني فراســن، وبــني يراثــن؛ وجبلهــم مــا بيــن بجايــة، وتدلــس؛ وهــو أعصــم معاقلهــم، وأمنــع حصونهــم؛ فلهــم بــه الاعتــزاز عــلى الــدول، والخيــار عليهــا في إعطــاء المغــرم. مــع أن كلهــم لهــذا العهــد قــد امتنــع لسهامــه، واعتــز عــلى السلطــان في أبنــاء طاعتــه، وقانــون مزاجــه))[1].

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 262 ـــ 263.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـــذا مـــا توفـــر لدينـــا مـــن معلومـــات عـــن بـــني **أداس، وبـــني ضـــري.** وبـــقي أمامنـــا الآن الشـــروع في موضـــوع قبائـــل: **بـــني لـــوا** الأكبـــر، ثـــم **بـــني نفـــوس.** وهـــم جميعـــا **أولاد زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.**

É É É

3 ـــ بنـــو لـــوا:

يتفـــرع **أبنـــاء لـــوا الأكبـــر** إلى فرعيـــن كبيريـــن؛ همـــا: **بنـــو نفـــزاو** (نفـــزاوة)، **وبنـــو لـــوا الأصغـــر** (لواتـــة). فالذيـــن حملـــوا نســـب **لـــوا**؛ هـــم أبنـــاء **لـــوا الأصغـــر**؛ الـــذي ســـمي باســـم أبيـــه؛ بعـــد أن مـــات والـــده؛ قبـــل ميـــلاده.

É É É

(1) ـــ نفـــــزاوة:

وهـــم **أبنـــاء يطوفـــت بـــن نفـــزاو بـــن لـــوا الأكبـــر ابـــن زحيـــك.** فلـــوا الأكبـــر، وضـــري أخـــوان؛ وأبوهمـــا هـــو زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.

ولنفـــزاوة بطـــون عديـــدة؛ أهمهـــا: **زاتيمـــَة، وزُهيلـــة، وسوماتـــَة، وغُساســـَة، ومَرنيسَـــة، وورسيـــف،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وولهاصة؛ وغيرهم كثيرون؛ لا حاجة لذكرهم بكاملهم؛ لعدم الفائدة. فأما **زاتيمة** فقد بقي منها ــ في زمن ابن خلدون ــ جماعة بساحل **برشك**. **وزهيلة** وكان منهم ــ في الزمن نفسه ــ بقية بجهات **بادس** (القرية من نكور)؛ اندمجت بقبائل غمارة؛ ومنهم الولي الصالح **الشيخ أبو يعقوب البادسي**. **وسوماتة** بقيت منهم بعض الفئات في جهات **القيروان**. ومن غساسة بقيت جماعة في قرية **بطوية** ؛ على ساحل البحر. أما **مرنيسة** فمتفرقون عبر الأقطار المغربية كلها. أما **ورسيف**. فأهم بطونهم **مكلاتة**؛ وقد تفرعت بدورها إلى أفخاذ عديدة؛ منها: **ديمار**، **وريحون**، **وسراين**، **وكزناية**، **وورياغل**، **ويصلتن**.

أما **ولهاصة**.. فمنها: **ورتدين**، **وورفجومة**. وقد دخلت قبيلة **ورفجومة** تاريخ المغرب الإسلامي من بابه المظلم؛ بسبب ارتكابها مجازر القيروان؛ التي فاقت حدود الوصف؛ من حيث الفساد، والعيث، والمنكر. وكانت ورفجومة صُفْرية المذهب، وتميل أحكام أهلها إلى التطرف الشديد. يأتمرون بأوامر قائدهم، وكاهنهم **عاصم بن جميل**؛ المقيم **بجبل أوراس**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن رجالاتهم الذين قادوا حملة القيروان: **عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم**. وقد بقي من أحياء ورفجومة ــ في عهد ابن خلدون ــ جماعة **بمرمجنة**؛ وثمة قرية في نواحيها تنسب إليهم.

! ! !

ــ ***أعيانهم***: فإذا كانت **ورفجومة** قد ظهرت بذلك الوجه البشع؛ فإن القبيلة الأم **نفزاوة**؛ منحت المغرب الإسلامي، والمسلمين عامة أفضل أبنائها الصالحين؛ من: العلماء، والأدباء، والقادة؛ حماة الوطن، والدين؛ مثل:

ــ **طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الولهاصي النفزي** (تاريخ وفاته غير معروف؛ ويعد من أعلام أواخر القرن الأول للهجرة)؛ وهو القائد الذائع الصيت؛ الذي فتح بلاد الأندلس، ومهد للإسلام طريقا فيها. يكون قد استدعي إلى دار الخلافة بالشام؛ بسبب خلاف نشب بينه وبين موسى بن نصير؛ لم يعد بعده إلى وطنه، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مصيره النهائي. وربما يكون قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعرض لبعض المضايقات، والتجاوزات؛ كما أشار ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة.

- ثم **أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي النفزي التاكرني** المعروف بحمدون (توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م)؛ كان يلقب بالأصمعي؛ لقوة حفظه، وحدة ذكائه. وهو رأس أسرة الزجاليين بقرطبة؛ تلك الأسرة التي نبغ منها: الكتاب، والأدباء، والوزراء. وأورد ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس؛ قصة وصول محمد بن سعيد هذا إلى مرتبة كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووردت القصة نفسها في كتابي: المُغْرِب، ونفح الطيب؛ وهي أنّ الأمير عبد الرحمن كاد يوما أن يسقط عن دابته؛ حين عثرت به؛ فحاول أن يتمثل ببيت شعر؛ لم يتذكر سوى شطر منه؛ إذ قال:

وَمَا لاَ يُرَى مِمَّا يَقِي اللَّهُ أَكْثَرُ

وتعذر عليه تذكر الشطر الآخر؛ فانشغل به؛ ثم سأل المحيطين به عنه؛ فلم يجد ضالته إلاَّ عند الزجالي؛ الذي كان كاتبا لدى وزراء الأمير. فلما مثل أمامه قال: أصلح الله الأمير؛ أول البيت:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تَـرَى الـشَّيْءَ مِمـَّا يُتَّــقى فَتَهَابُــهُ
وَمَا لاَ نَـرَى مِمَّا يَـقِي اللَّــهُ أكْثَـرُ

وكانـت هـذه الحادثـة أول اتصـال مباشـر بينـه وبيـن الأميـر؛ ازداد التحامـا مـع الأيـام؛ حـتى أضـحى كاتبـا لسـره. وقـال فيـه ابـن حيـان القرطـبي: ((**كـان محمـد بـن سعيـد هـذا أحـد عجائـب الدنيـا في قـوة الحفـظ؛ يضـرب بحفظـه الأمثلـة...جـاءه يومـا مستَجْـد توسـل إليـه بشعـر امتدحـه بـه؛ سـأل أن يـأذن لـه في إنشـاده، ففعـل. وجعـل الشاعـر ينشـده لـه...ومحمـد مطـرق؛ فلمـا فـرغ مـن شعـره؛ ذهـب إلى مغالطتـه لـه: "يـا هـذا؛ مـا الـذي دعـاك أن تنتحـل شعـراً لغيـرك؛ فَتقْلِبـه فينـا؛ وكنـت في غـنى عـن ذلـك؟"...فقـال لـه: "سبحـان اللـه يـا سيـدي؛ تقـول ذلـك في شعـر كـددت فيـه خاطـري، وأتعبـت فيـه ذهـني؟ فـلا واللـه مـا أخذتـه مـن أحـد، ولا سَوَّيْتـُـهُ إلا مـن نظـمي". فقـال لـه محمـد: "باطـل؛ إنـه لشعـر قـد رويتـه قديمـاً، وحفظتـه؛ فـإن شئـت فاسمـع إليـه أنْشِدْكـهُ"؛ وبـدأ، فأعـاد الشعـر عليـه، أو أكثـره؛ فبـقي حائـرا؛ لمـا فجـأة بـه؛ قـد زال طمعـه،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانقطعت حجته، واشتدت فجعته. فلما رأى محمد سوء مقامه قال له: "خَفِّضْ عليك؛ فإني مزحت معك؛ وإنك الصَّادق فيما قلت؛ الحقيق بالثواب على ما قرضت؛ وإنما أعانني عليك قوة حفظي؛ الذي ذهبت إلى اختباره معك. ولا والله ما سمعت بهذا الشعر قبل يومي." فَسَرَّى عن الشاعر همَّه، وأجزل صلته))[1]. وذكر المقري خبرا آخر عن الزجالي؛ جاء فيه:[2] ((حضَر مَعَ الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء؛ فعُرض عليهم فرس مطهَّم، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس:

"بَرِيد السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيلِ بَرْبَرَا"

ففهم الزجالي أنّه عرَّض بأنَّه من البربر؛ فلم يحتمل ذلك؛ وأراد الجواب؛ فقال مدبَّجاً لما أراده، ومعرِّضاً: "أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه؛ على مثل هذا يوم؛ على الحال التي قال فيها القائل:

---

[1] المقتبس، ص ص: 35 ــ 36.

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 540.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَيَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْــحِ قصَّــرَ طُولَــهُ
دَمُ الزِّقِّ عَنــَّا وَاصْطِفَــاقِ المَزَاهِــرِ"

وإنَّمـــا عـــرَّض للإسكنـــدراني؛ بأنـــَّه كـــان يشهـــد مجالـــس الراحـــات في أول أمـــره، ومعرفـــة الغنـــاء؛ فقلـــق الوزيـــر، وشكـــاه إلى الحاجـــب عيـــسى ابـــن شُهَيْـــد... فحـــكى لـــه الزجـــالي مـــا جـــرى... وأنشـــد:

"وَمَا الحُرُّ إلاَّ مَنْ يَدِينُ بمِثْـــلِ مَـــا
يُـــدَانُ وَمَنْ يُخْـــفِي القَبِيحَ وَيُنْصِفُ"
هُمُ شَرَعُوا التَّعْرِيضَ قذْفاً فَعِنْدَمَـــا
تَبِعْنَـــاهُمُ لاَمُـــوا عَلَيْـــهِ وَعَنَّفُـــوا")).

ـــ ثـــم ولـــده **عبـــد اللـــه بـــن محمـــد بـــن سعيـــد**؛ ولي في منصـــب أبيـــه بعـــد وفاتـــه؛ ولكنـــه تـــوفي بعـــد ستـــة أشهـــر.

ـــ ثـــم ولـــده الثـــاني **حامـــد بـــن محمـــد بـــن سعيـــد** (ت: سنـــة 268هــ/881م)؛ قـــال عنـــه ابـــن حيـــان:[1]

((وأعقـــب ابنـــا نجيبـــا يســـمى حامـــد بـــن محمـــد، ورث مكانـــه في الأدب، والمعرفـــة، والكتابـــة، والبلاغـــة؛ فسلـــك سبيلـــه في خدمـــة السلطـــان،

---

[1] المقتبـــس، ص ص: 36 ـــ 37.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وارتقى فوق ذروة أبيه بخطة الوزارة؛ بحضرة الأمير محمد بن عبد الرحمن... ومن نوادر حامد بن محمد الزجالي:... غلط إِمَامُ الوزيرِ حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته... وحامد حاضر؛ فقرأ مكان قوله تعالى: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " فقرأ: "... فانكحوهما"؛ فلما انصرف حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه: "أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل حدودنا؟" وتضاحكا؛ فقال له حامد: "فقد سنحت لي فيه بديهة فاسمعها؛ وأنشده:

أَبْدَعَ القَارِئُ مَعْنىً لَمْ يَكُنْ فِي الثقَلَيْنْ
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ")).

وقد بقيت أسرة الزجالي تحتل خططا عديدة في الدولة؛ منها المتوسطة الحال، ومنها الخطط السامية؛ ككتابة السر، والوزارة؛ إذ يلاحظ أنهما أُسْنِدَتا إلى:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد** (ت: سنة 302هـ/914م).

ـ ثم **أبي بكر عبيد الله بن عبد الله الزجالي** (ت: سنة 375هـ/985م).

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي** (كان حيا سنة 307هـ/919م)؛ الذي تولى خزانة المال كذلك.

ـ ثم أخوه **عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي** (كان حيا سنة 316هـ/928م)؛ الذي أسندت إليه خزانة المال، وخطة العرض.

ـ ومن نفزاوة أيضا: **فضل الله بن سعيد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي** (توفي حوالي 335هـ/946م)؛ وهو فقيه، ولي قضاء فحص البلوط بالأندلس؛ وهو أخو قاضي الجماعة بقرطبة؛ منذر بن سعيد.

ـ ثم **أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي البلوطي** (ت: سنة 355هـ/946م)؛ وهو قاضي الجماعة بقرطبة؛ كان خطيبا مصقعا، وعالما مستبحرا، وفقيها مدققا، وأديبا بليغا؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وكتب أخرى في الفقه، وعلم الكلام؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الرد على أهل المذاهب. قال عنه الضبي: ((ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالما، فقيها، وأديبا بليغا، وخطيبا على المنابر، وفي المحافل مصقعا؛ وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأسماع، وبهر القلوب؛ وذلك أن الحكم المستنصر كان مشغوفا بأبي علي القالي؛ يؤهله لكل مهم في بابه؛ فلما ورد رسول ملك الروم؛ أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيبا؛ بما كانت العادة جارية به؛ فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل؛ جبن، ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه؛ وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد؛ فوثب، وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هَذَا المَقَالُ الَّذي مَا عَابَهُ فَنَدٌ
لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ البَلَدُ
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيباً كُنْت مُطَّرَفاً
لَكِنَّنِي مِنْهُم فَاغْتَالَنِي النَّكَدُ
لَوْلاَ الخِلاَفَة أَبْقَى اللَّهُ بَهْجَتَها
مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاتفق الجمع على استحسانه... ومن مصنفاته: كتاب الإفتاء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة... ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر؛ وله معه حكاية مشهورة؛ وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء؛ فأملا أبو جعفر – في جملة ما أملى – قول الشاعر[مجنون ليلى]:

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تَبْكِي عَلَى لَيْلَى لَعَلِّي أُعِينُهَا
قَدْ اسْلَمَهَا البَاكُونَ إلاَّ حَمَامَةٌ
مُطوَّقَةٌ بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاذِبُهَا أخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ
يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فقال له منذر بن سعيد: "أيها الشيخ أعزك الله؛ باتا يصنعان ماذا"؟ فقال أبو جعفر: "فكيف تقول أنت"؟ فقال له منذر: "بانت وبان قرينها"؛ واستبان أبو جعفر ما قال؛ فقال له: "ارتفع"؛ ولم يزل يرفعه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حـــتى أدنـــاه منــه))[1]. ومـــن شعـــره الـــذي ورد في نفـــح الطيــــب:

المَـــوْتُ حَـــوضٌ وَكُلُّنَـــا نَـــرِدُ
لَمْ يَنْــجُ مِمَّــا يَخَافُــهُ أحَــدُ

فَلا تَكُـــنْ مُغْرَماً بِـــرِزْقِ غَـــدٍ
فَلَسْـــتَ تَـــدْرِي بِمَا يَـــجِئُ غَـــدُ

وَخُذْ مِنَ الدَّهْـــرِ مَا أتَاكَ بِـــهِ
وَيسْلَـــمُ الرُّوحُ مِنْـــكَ وَالجَسَـــدُ

وَالخَيْـــرُ وَالشَرُّ لاَ تُذِعْهُ فَمَـــا
فِي النَّـــاسِ إلاَّ التَّشْنِيـــعُ وَالحَسَـــدُ

وأرســـل إليـــه بعـــض الأدبـــاء:

مَسْأَلَـــة جِئْتُـــكَ مُسْتَفْتِيـــاً
عَنْهَـــا، وَأنْـــتَ العَالِمُ المُسْتَشَـــارْ

عَلاَمَ تَحْمَـــرُّ وُجُـــوهُ الظِّبَـــا
وَأوْجُـــهُ العُشَّاقِ فيهَـــا اصْفِـــرَارْ

فأجابـــه منـــذر بـــن سعيـــــد بقولـــه:

احْمَـــرَّ وَجْـــهُ الظَّـــبْيِ إذْ لَحْظُـــهُ
سَيْـــفٌ عَلَى العُشَّاقِ فِيهِ احْـــوِرَارْ

---
[1] بغيـــة الملتمـــس، ص ص: 451 ـــ 452.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَاصْفَــرَّ وَجْهُ الصَّــبِّ لَمَّا نَــأى
وَالشَّــمْسُ تُبْقي لِلْمَغِيبِ اصْفِــرَارْ

ـ ثــم **أبــو محمــد عبــد اللــه بــن عبــد الرحمــن أبي زيــد النفــزي القيــرواني** (تــوفي بالقيــروان سنــة 386هــ/996م)؛ إمــام فقهــاء المذهــب المالــكي في عصــره؛ إذ كــان يلقــب بقطــب المذهــب، وبمالــك الأصغــر؛ وعمــل عــلى تبسيــط أصــول الفقــه، والســعي إلى توضيحــه؛ قــال عنــه القــاضي عيــاض: ((**مــلأ البــلاد مــن تواليفــه**))؛ وقــال فيــه ابــن خلــدون: ((**وجمــع ابــن أبي زيــد جميــع مــا في الأمهــات مــن: المسائــل، والخــلاف، والأقــوال في كتــاب النــوادر؛ فاشتمــل عــلى جميــع أقــوال المذهــب، وفــرَّع الأمهــت كلهــا في هــذا الكتــاب**))[1]. أمــا ابــن فرحــون؛ فقــال: ((**واســم أبي زيــد** [والــده] **عبــد الرحمــن، نفــزي النســب، سكــن القيــروان؛ وكــان إمــام المالكيــة في وقتــه... وكــان واســع العلــم، كثيــر الحفــظ، واالروايــة ــ وكتبــه تشهــد عــلى ذلــك ــ فصيــح القلــم، ذا بيــان ومعرفــة بمــا يقــول... يقــول الشعــر، ويجيــده... وهــو الــذي لخــص المذهــب، وضــمَّ**

---

[1] المقدمــة، ج: 3، ص ص: 1158 ــــ 1159.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نشره، وذبَّ عنه؛ وملأت البلد تآليفه... له كتاب النوادر والزيادات على المدونة؛ مشهور؛ أزيد من مائة جزء، وكتاب مختصر المدونة؛ مشهور أيضا؛ وعلى كتابيه هذين المعول في التفقه))[2]. ولأبي زيد مؤلفات كثيرة؛ نذكر منها بالإضافة إلى ما سبق: كتاب تهذيب العتبية، وكتاب الإقتداء بأهل المدينة، وكتاب الذبِّ عن مذهب مالك، وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين، ومسألة الحُبُس على أولاد الأعيان، وكتاب تفسير أوقات الصلوات، وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله، وكتاب المعرفة واليقين، وكتاب المضمون من الرزق، وكتاب المناسك، ورسالة فيمن يأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة، وكتاب ردِّ السائل، وكتاب حماية عرض المؤمن، وكتاب البيان عن إعجاز القرآن، وكتاب الوسواس، ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة، ورسالة النهي عن الجدل، ورسالة في الرد على القدرية، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي، وكتاب الاستظهار في الرد على الفكرية، وكتاب كشف التلبيس، ورسالة الموعظة والنصيحة،

---

[2] **الديباج المذهب، ج: 1، ص ص: 427 ـــ 429.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسالة طلب العلم، وكتاب فضل قيام رمضان، ورسالة الوعظة الحسنة لأهل الصدق، ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن، ورسالة في أصول التوحيد، وكتاب الرسالة الشهير؛ الذي يلخص المذهب السني، وكافة الفروض بأسلوب رائق بديع؛ وقد اهتم المختصون، والعامة بهذا الكتاب الصغير؛ حتى أنه حظي بشروح كثيرة تجاوزت المائة شرح؛ كما تناوله آخرون بالترجمة إلى أكثر من لغة أجنبية.

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن مُنَحل النفزي الشاطبي** (ت: سنة 456هـ/1063م)؛ فقيه، وخطيب؛ من أصحاب عمر بن عبد البر.

ــ ثم **أبو بكر محمد بن حبيب النفزي**؛ خطيب، ومقرئ، ومُجَوِّد.

ــ ثم **زينب بنت إسحاق النفزاوية**؛ زوجة يوسف بن تاشفين (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ تزوجها ــ في البداية ــ أبو بكر بن عمر؛ أمير لمتونة؛ ثم طلقها حين قرر العودة إلى الصحراء، وأوصى ابن عمه يوسف بن تاشفين بالزواج منها؛ بعد عدتها. وعلى خلاف ما ذكره بقية المؤرخين؛ فقد نسبها صاحب الأنيس المطرب إلى هوارة، وقال أن اسم أبيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو إسحاق الهواري؛ تاجر من القيروان؛ ثم قال عنها: **((وكانت امرأة حازمة، لبيبة؛ ذات رأي، وعقل، وجزالة، ومعرفة بالأمور؛ حتى كان يقال لها ساحرة. فأقام الأمير أبو بكر بأغمات من ثلاثة أشهر إلى أن قدم عليه رسول من بلاد القبلة؛ فأخبره باختلال الصحراء... فلما عزم على الخروج للصحراء طلق زوجته زينب... فتزوج يوسف ابن تاشفين زينب المذكورة؛ فكانت القائمة بملكه، المدبرة لأمره، والفاتحة ــ بحسن سياستها ــ أكثر بلاد المغرب))**[1]. أما ابن عذاري فذكر ما أحيك حولها من أساطير؛ وقال: **((استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر... وكان مستوطنا بمدينة أغمات؛ وكانت بها امرأة جميلة؛ تعرف بزينب النفزاوية؛ وقد شاع ذكرها، وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها؛ فكان يخطبها أشياخهم، وأمراؤهم؛ فتمتنع لهم، وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله"؛ فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة، غريبة؛ كمثل أخبار الكهنة؛ فبعض يقولون: أن الجن يكلمها،**

---

[1] ص ص: 85 ــ 86.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعض يقولون: هي ساحرة، وبعض يقولون: كاهنة. فأعلم بجمالها الأمير أبي بكر بن عمر؛ فخطبها، وتزوجها... وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال، والمال؛ وكان لها محاسن، وخصال محمودة، وروية مستطرفة... وكان أبو بكر بن عمر لما عزم على حركته... طلقها؛ فذكروا أنه قال لابن عمه يوسف ابن تاشفين: "تزوجها فإنها امرأة مسعودة"... وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية... فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة؛ فأركب الرجال الكثيرة... بنفسه، وبتدبير زوجه زينب... اتصل الخبر بالأمير يوسف؛ أن ابن عمه الأمير أبا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء إلى بلاد المغرب؛ فاغتم لذلك غما شديدا... وصعب عليه مفارقة الملك؛ بعد أن ذاق حلاوته... فعرفت زينب ذلك في وجهه؛ فقالت له: "أراك مهموما، مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه؛ والله لا ذاق أبو بكر طعمها أبدا؛ فطب نفسا، وقر عينا... إذا قدم عليك، وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه؛ ولكن بادره بهدية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جليلة... فلا يقاتلك على الدنيا؛ فإن الرجل خير؛ لا يستحل سفك دماء"... فقال لها: "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبدا"... كان وصول الأمير أبو بكر ابن عمر من صحرائه إلى مراكش؛ فوجد يوسف قد استبد بالمملكة... فعلم أنه مغلوب عليه، وعزم على تسليم الأمر إليه... فكان هذا التدبير برأي زينب النفزاوية زوجته؛ فهي التي جسرته على ذلك كله؛ حتى ملك المغرب))[1]. أما ابن خلدون فيقول أن زينب النفزاوية كانت في البداية زوجة ليوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن واطاس: **((وكان شيخا على وريكة، وهزرجة؛ بزمن هيلانة؛ في دولة أمغارن؛ في بلاد المصامدة؛ وهم الشيوخ. وتغلب بنو يفرن على وريكة، وملكوا أغمات؛ فتزوج لقوط زينب هذه، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر))**[2]. كان ذلك عندما تغلب على أغمات، واستولى على ملك لقوط، وبعد قتله؛ **((وكانت... من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال،**

---

[1] البيان المغرب، ص ص: 18 ـــ 25.

[2] ، العبر مج: 6، ص: 376.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والرياسة)). ولما عزم أبو بكر على العودة إلى الصحراء؛ أناب عنه في الحكم ابن عمه يوسف بن تاشفين؛ ونزل له عن زوجته زينب أيضا **((فكان لها في سياسة أمره، وسلطانه؛ وما أشارت عليه عند مرجع أبي بكر من الصحراء؛ في إظهار الاستبداد؛ حتى تجافى عن منازعته، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه)).**

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي الرندي** (توفي بأغمات سنة 514هـ/1120م)؛ فقيه، ومحدث، ومدرس.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المالقي** المعروف بابن أخت غانم (ت: سنة 525هـ/1130م)؛ فقيه، ومقرئ، ومحدث، وأديب، ونحوي؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ فقال فيه **((وكان شيخا مسنا من شيوخ أهل الأدب، والنحو، والرواية، وجمع الكتب؛ أخذ عنه الناس هذين العلمين كثيرا، ودرسهما عمره بغير أجر. وسمع منه كتب الحديث، والغريب، وحمل عنه جملة من المشائخ، والنبلاء؛ لعلو سنده، ومعرفته))**[1].

[1] القاضي عياض اليحصبي؛ الغنية، ص: 127.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد النفزي المرسي**(ت: سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض.

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (توفي بقرطبة سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (ت: سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه؛ ألف كتاب التفتل في العبادات.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ فقيه من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي** المعروف بابن بركة (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه، ومحدث، وحافظ للمسائل؛ من القادرين على الفتوى؛ ولي في بلده شاطبة خطة الشورى، وترأسها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي البيزاني الداني** (ت: سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

564هـ/1168م)؛ من الملمين بالقراءات، وتصدر للإقراء عملا، وتدريسا؛ وكان من المحققين في القراءات، ومن المجودين الضابطين؛ وله مشاركة في الآداب، والأخبار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل بن ياسين النفزي الشاطبي** (ت: سنة 590هـ/1193م)؛ وهو من الفقهاء، والأدباء، وله إلمام بقرض الشعر.

ـ ثم **دحمان بن مالك بن عثمان النفزي الترجيلي**؛ من العلماء، والزهاد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّأيُه؛ تصدر للإقراء في بلده شاطبة؛ قال فيه ابن الأبار **((وكان من أهل الدين، والفضل، والمعرفة بالقراءات))**[1].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خنسوس النفزي**؛ فقيه ومؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة؛ كان عارفا بالأوقات، مدركا للأحكام الفقهية، عدلا.

---

[1] **التكملة، ج: 1، ص: 450.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم أبـو جعفـر **أحمـد بـن محمـد بـن علـي ابـن محمـد بـن أبي العـاصي النفـزي الشاطـبي** المعـروف بابـن اللَّأيـُه؛ مـن الملميـن بالقـراءات؛ قـال عنـه ابـن الأبـار: **((وكـان متقدمـا في صناعتـه؛ معروفـا بالضبـط، والتجويـد. كـان أبـوه أيضـا كذلـك))**[2].

ـ ثـم أبـو عمـر **أحمـد بـن هـارون بـن أحمـد ابـن جعفـر بـن عـات النفـزي الشاطـبي** (فقـد في ساحـة الجهـاد بوقعـة العقـاب ولـم يظهـر منـذ عـام 609هـ/1212م)؛ قـال عنـه ابـن الأبـار: **((وكـان أحـد الحفـاظ للحديـث، يسـرد المتـون، والأسانيـد ظاهـرا؛ لا يخـل بحفـظ شئ منهـا. موصـوف الدرايـة، والروايـة؛ غالبـا عليـه الـورع، والزهـد؛ علـى منهـاج السلـف؛ يأكـل الجَشِـب، ويلبـس الخشـن؛ وربمـا أذن في المساجـد؛ ولـه تآليـف دالـة علـى سعـة حفظـه؛ مـع النظـم، والنثـر))**[1]. لـه برنامجـان؛ عنـوان أحدهمـا: التزهـة في التعريـف بشيـوخ الوجهـة؛ وهـو كتـاب جامـع، وقيـم؛ أمـا الثـاني فهـو بعنـوان: ريحانـة التنفـس وراحـة الأنفـس في ذكـر شيـوخ الأندلـس.

---

[2] التكملـة، ج: 1، ص: 75.

[1] نفسه، ص: 101.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي** (كان حيا سنة 613هـ)؛ فقيه، من الحفاظ؛ رحل إلى بغداد، ثم شيراز؛ حيث أقام بها.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن علي بن أحمد ابن سليمان النفزي الإسْطَبي** (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه؛ من الملمين بمذهب مالك؛ يحسن الاستنباط في النوازل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن قَبُّوج** (ت: سنة 616هـ1219م)؛ فقيه، حافظ للمسائل، وللرأي، من أهل الثقة، والعدل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني**؛ فقيه، ومحدث، وقاضي.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي**؛ من رجال القراءات.

ـ ثم **أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي** (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ من المقرئين بالسبع.

ـ ثم **أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبراهيم بن خليل النفزي التاكرني (توفي بديار بكر سنة 629هـ/1231م)؛ أديب؛ له شعر حسن؛ منه:

إنْ أودَعَ الطِّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
أبْدَى لِعَيْنَيْك أزْهَاراً وَأشْجَارَا
وَإنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أوْ يَعِدْ كَرَماً
بَثَّ البَرِيَّة آجَالاً وَأعْمَارَا

ويقول أيضا:

أوْصَيْتُ قَلْبي أنْ يَفِرَّ عَنِ الصِّبَا
ظَنَّا بأنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
فَأجَابَنِي لاَ تَخْشَ مِنِّي بَعْدَمَا
أفْلَتَّ مِنْ شَرَكِ الغَرَامِ وُقوعَا
حَتَّى إذَا نَادَى الحَبِيبُ رَأيْتَهُ
آوَى إلَيْهِ مُلَبِّياً وَمُطِيعَا
كَذُبَالَةٍ أخْمَدَتْهَا فَإذا دَنَا
مِنْهَا الضِّرَامُ تعَلَّقَتْهُ سَرِيعَا

ـ ثم **أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي الشاطبي** المعروف بابن قَبُّوج (توفي ببجاية سنة 642هـ/1244م)؛ وهو من الفقهاء، والمحدثين، والحفاظ؛ له مشاركة في الآداب، وله في شبابه أشعار جيدة؛ ثم تنزه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن نظمه؛ مال في الأخير إلى الاعتزال، والزهد، والعبادة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي** (ولد بجيان سنة 562هـ/1166م)؛ فقيه، حافظ، ومن الملمين بعلوم: اللغة، والنحو، وفنون: الأدب، والشعر؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: كتاب مواهب العقول وحقائق النقول، وكتاب الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة، وكتاب الجمع، وكتاب الرحلة الممنوعة، وكتاب الوسائل في الفقه والمسائل؛ ومن هذه المصنفات ما هو في باب التصوف، وغيره؛ كما أن له أشعارا حسنة. ذكره ابن الخطيب بقوله: **((خاتمة الرحال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات... وكان فقيها حافظا، ذاكرا للغة والأدب، نحويا ماهرا، درس ذلك كله أول أمره؛ كريم الأخلاق؛ غلب عليه التصوف فشهر به... له أشعار في التصوف بارعة))**[1]. من ذلك قوله:

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص ص: 367 ــ 369.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَضيـــقُ عَليَّ مِنْ وَجْدي الفَضـــاء
وَيُقْلِقُـــني مِـــنَ النَّـــاسِ العَنَـــــاء
وَأرْضُ اللَّـــهِ وَاسِعَـــة وَلَكِـــــنْ
أبَـــتْ نَفْـــسي تُحِيـــطُ بِهَا السَّمَـــاء
رَأيْنَـــا العَـــرْشَ وَالكُـــرْسِيَّ أعْـــلاَ
فَوَالَيْنَاهُمَـــــا حَـــــرَمَ الـــــوَلاء
فَأيْـــنَ الأيْـــنُ مِنَّـــا أوْ زَمَـــانٌ
بِحَيْـــثُ لَنَـــا عَلى الكُـــلِّ اسْتِـــوَاء
شَهِدْنَـــا لِلإلَـــهِ بِكُـــلِّ حُكْـــم
فَغَـــابَ القَلْـــبُ وَانْكَشَـــفَ الغِطَـــاء
وَيَدْعُـــونِي الإلَـــهُ إلَيْـــهِ حَقـــاً
فَيُؤْنِسُـــنِي مِـــنَ الخَـــوْفِ الرَّجَـــاء
وَيُقْبِضُـــنِي وَيُبْسِطُـــنِي وَيَقْـــضِي
بِتَفْرِيـــقِي وَجَمْـــعِي مَـــا يَشَـــاء
وَيَـــعِي فِي وُجُودِ الخَلْـــقِ نَحْـــواً
يُنْعَـــتُ مَـــنْ تَـــوَلاَّهُ الفَنَـــاء
فَكَمْ أخْفِي وُجُودِي وَقْتَ فَقْـــدِي
كَـــأنَّ الفَقْـــدَ وَالإحْيَـــا سَـــوَاء
فَسُكْـــرٌ ثُم صَحْـــوٌ ثُم سُكْـــرٌ
كَـــذَاكَ الدَّهْـــرُ لَيْـــسَ لَهُ انْقِضَـــاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَوَصْـــفِي حَالَ مِنْ وَصْفِي وَلَكِــن
ظُهُـــورُ الحَـــقِّ لَيْـــسَ لَـــهُ خَفَـــــاء
إذَا شَمْـــسُ النَّهَـــارِ بَدَتْ تَوَلَّـــتْ
نُجُـــومُ الليْـــلِ لَيْـــسَ لَهَـــا انْجـــلاء

ومـــن شعـــره الـــذي نـــال شهـــرة كبيـــرة:
يَـــا مَنْ أنَامِلُـــهُ كَالْمُـــزْنِ هَامِيَـــة
وَجُودُ كَفَّيْـــهِ أجْـــرَى مَنْ مجَارِيهَـــا
سَفِينَة الفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَـــتْ
فامْنُـــنْ عَليَّ بريـــحٍ مِنْـــكَ تجْرِيهَـــا
بِحَقِّ مَنْ خَلقَ الإنْسَـــانَ مِنْ عَلَـــق
أنْظُـــرْ إلَى رُقعْـــتِي وَافْهَـــمْ مَعَانِيهَـــا
إنِّي فَقِيـــرٌ وَمِسْكِيـــنٌ بلا سَبَـــب
سِوَى حُـــرُوفٍ مِنَ القُـــرْآنِ أتْلوُهَـــا
لا يَعْـــرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِـــدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَـــــة إلاَّ مَـــنْ يُعَانِيهَـــــا

ــ ثـــم **أبـــو إبراهيـــم إسحـــاق بـــن يحيـــى بـــن مطـــر الورياغـــلي** المعـــروف بالأعـــرج؛ وورياغـــل فخـــذ مـــن نفـــزة؛ (تـــوفي بفـــاس سنـــة 683هـــ/1284م)؛ فقيـــه ألـــف التعليقـــات عـــلى المدونـــة؛ سماهـــا: الطـــرَّر.
ــ ثـــم **أبـــو الطيـــب صالـــح بـــن يزيـــد بـــن صالـــح ابـــن مـــوسى بـــن أبي القاســـم بـــن عـــلي بـــن**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شريف النفزي الرندي (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأديب، وشاعر مجيد؛ في أغراض: الغزل، والمدح، والزهد؛ له إلمام بالحساب، والفرائض؛ وله فيهما بعض المنظومات؛ ومما كتبه عنه ابن الخطيب؛ عن آخرين؛ أنه: ((**كان خاتمة الأدباء بالأندلس؛ بارع التصرف في منظوم الكلام، ومنثوره؛ فقيها، حافظا، فرضيا، متفننا في معارف شتى**))[1]. له مؤلفات؛ منها: جزء في حديث جبريل، وكتاب في الفرائض، وكتاب في العروض، وكتاب في صنعة الشعر بعنوان: الوافي في نظم القوافي، وكتاب كبير في تاريخ الأدب بعنوان: روضة الأنس ونزهة النفس؛ ومما قاله في أشعاره:

بَرَزَتْ مِنَ الحَمَّامِ تَمْسَحُ وَجْهَهَا
عَنْ مِثْلِ مَاءِ الوَرْدِ بِالعُنَّابِ
وَالمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا
كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ
فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ المُنِيرَةُ فِي الضُّحَى
طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابِ

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 360.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـــن مطولاتـــه الـــتي أجـــاد فيهـــا:

وَغَانِيَـــة يُغْني عَنِ العُـــودِ صَوْتُهَـــا
وَجَارِيَـــة تَسْـــقِي وَسَاقِيَـــة تَجْـــرِي
بِحَيْثُ يَجُـــرُّ النَّهْرَ ذَيـــْل مَجَـــرَّةٍ
يرُفُّ عَلَى حَافاتِهَـــا الزَّهْـــرُ كَالزَّهْـــرِ
وَقَدْ هَزَّت الأرْوَاح خِصْر كَتَايِـــب
بألْوِيَـــةٍ بيـــض عَـــلَى أسَـــلٍ سُمْـــرِ
رَمَى قُزَحٌ نبْـــلاً إلَيْهَـــا فَجُـــرِّدَتْ
سُيُـــوفٌ سَوَاقِيهَـــا عَلى دَارِعِ النَّهْـــرِ

ويصـــف رمانـــة بقـــولـــه:

لِلَّـــهِ رُمَّانَـــة قَدْ رَاقَ مَنْظَرُهَـــا
فَمِثْلُهَـــا بِبَدِيـــعِ الحُسْـــنِ مَنْعُـــوت
القِشْرُ حَقٌّ لَهَا قَدْ ضَمَّ دَاخِلَـــهُ
وَالشَّحْـــمُ قُطْـــنٌ وَالحَـــبُّ يَاقُـــوت
أنْظرْ إلى جِذْرٍ فِي اللوْنِ مُخْتَلِفٌ
البَعْـــضُ مِنْ سَجٍّ وَالبَعْضُ مِنْ ذَهَـــب

ويصـــف القلـــم بقولـــه:

وَأصْفَـــرُ كَالصَّـــبِّ فِي رَوْنَـــق
تَظُـــنُّ بِهِ الحُـــبَّ مِمَّـــنْ نَحَـــل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بَـــدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَـــاتِ
يَطُـــولُ الرِّمَـــاحَ وَإنْ لَمْ يَطُـــل
يُعَبِّـــرُ عَمَّـــا وَرَاءَ الضَّمِيـــــر
وَيَفْعَـــلُ فِعْـــلَ الظُّبَـــا وَالذُّبَـــل

ويقـــول في وصـــف البحـــر:
البَحْـــرُ أعْظَـــمُ مِمَّا أنْتَ تَحْسَبُـــهُ
مَنْ لَمْ يَـــرَ البَحْرَ يَوْماً مَا رَأى عَجَبَـــا
طَـــامٍ لَـــهُ حَبَبٌ طَافٍ عَلى زَوْرَق
مِثْـــلُ السَّمَاءِ إذَا مَـــاً مُلِئَـــتْ شُهُبَـــا

وفي وصـــف النهـــر يقـــول:
وَأزْرَق مَحْفُـــوفٌ بزَهْـــر كَأنَّـــهُ
نُجُـــومٌ بأَكْنَـــافِ المَجَـــرَّةِ تَزْهَـــرُ
يَسِيلُ عَلى مِثْلِ الجُمَانِ مُسَلسَـــلاً
كَمَا سُلَّ عَنْ غِمْدٍ حُسَامٌ مُجَوْهَـــرُ
وقَدْ صَافَحَ الأدْوَاحَ مِنْ صَفَحَاتِـــهِ
حَـــتَّ حُبَـــاب بالنَّسِيـــمِ مُكَسَّـــرُ
فَمَا كَانَ فِي عَطْفِ الخَلِيجِ قُلاَمَـــةً
وَمَا كَانَ فِي وَجْهِ الغَدِيـــرِ فَمُغْفَـــرُ
ويقـــول في العقـــل والغربـــة:
مَـــا أحْسَـــنَ العَقْـــلَ وَآثَـــارَهُ
لَـــوْ لازَمَ الإنْسَـــان إيْثَـــاره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَصُـــونُ بِالعَقْلِ الفَـــتىَ نَفْسَـــهُ
كَمَـــا يَصُـــونُ الحُـــرّ أسْـــرَاره
لا سِيَّمَـــا إنْ كَانَ فِي غُرْبَـــةٍ
يَحْتَـــاجُ أنْ يعْـــرفُ مِقْـــــدَاره

ويصـــف الجيـــش بقولـــه:
وَكَتِيبَـــة بِالدَّارِعِيـــنَ كَثِيفَـــة
جَـــرَّتْ ذُيُـــولَ الجَحْفَلِ الجَـــرَارِ
رَوْضُ المَنَايَا بَيْنَهَا القُضُبُ الـــتي
زُفَّـــتْ بهـــَا الرَّايَات كَالأزْهَـــارِ
فِيهَا الكُمَاة بَنُو الكُمَاةِ كَأنَّهُـــمْ
أسْـــدُ الشَّـــرَى بَيْنَ القَنَا الخَطـــَّارِ
مُتَهَلِّلِيـــنَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأنَّهُـــمْ
خُلِقَـــتْ وُجُوهُهُـــمْ مِنَ الأقْمَـــارِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْق خَاطِفٍ
بِيَمِينِـــهِ قَـــدَرٌ مِـــنَ الأقْـــــدَارِ

ـ ثـم **أبـو جعفـر أحمـد بـن أبي القاسـم بـن يحـيى بـن وداعـة النفـزي الرنـدي** (ت: سنـة 738هـ/1337م)؛ كـان مـن رجـال الديـن ذوي الفضـل؛ قـام بتصنيـف كتـاب لـم يسبقـه إليـه أحـد؛ إذ جمـع فيـه أربعيـن حديثـا عـن أربعيـن امـرأة مـن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحابة، وله كتاب آخر سماه: الضاحي في حكم الأضاحي.

ـ ثم **أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي** (توفي بمصر سنة 745هـ/1344م)؛ فقيه، ومن أئمة النحو، واللغة العربية؛ وصفه ابن الخطيب بقوله: **((كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، والحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية؛ إمام النحاة في زمانه غير مدافع؛ نشأ ببلده غرناطة؛ مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. نالته نُبُوَّة لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر؛ فنال ما شاء من عز، وشهرة، وتأثُّلٍ، وبر، وحُظْوة؛ وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ، وعدة... شاعرا مُكْثرا))**[1]. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: البحر المحيط؛ وهو في تفسير القرآن الكريم؛ جزأه إلى ثماني مجلدات، ولآلئ النهر المستخرجة من البحر؛ وبه اختصر البحر المحيط، والوهاج على مذهب الشافعي، وتحفة الأريب؛ في غريب القرآن، والأنوار الأجلى في

---

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 43.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختصار المحلى؛ على مذهب أبي داود، والتكميل في شرح التسهيل، ومنهج السالك على ألفية ابن مالك؛ لم يتم، والإدراك للسان الأتراك؛ وهو في قواعد ونحو الترك، والإسفار الملخص في شرح سيبويه للصفار، والمبدع في التصريف، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وعقود اللآلي في القراءات السبع العوالي، والمورد الغَمر في قراءة أبي عمرو، والأثير في قراءة ابن كثير، وغاية المطلوب في قراءة أبي يعقوب، والحلل الحالية في الأسانيد العالية، والأمالي في شرح القالي، وكتاب النكت الحسان، في شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وارتشاف الضَّرَب في معرفة كلام العرب، واختصار بداية المجتهد، وتقريب التقريب والتدريب، والتنخيل في شرح التسهيل، ورشح النفع في القراءات السبع واللمحة البدرية في علم العربية؛ قام بشرحها ابن هشام، وديوان شعر في ثلاث مجلدات، وكتاب في التاريخ؛ ومن شعره الطويل، والقصير؛ وفيه جودة؛ فمن مطوَّلاته:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاَ تَعْذِلاَهُ فَمَا ذُو الحُبِّ مَعْذولُ
العَقْلُ مُخْتَبَلٌ وَالقَلْبُ مَتْبُولُ

هَزَّتْ لَهُ أسْمَراً مِنْ خُوطِ قامَتِهَا
فَمَا انْثَنَى لِلصَّب إلاَّ وَهْوَ مَقْتُولُ

جَمِيلَةَ فَصَّلَ الحُسْنُ البَدِيعُ لَهَا
فَكَمْ لَهَا جُمَلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ

فالنَّحْرُ مَرْمَرُهُ وَالنَّشْرُ عَنْبَرُهُ
وَالثَّغْرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيقُ مَعْسُولُ

وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالعَرْفُ ذُو أرَجٍ
وَالخَصْرُ مُخْتَطفٌ وَالعُنْقُ مَجْدُولُ

ويقول في منظومة طويلة تدعوا إلى العلم، والنحو منه بالخصوص:

هُوَ العِلْمُ لاَ كَالعِلْمِ شَيْءٌ تُرَاوِدُه
لَقَدْ فَازَ بَاغِيهِ وأنْجَحَ قَاصِدُه

وَمَا فَضُلَ الإنْسَانُ إلاَّ بِعِلْمِهِ
وَمَا امْتَازَ إلاَّ ثَاقِبُ الذِّهْنِ واقِدُه

وَقَدْ قَصُرَتْ أعْمارُنَا وعُلُومُنَا
يَطُولُ عَلَيْنا حَصْرُهَا وَنُكَابِدُه

وَفي كُلِّهَا خَيْرٌ ولَكِنَّ أصْلَهَا
هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولٍ يُعانِدُه

بِهِ يُعْرَفُ القُرْآنُ والسُّنَّة التِي هُمَا
أصْلُ ذَا الدِّينِ الذي أنْتَ عَابِدُه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أن يقـــول:

وَالآنَ فَلاَ شَخْصٌ عَلَى الأرْضِ قارِئٌ
كِتَـــابَ أبي بِشْــــرٍ ولاَ هُـــوَ رَايِـــدُه

سِـــوَى مَعْشَرٍ بالغَرْبِ فيهِمْ تَلَفُّـــتٌ
إِلَيْـــهِ وشَـــوْقٌ لَيْسَ يَخْبُـــو مَواقِـــدُه

ومَـــا زَالَ مِنَّـــا أهْلُ أنْدَلُسٍ لَـــهُ
جَهَابِـــذُ تُبْـــدِي فَضْلَـــهُ وتُناجِـــدُه

وإنِّيَ فِي مِصْرَ عَلَى ضُعْـــفِ نَاصِرِي
لَناصِـــرُهُ مَـــا دُمْـــتُ حَيًّا وعَاضِـــدُه

ثـــم يقـــول:

مُنِينَـــا بِقَوْمٍ صُـــدِّرُوا في مَجَالِـــسٍ
لإقْـــرَاءِ عِلْـــمٍ ضَلَّ عَنْهُـــمْ مَرَاشِـــدُه

لَقَدْ أخِّرَ التَّصْدِيـــرُ عَنْ مُسْتَحَقِّـــهِ
وقُدِّمَ غَمْـــرٌ خَامِدُ الذِّهْـــنِ جَامِـــدُه

ثـــم يقـــول:

أقَمْنا بِمِصْرَ عِشْرِينَ حِجَّةٍ يُشَاهِدُنَا
ذُو أمْرِهِـــــمْ ونُشَاهِـــــدُه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَلَمَّا نَنَلْ مِنْهُمْ مَدَى الدَّهْرِ طَايِــلاً
وَلَمَّا نَجِــدْ فِيهِمْ صَدِيقاً نُــوَادِدُه

ويقـــول في النسيـــب:
كَتَمَ اللِّسَــانُ وَمَدْمَــعِي قَدْ بَاحــَا
وثَــوَى الأَسَى عِنْـــدِي وأسًى رَاحَــا
إنِّي أحِـــبُّ طَيَّ مَا نَشَــرَ الهَــوَى
نَشْــراً ومَــا زَالَ الهَــوَى إفْصَاحَــا
وَمُهْجَــتِي مَنْ لاَ أصَــرِّحُ باسْمِــهِ
وَمِنَ الإشَــارَةِ مَا يَكُــونُ صُرَاحَــا
رِيــمٌ أرُومُ حُنُــوَّهُ وجُنُوحَــهُ
ويَــرُومُ عَــنِّي جَفْــوَةٍ وجِمَاحَــــا
أبْــدَى لَنَــا مِنْ شَعْــرِهِ وجَبِينــهِ
ضِدَّيْـــنِ ذَا لَيْــلاً وذَاكَ صَباحَــــا

وقـــال في أغـــراض أخـــرى:
أزَحْـــتُ نَفْسي مِنَ الإينَاسِ بالنَّـــاسِ
لَمَّـــا غَنِيـــتُ عَـــنِ الأكْيَـــاسِ بِاليَـــاسِ
وصِرْتُ في البَيْتِ وَحْدِي لا أرَى أحَداً
بَنَـــاتُ فِكْـــرِي وكُتْبِي هُنَّ جُـــلاَّسِي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومنهـــا أيضـــا:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي المَـــال أنَّـــهُ إذَا
مَا انْتَهَى عِنْدَ الفَـــتَى فَـــارَقَ العُمْـــرَا
فَـــلاَ رُوحَهُ يَوْمـــاً أرَاحَ مِنَ العَنَـــا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْداً وَلَمْ يَدَّخِـــرْ أجْـــرَا

ومنهـــا أيضـــا:

عُـــدَاتِي لَهُـــمْ فَضْـــلٌ عَـــلَيَّ وَمِنَّـــة
فَـــلاَ أذْهَـــبَ الرَّحْمَـــنُ عَنِّي الأعَادِيَـــا
هُـــمْ بَحَثُـــوا عَـــنْ زَلَّـــتِي فَاجْتَنَبْتُهَـــا
وَهُـــمْ نَافَسُـــونِي فَاكْتَسَبْـــتُ المَعَالِيَـــا

ومنهـــا أيضـــا:

نُعِيـــدُ وُدَّ قَرِيـــــب ضَـــــلَّ
كَبِيـــرُ عَتْـــب قَلِيـــلٌ عَتْبَـــــا
كَالشَّمْسِ طَرْفـــاً كَالمِسْكِ عَرْفـــاً
كَالخَشْـــفِ طَرْفا كَالصَّخْرِ قَلْبَـــا

ـ **ثـــم أحمـــد بـــن محمـــد النفـــزي الرنـــدي** المعـــروف بالســـراج (ت: ســـنة 759هـــ/1357م)؛ مقـــرئ.

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن إبراهيـــم بـــن عبـــد اللـــه بـــن مالـــك بـــن إبراهيـــم بـــن يحـــيى ابـــن عبـــاد الرنـــدي** (ت: ســـنة: 792هـــ/1389م)؛ فقيـــه،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وواعظ، وصوفي؛ ذكره المقري ضمن ما نقل عن ترجمة له من طرف أبي زكرياء السراج: **((نشأ ببلده رندة...وحفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفرعية؛ حتى رأس فيها، وحصل معانيها. ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه. وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات؛ وألف فيه تواليف عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة. وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم؛ نحو مجلدين... وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر... وله كلام عجيب في التصوفن وصنف فيه... وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب؛ مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف؛ بين يدي السلطان تبركا بها؛ وكذا يقرؤونها في المجتمعات، والمواسم؛ كأول رجب، وشعبان؛ ونصفهما، والسابع والعشرين منهما؛ كرمضان))**[1]. ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم، ونظمها في أرجوزة

---

[1] نفح الطيب، ج: 5، ص ص: 341 ــ 350.

مـــن ثمانمائـــة بيـــت. وقـــال عنـــه ابـــن الخطيـــب: **((وشعـــره حســـن يـــدل عـــلى طبـــع معيـــن))**؛ منـــه:

سُرًى يُسِــرُّ إِلَيَّ أَنَّــكَ تَــارِكِي
نَفْــسِي الفِــدَا لِلُطْفِــكَ المُتَــدَارِكِ
يَا مَالِــكِي وَلِيَ الفَخَــارُ بِأَنَّــنِي
لَــكَ فِي الهَــوَى مِلْكٌ وَأَنَّكَ مَالِــكِ
التَّــرْكُ هَلْــكٌ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِــدْ
بالوَصْــلِ تُحْــيِي ذِمَا مُحِبٍّ هَالِــكِ
وَأعِــدْ جَمِيلاً فِي الهَوَى عَوَّدْتَــنِي
إِنْ لَــمْ تُعِــدْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِــكِ
يَا مُنْيَــةَ القَلْــبِ الَّذِي بِجَمَالِــهِ
فُتِــنَ الوَرَى مِنْ فَاتِــكٍ أَوْ نَاسِــكِ
أأتِيــهُ دُونَكَ أَوْ أحَارُ وَفِي سَــنَى
ذَاكَ الجَمَالِ جِــلاَ الظَّــلاَمِ الحَالِــكِ
وَلَكَمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَــمْ
تَكُنِ الدَّلِيــلَ اخْتَلَّ قَصْــدُ السَّالِــكِ

ويقـــول أيضـــا:

يَا لِلرِّجَــالِ أَلاَ حِــبٌّ يُسَاعِــدُنِي
فِي ذَا الغَـــرَامِ فَأَبْكِيــهِ وَيُبْكِيــنِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غُلِبْــتُ فِيهِ وَمَا أجَــدْتُ مُغَالَبَــتِي
وَهَــنْتُ وَالصَّبُّ أوْلَى النَّاسِ بِالهَــوْنِ
رَكِبْتُ لُجَّتَــهُ وَحْدِي فَأدْهَشَــنِي
وَمِــتُّ فِي يَــدِهِ فَــرْداً فَدُلُــــونِ
وَاضَيْعَة العُمْرِ وَالبَــلوَى مُضَاعَفَــة
مَــا بَيْــنَ يَــأسٍ وَآمَــالٍ تُرَجِّيــنِ
وَالَهْفَ نَفْسِي إنْ أوْدَتْ وَمَا ظَفِرَتْ
فِي ذَا الهَــوَى بِتَمَــنٍّ أوْ بِتَأمِيــــنِ
فَلَيْتَ شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقضِي طَمَعاً
فِي ذَا الهَوَى بَيْنَ مَغْلُــوبٍ وَمَغْبُــونِ

وكتـــب إلى أحـــد الحكـــام:
تَرَكْتُ لَكُمْ عِــزَّ الغِــنَى فَأبَيْتُــمُ
وَأنْ تَتْرُكُــونِي لِلْمَذَلَّــةِ وَالفَقْــــرِ
وَنَازَعْتُمُــونِي فِي الخُمُولِ وَإنَّــهُ
لِذِي مُهْجَتِي أحْلَى مِنَ البِنَى وَالأمْــرِ

ـ ثـم أبـو زكريـاء يحيى بـن أحمـد بـن محمـد السـراج النفـزي الرنـدي (ت: سنــة 805هــ/1402م)؛ وهــو فقيــه صــوفي، وراويــة، مــن أهــل الحديــث؛ ولــه فهرســة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **عبد العزيز بن موسى الورياغلي النفزي** (توفي بفاس سنة 880هـ/1475م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

ـ ثم **أبو الحسن علي الورياغلي النفزي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ فقيه مالكي.

***

ـ ***مواطنهم***: تتواجد مواطن **نفزاوة** عبر بلاد المغرب كلها. أما جمهورهم فكان **بجبل أوراس، وإفريقية**. مثل: تلك القرى المعروفة بهم في **قسطيلة**، وبقاياهم في نواحي **القيروان**، والشريط الساحلي **لقرية بطوية، وسهول بونة**؛ التي بها أحياء من **ولهاصة**؛ رئاستهم في **بني عريف**. ويتواجد آخرون من نفزاوة بساحل **برشك**، وساحل **بادس**.

É É É

(2) ـ لواتة:

وهم **أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر ابن زحيك**. فلوا الأصغر، ونفزاو؛ أخوان. يقول ابن خلدون: **((ولوا اسم أبيهم؛ والبربر**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء؛ فصار لوات. فلما عربته العرب؛ حملوه على الإفراد، وألحقوا به هاء الجمع))[1]. وللوا عدد من الأولاد أشهرهم: **زاير، وفاصلة** أو (ماصلت)، **وكطوفت، ونيطط**. وقد تشعبت أفخاذهم جميعا، وتفرقت في الأقطار. وسنكتفي في هذا المجال ببعضهم؛ ومن الذين اشتهروا: **فاصلة** أو (ماصلت) فتفرع عنه: **أكورة، وجرمانة، وعترروزة** أو (عزوزة)، ثم **مغانة**. ثم **فزاير**؛ ومنه **مُزاتة**؛ التي تفرع عنها عدد كبير من الأحياء؛ أهمها: **بلايان، وحمرة، ودكمة، وقرنة، ومُجيجة، ومُدَّونَة**؛ وتقع أرض مزاتة جنوب شرقي سطيف؛ وتوجد منهم فئة في إقليم الجريد؛ إذ وصل تعدادهم فيه – حسب قول الدرجيني – إلى اثني عشر ألف فارس خلا الرجالة. أما **نيطط**؛ فمنهم **سدراتة**؛ التي تنسب إليها المدينة المتواجدة بقرب ورجلاء، والمدينة المتواجدة في الشرق الجزائري؛ على الحدود التونسية.

وفي عهد الدولة الحفصية برز من بطونهم: **بنو باديس، وبنو زنجان، وبنو سعادة**. وتقول

[1] العبر، مج: 6، ص: 235.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر التاريخية عن لواتة؛ أنه كان منهم من اختار حياة الرحلة؛ طلبا للنجعة في جهات برقة. وكانت للواتة مواقف منحازة لأبي يزيد؛ خلال ثورته على الفاطميين؛ نظرا لانتمائهم للمذهب الخارجي. وقد تذبذب منهم بعض الأحياء في ولائهم للدولة؛ فكانوا أحيانا في خدمتها (فتستعين بهم — خاصة — في جمع المغارم من القبائل المختلفة)؛ وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة؛ ثائرة. وحينما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة، واستفحل أمر قبائل بني هلال، وسليم؛ أضحت أحياء من لواتة عرضة لابتزازهم، وضغوطهم؛ وبذلك اندرجوا ضمن القبائل الغارمة[1].

! ! !

— ***أعيانهم***: أنجبت بلاد المغرب الإسلامي رجالا نسبوا إلى لواتة؛ خلفوا ذكرا حميدا، وسمعة مشرفة. غير أن أصول بعضهم يكتنفها شئ من الغموض؛ إذ لا نعرف إن كانوا ينتسبون إلى قبيلة لواتة؛ أم حملوا هذه التسمية نسبة إلى الموضع

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 235 — 238.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسمى باسم القبيلة؛ سواء كان ذلك ببلاد المغرب أم في الأندلس؛ التي بها أماكن سميت باسم قبائل أمازيغية؛ كانت تسكنها بكثافة. ومع هذا سنعتبر كل من نُسب إلى لواتة؛ عضوا من تلك القبيلة؛ لأننا نؤمن بأن ((النسب القبلي أمر وهمي؛ لا حقيقة له))؛ كما يقول ابن خلدون. ونظرا لكون هدفنا الأساسي هو **إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي؛ وليست غايتنا هي القبيلة** في حد ذاتها؛ وما إتباعنا هذه **المنهجية** ــ التي تضعهم في إطار قبلي ــ إلاَّ **وسيلة إيضاح**؛ تسمح بتصور دقيق للمحيط الذي احتضن علماء المغرب؛ ومفكريه؛ كما تسمح هذه **المنهجية** ــ أيضا ــ بإجلاء الحركة الثقافية؛ في الأوساط القبلية بهذه الديار؛ وهذا بالطبع يسوقنا إلى الاستناد إلى القول المأثور: ((**النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر**)). وعليه فمن الذين نسبوا إلى لواتة من العلماء:

ــ **لواب بن سلام بن عمر اللواتي** (كان حيا سنة 260هـ/873م)؛ وهو من العلماء الإباضيين؛ ومن مؤلفاته: رسالة عن نشأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإباضية، ودخولهم إلى المغرب؛ وهي وثيقة تاريخية لم يسبقه إليها أحد.

ـ ثم **أبد الله السكاك القنطراري** (القنطناري) **اللواتي**؛ وهو رأس فرقة من الإباضية؛ ولكنها خرجت عن جماعتهم؛ إذ اتبعوا مذهبا أنكره عليهم جمهور الإباضية. وقد ذكرهم الدرجيني في طبقاته بقوله: **((أن السكاك يعرف بأبد الله اللواتي النسب، قنطناري المسكن؛ وكان له أب من أهل الصلاح؛ فبلغنا أن أباه توجه إلى الحج قبل أن يولد له أبد الله؛ فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد له شيطان... ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع أهل الحق: 1ـ أبطل السنة، ورأي المسلمين؛ قال... إن الله قد أغنى عنهما... بكتابه العزيز، ...2 ـ قوله إن الصلاة جماعة بدعة، 3 ـ قوله إن الأذان بدعة؛ فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: نهيق الحمار، 4 ـ إن الصلاة عندهم لا تجوز بما لا يعرف معناه، وتفسيره من القرآن، 5 ـ قوله إن بقول الجنات؛ مما ينبت في سماد بني آدم؛ كل ذلك نجس؛ بنجاسة ما نبت عليه، 6 ـ إن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل، 7 ـ إن بول الدواب**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأندر حين درسها إياه نجس؛ فلا يطهر ما بالت عليه إلا بالغسل. وجدت عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث رحمه الله قال: أدركنا بقية أصحاب أبد الله السكاك؛ إذا قرب وقت الصلاة خرجوا؛ متجنبين عن الناس إلى مفاحص قد هيئوها لأنفسهم؛ فيصلون فيها فرادى. وعنه؛ أدرك جماعة الشيوخ بقسطيلية؛ يصلون على جميع موتى أهل القبلة؛ كلهم؛ من المخالفين، وغيرهم؛ إلا أصحاب السكاك؛ فإنهم من مات منهم؛ جعلوا في رجليه مرابط، وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه. وكان مشائخ السلف تتقارب أقوالهم في السكاك وأصحابه، وتتفاوت؛ فقائل: بشركهم، وقائل بنفاقهم؛ وهذا المذهب قد فني أصحابه؛ فلم تبق لهم بقية))[1].

ـ ثم أحمد بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

---

[1] ج: 1، ص ص: 118 ـــ 119.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أخوه **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي** (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين ابن علي اللواتي الفاسي** عرف بابن تامتيت؛ فقيه، ومحدث.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتي البلنسي**؛ نحوي، ومن العارفين بالعربية، وعلومها، وآدابها؛ كما يمتاز بقرض الشعر.

ـ ثم **أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك ابن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بطنجة سنة 491هـ/1097م)؛ فقيه، ومقرئ، وشاعر؛ فهو عالم المغرب، وشيخه في وقته؛ كان ملما بعلوم الفقه، والأدب؛ واللغة؛ فصيح اللسان؛ يميل في حديثه وشعره إلى التقعير، والتمسك بالإعراب؛ مع الخاصة، أو العامة؛ قال عنه الشيخ عياض: **((فلا يكاد يؤخذ عليه لحن))**[1]. وولي في عهد المرابطين الصلاة، والخطبة، والإفتاء، والأحكام بمدينة طنجة؛ ومن قبلها ولي أيضا الإفتاء، والصلاة والخطبة بسبتة. وأسرة

---

[1] **الغنية، ص: 258.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمجون هذه أنجبت عددا من العلماء؛ عرفوا باسم سمجون الطنجي؛ نسبة إلى مدينتهم؛ سيتأتي الإشارة إليهم تباعا؛ كل في موضع ترتيبه.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي يعرف بابن البيَّان** (توفي بمرسية سنة 496هـ/1102م)؛ كان من المقرئين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي**؛ المعروف بابن الفاسي (توفي بسبتة سنة 513هـ/1119م)؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ الذي قال عنه في الغنية: **((كان من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة بالوثائق، والبصر بالأحكام، والتفنن في معارف... وكتب للقضاة بسبتة، وشوور في الأحكام؛ ثم قعد عن ذلك، وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه، وطلب الانفراد، والتقلل، والزهد في الدنيا. وقد طلب لقضاء سبتة، وولاية خطبتها؛ فامتنع، ولم يجب...صحبته كثيرا، وقرأت عليه غير شئ))**[2].

---

[2] الغنيــة ، ص ص: 186 ــــ 187.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بتلمسان سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء تلمسان.

ـ ثم **أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بالمرية سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء غرناطة، والمرية؛ فترك أثرا حميدا بين الناس.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بغرناطة سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه، فاضل، ولي قضاء تلمسان بعد عمه؛ قبل أن ينتقل إلى غرناطة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه؛ من الرواة.

ـ ثم **أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن عبد الرحمن بن سمجون الطنجي**؛ فقيه، وولي القضاء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو علي الحسن بن مكي اللواتي**؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جابر بن فتح الأنصاري اللواتي الغرناطي**؛ من المتكلمين الأصوليين.

ـ ثم **أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن اللواتي**؛ فقيه من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن الحسين اللواتي الفاسي** (توفي بفاس سنة 573هـ/1177م)؛ قال عنه ابن الزبير: **((كان عالما بالفرائض، والعقود؛ ومن حفاظ المسائل؛ ممن تدور عليه الفتوى))**.

ـ ثم **علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بالمُنَكَّب سنة 599هـ/1202م)؛ فقيه؛ من أهل المعرفة، والعلم؛ قال عنه ابن الزبير: **((كانت له كتب كثيرة))**[1]. دون أن يذكرها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عُتْبة اللواتي** (توفي بعد 625هـ/1227م)؛ مقرئ، ومحدث.

---

[1] صلة الصلة، القسم الأخير ، ص ص: 147. 117 ـــ 118.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي** (توفي حوالي سنة 650هـ/1252م)؛ من علماء اللغة؛ وله إلمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: كفاية المتحفظ، ومختصر في علم الأنساب، ومختصر في الأنواء، وكتابان في العروض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي** (ت: سنة 779هـ/1377م)؛ وهو الرحالة الذائع الصيت المعروف بابن بطوطة. أملى رحلته؛ التي حررها الفقيه الأديب محمد ابن محمد بن جزي الكلبي؛ بأمر من السلطان المريني أبوعنان؛ فكانت أهم، وأشمل رحلة تمت في وقته؛ وترجمت إلى لغات عديدة؛ منها: الأنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية.

ooo

أما اعلام لواتة؛ أصحاب الحكم، والسلطان؛ منهم:

ـ **سلام بن عمر اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب ابن رستم على سرت، ونواحيها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **ميال بن يوسف اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب بن رستم على نفزاوة.

ـ ثم **أورغ بن علي بن هشام اللواتي**؛ أحد القادة في الدولة الفاطميين؛ ولكنه انحاز إلى حميد ابن يصلتن بن حبوس المكناسي (صاحب تيهرت)؛ عند عصيانه للدولة، ومبايعته للأمويين؛ ثم التحق أورغ بعدئذ بالأندلس سنة 336هـ/947م.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان جده وزيرا للإمام أفلح بن رستم. وهو من علماء ورجلان الإباضيين.

ـ ثم **مكي بن فراج بن زيادة الله بن أبي الحسن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسين اللواتي**؛ وهو كبير بني مكي رؤساء قابس.

ـ ثم **أبو القاسم عثمان بن أبي القاسم بن مكي اللواتي**؛ حليف أبي زكرياء الحفصي؛ إذ تولى أخذ البيعة له من الناس؛ عندما عزم على الاستبداد على الموحدين.

ـ ثم **عبد الملك بن عثمان بن مكي اللواتي**؛ الذي انحاز للدعي أبي عمارة.

! ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما أعيان سدراتة؛ وهي بطن من بطون لواتة؛ كما سبقت الإشارة إليه؛ فمنهم:

ـ **عاصم السدراتي** (توفي أمام أسوار القيروان سنة 141هـ/758م)؛ وكان من المقربين من أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح؛ وهو أحد الخمسة الذين ذهبوا إلى البصرة طلبا للعلم؛ لدى أبي عبيدة مسلم الإباضي؛ وكان قد شارك أبي الخطاب في الزحف على القيروان، أثناء حصار ورفجومة في داخلها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي** المعروف بالطرفي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ استقر بوارجلان؛ التي تولى فيها الفتيا، والقضاء بين الناس؛ تلقائيا؛ دون تكليف من الحكام.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي** (ت: سنة 570هـ/1174م)؛ كان له إلمام بعلوم شتى منها: علوم القرآن الكريم، واللغة، والفقه، والحديث، والفرائض، والكلام، والسير والتراجم، والتنجيم؛ إلى جانب أنه كان يقرض الشعر. ويقول الدرجيني أن أبا يعقوب تعلم هذه العلوم، والفنون بقرطبة؛ عندما ذهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليها في صغره؛ طلبا للعلم؛ ومن مؤلفاته: كتاب العدل والإنصاف؛ جزأه إلى ثلاثة أجزاء، وكتاب الدليل لأهل العقول؛ يعالج مواضيع من المذهب الإباضي، وكتاب مرج البحرين؛ في المنطق، والحساب، والهندسة، وكتاب المغرب في تاريخ المغرب، وتفسير القرآن الكريم؛ في سبعين جزءا؛ قد تصل أوراق الجزء إلى 700 ورقة أحيانا، كما قام بترتيب مسند الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري؛ وسماه الجامع الصحيح؛ وله قصيدة طويلة جدا سماها الحجازية؛ قال عنها الدرجيني: **((أبياتها عدد أيام العام؛ بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عمن صحبهم في ذلك الركب؛ فذكر الطريق مترلة مترلة في سيرهم؛ حتى وصلوا؛ وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج؛ ثم خرج إلى شيئ من علم الحدثان؛ ثم وعظ أحسن وعظ، وتذكير؛ ففيها ما يشهد له باتساع الفن))**[1]. وكان الأندلسيون يشبهونه بالجاحظ؛ ساح في الأرض مدة بين الأندلس، والمشرق الإسلامي؛ وإفريقيا السوداء؛ حتى وصل في رحلته جنوبا إلى حدود

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 494.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خط الاستواء؛ ثم عاد إلى بلده ورجلان؛ أين اعتكف على القراءة، والتأليف حتى توفاه الله فيها.

ـ ثم ولده **أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف السدراتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أديب، وشاعر؛ إلى جانب إلمامه بالعلوم الشرعية، والنحوية، واللغوية؛ ولكنه دون والده.

ـ ثم **محمد بن أحمد السدراتي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من الفقهاء، وأهل الفضل.

! ! !

أما مزاتة؛ فهي ـ بدورها ـ بطن من بطون لواتة؛ وبرز فيها رجال تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ منهم:

ـ **أبو عثمان الدكمي المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ استوطن جبل نفوسة؛ حيث عرف فيه باسم **باثمان**؛ وهو من الزهاد المتصوفين؛ تناقل الناس عنه، وعن ابنته **تكفا** حكايات عجيبة؛ تدخل في سياق الأساطير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ له حظ من العلم، والمال الوفير.

ـ ثم **أبو محمد واسلان بن يعقوب المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية؛ كان في البداية منصرفا عن العلم إلى الرعي، والطرب؛ ولكنه تدراك ما ضاع من عمره؛ فانكب على العلم حتى اكتسب منه ما أغناه.

ـ ثم **أبو الخطاب عبد السلام بن منصور ابن أبي وزجون المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وصفه الدرجيني بقوله: **((رأس من رؤوس المذهب، وأعلم علمائه، وشمس من شموسه الكاشفة لظلمائه؛ العلم والأدب حليته))**[1]. كان رأس العلماء السبعة؛ الذين اعتكفوا في غار امجاج؛ بغرض تأليف ديوان في

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 409.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفقه الإباضي؛ وقد تولى كتابته بخطه؛ فنسب إليه؛ بينما هو عمل جماعي.

ـ ثم **أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الزهاد، والصالحين.

ـ ثم **أبو موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل العلم، والصلاح، وفعل الخير.

ـ ثم ولده **ضمام بن أبي موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ سار على نهج أبيه؛ في فعل الخير؛ قال عنه الدرجيني: **((أن بلاد إفريقية أصابتها سنة؛ فاشتدت أحوال أهلها؛ وعدموا القوت؛ حتى ضمت أهل البوادي، وغيرهم إلى بلاد الجريد؛ فانتجعت مزاتة إلى قابس؛ ليمتاروا منها التمر بالدين، والقرض؛ فأتوا ضمام بن أبي موسى؛ يدلون عليه بالقرابة، والأخوة؛ وهو حينئذ عند أهل قابس معروف، وبالخير والصلاح موصوف؛ فسألوه أن يستقرض لهم، ويستدين، ويتحمل عنهم... فشاور والده في ذلك... فقال له: هل يعرفهم أحد؟ قال: لا، قال: وأنت؛ هل يعرفك أهل قابس،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويأمنونك؟ قال: نعم، ولا يعرفون غيري؛ فقال له أبوه: دخولك في شئ يستنقذهم من الجوع إذا فرض من الفروض اللازمة؛ إذ كانوا ينتفعون بجاهك أكثر مما ينتفعون بأموالهم؛ فقضى مآربهم أجمعين))[2].

ـ ثم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ كان ملما بعلمي: الأصول، والفروع؛ وله تصنيف في الأصول؛ من مجلدين.

ـ ثم أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من الملمين بعلمي الأصول، والفروع؛ وتفرغ للتدريس، والإفتاء؛ ولكنه تعرض لمضايقات من طرف المتزمتين للمذهب الإباضي؛ بعدما لاحظوا أنه يطالع كتبا لعلماء المذاهب السنية؛ غير أنه صمد أمامهم؛ إيمانا برأيه.

---

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص ص: 421 ـــ 422.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـــ ثــم **ميمـــون بـــن أحمـــد المـــزاتي** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن علمـــاء المذهـــب الإبـــاضي بدرجيـــن؛ نالـــه ـــ في أواخـــر أيامـــه ـــ ضيـــم، وإهمـــال؛ وقـــال فيـــه الدرجيـــني: **((طـــال عمـــره حـــتى كـــف بصـــره؛ فتخـــلى عـــن التشديـــد، وكـــان يتمـــنى أن يلـــقى مـــن يسألـــه عـــن المسألـــة ســـؤالَ مستفيـــدٍ؛ فقلمـــا يظفـــر بسائـــل، أو بلقـــاء عـــارف أو معتـــرف بمـــا أوتي مـــن الفضائـــل... وحدثـــني مـــن لا أتهـــم؛ عـــن جـــدي يخلـــف أنـــه كـــان مـــتى حضرتـــه تحفـــة ذكـــر عندهـــا السيـــخ ميمـــون بـــن أحمـــد؛ وكـــان يحـــض عـــلى إكرامـــه ويقـــول: أكرمـــوا ميمـــون بـــن أحمـــد؛ قـــد اجتمعـــت فيـــه الصفـــات الثـــلاث: عزيـــز ذل، وغـــني افتقـــر، وعالـــم بيـــن جهـــال))**[1].

***

ـــ ***مواطنهـــم***: مـــن مواطـــن **لواتـــة** الـــتي ينتجعـــون عبرهـــا؛ هي أراضي **برقـــة**؛ وقـــد تمتـــد بهـــم النجعـــة إلى **مصـــر**؛ حيـــث سكـــن **واحاتهـــا** عـــدد كبيـــر منهـــم. وفي ذلـــك يقـــول ابـــن خلـــدون: **((ومنهـــم أيضـــا بواحـــات مصـــر ـــ فيمـــا ذكـــره المسعـــودي ـــ أمـــة**

[1] طبقـــات المشائـــخ بالمغـــرب، ج: 2، ص: 512.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيمة بالجيزة؛ التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور؛ شيخهم هنالك بدر بن سالم؛ وانتقض على الترك؛ وسرحوا إليه العساكر؛ فاستلحموا كثيرا من قومه، وفر إلى ناحية برقة؛ وهو الآن في جوار العرب بها... ومنهم أوزاع متفرقون بمصر، وقرى الصعيد؛ شاوية، وفلاحين))[2]. وفي **جبل أوراس** تسكن أمة عظيمة منهم؛ انحازت إلى أبي يزيد في ثورته. وقد استعانت بهم الدولة في جباية الأموال من القبائل الأخرى. ولما ضعفت الدولة الحفصية؛ أصبحت جماعة منهم ــ يعرفون باسم **بني سعادة** ــ في إقطاع الدواودة؛ فاستعملوهم في المهمة التي خصتهم بها الدولة. ومن بقي من أحيائهم: **بنو باديس، وبنو زنجان**؛ دخلوا في طاعة بني مزني؛ أمراء بسكرة، وأرض الزاب. وكانت لبني باديس إتاوات يتقاضونها من **بلدة نقاوس** خلال الشتاء؛ عندما ينسحب الأعراب نحو مشاتيهم في الصحراء. وإذا ما عادوا إلى مصائفهم؛ انسحبت لواتة إلى معاقلها المنيعة في الجبال.

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 238.

وتتواجد أعداد كبيرة منهم — أيضا — بضواحي **تيهرت**؛ حيث كانوا يتنقلون؛ منتجعين في تلك المناطق؛ على **وادي ميناس**. وجاء في العبر: **((يقال أن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة، وأنزلهم هنالك. وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائدا لعبيد الله الشيعي. ولما انتقض حميد بن يصل — صاحب تاهرت — على المنصور — ثالث خلفاء الشيعة — ظاهروه على خلافه... وأجاز حميد إلى الأندلس سنة ست وثلاثين؛ وزحف المنصور يريد لواتة؛ فهربوا أمامه إلى الرمال؛ ورجع عنهم))**[1]. وهذه الفئة من لواتة هي التي حاربها بنو وجديجن؛ بسبب إهانة امرأة منهم؛ متزوجة في لواتة. وقد سبق الحديث عنها. ومن جراء تلك الفتنة أجبرت لواتة على النزوح عن ديارها؛ حيث استقرت أحياؤهم خلف الجبل المسمى دارك؛ في التلول، **وخلف الجبال المطلة على متيجة**؛ أين أصبحوا من بين القبائل الغارمة. كما توجد فئة منهم — أيضا — في الجبال المسماة بهم؛ **جنوب قابس، وصفاقس. وبنو مكي؛ رؤساء قابس** منهم.

---

[1] العبر، مج: **6**، ص ص: **236 — 237**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي ضـــواحي بجايـــة توجـــد قبيلـــة مـــن لواتـــة؛ تحتـــل سهـــل تاكـــرارت؛ فيتـــوزعونـــه قطعـــا؛ لزراعتهـــم، ومراعيهـــم. ومـــن رؤسائهـــم في تلـــك الجهـــات؛ بنـــو راجـــح بـــن صـــواب.

É É É

4 ــ بنـــو نفـــــوس:

وهـــم **أبنـــاء نفـــوس بـــن زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.** وكانـــوا مـــن أعظـــم القبائـــل الأمازيغيـــة عـــددا، وقـــوة. وهـــم جميعـــا ينتسبـــون إلى بطـــن واحـــد ممثـــلا **بنفوســـة.** ومـــن أحيائهـــم المعروفـــة: **بنـــو زمـــور،** (وهـــم غيـــر أبنـــاء زمـــور البرنسييـــن). **وبنـــو ماطوســـة**[1]. ويقـــول عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور أن بعـــض أحيـــاء نفوســـة اندرجـــوا ضمـــن قبيلـــة **بـــني خلفـــون** بالضفـــة اليمـــنى لـــوادي يســـر؛ في الجهـــة الشرقيـــة للجزائـــر. **وبنـــو مسكـــور.** ويقـــول عنهـــم عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور ــ كذلـــك ــ أن بعضهـــم مندمجـــون ضمـــن قبيلـــة **آيـــت ونيـــر؛** المتواجـــدة عنـــد زاكـــورة بالمغـــرب الأقـــصى[2].

! ! !

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 230.

[2] قبائـــل المغـــرب، ج: 1، ص: 308.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ***أعيانهم***: نفوسة كغيرها من قبائل المغرب الإسلامي؛ أنجبت رجالا عظماء؛ بعلمهم، وبكفايتهم؛ ولكن المصادر التي بين أيدينا شحيحة للغاية؛ وإن أسعفتنا؛ فإنها لا تمدنا بما يفي بالغرض. وعليه فإنه تعذر علينا معرفة أعلام نفوسة بدقة، ووضوح. ومع هذا سنذكر أهمهم؛ كما عرفنا عنهم؛ ولا يفوتنا التذكير؛ بأن جل هؤلاء الأعيان ـ وإن لم يكونوا كلهم ـ فهم علماء؛ بالإضافة إلى مناصبهم الزمنية؛ على أن العلوم الغالبة على اهتمام أكثرهم؛ كانت العلوم الشرعية. وهؤلاء الأعيان وهم:

ـ **محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي** (من أعلام أوائل القرن الثاني للهجرة)؛ ويعتبر من الرواد النفوسيين الأوائل الداعين للمذهب الإباضي؛ إذ كان قد رحل إلى البصرة؛ أين تلقى العلم من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره؛ ثم عاد إلى جبل نفوسة؛ لنشر ما تعلمه من علم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **إسماعيل بن زياد النفوسي**؛ (الذي تغلب سنة 132هـ/749م)؛ على قابس.

ـ ثم **عمرو بن يَمْكِتْن الأَفاطْمَاني النفوسي** (توفي سنة 144هـ/761م)؛ مع أبي الخطاب ـ في وقعة تورغا ـ أمام جيش ابن الأشعث؛ وكان قد بدأ حياته الأولى معلما للقرآن؛ ثم أضحى قائدا في جند أبي الخطاب عبد الأعلى؛ ثم ولاه بعد ذلك أعمال سرت، وأطرافها.

ـ ثم **أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ كان من الفرسان الأبطال؛ ولاه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على أعمال جبل نفوسة.

ـ ثم **مَهَدِّي الويغوي النفوسي** (توفي سنة 196هـ/811م)؛ حينما كان في جيش عبد الوهاب ابن رستم المحاصر لطرابلس. وهو من علماء نفوسة الكبار؛ وكان فقيها، ملما بأساليب الكلاميين؛ وهو الذي تصدي لعالم الواصلية من المعتزلة؛ في المناظرة الشهيرة التي عقدت بتيهرت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ ثــم **أبــو عبيــدة عبــد الحميــد الجنــاوني النفــوسي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الثالــث للهجــرة)؛ وهــو أحــد علمــاء نفوســة الإباضييــن؛ ولاه إمــام الدولــة الرستميــة عبــد الوهــاب ــ بعــد مــوت أبي الحســن أيــوب ــ أعمــال جبــل نفوســة؛ باقتــراح مــن سكــان الجبــل؛ ولكنــه ــ حسبمــا يقــال ــ رفــض المنصــب؛ وقــال: أنــا ضعيــف؛ الأمــر الــذي جعــل الإمــام يصــر، ويلــح عليــه؛ قائــلا في رسالتــه إليــه؛ أورد فقــرة منهــا؛ علي يحــيى معمــر في كتابــه الإباضيــة في موكــب التاريــخ؛ جــاء فيهــا: **((إن كنــت ضعيــف البــدن فالحــق يقويــك، وإن كنــت ضعيفــا في المــال فبيــت مــال المسلميــن تقويــك، وإن كنــت ضعيفــا في العلــم فعليــك بــأبي زكريــاء اللــواتي فاستعــن بــه فيمــا يستقبــل مــن أمورك))**[1]. فطلــب مهلــة للتفكيــر، والاستشــارة. ومــن الطريــف إنــه التجــأ إلى امــرأة في جبــل نفوســة؛ ليستشيرهــا؛ ويبــدو أنهــا كانــت مــن الزاهــدات الفاضــلات؛ وتــدعى **مــارن**؛ الــتي تلقــب بجــدة العلمــاء؛ والــتي تــولــت مهمــة التدريــس في مدرستهــا. ولمــا عــرض عليهــا أبــو عبيــدة مشكلتــه قالــت: **((إن تقدمــت فأنــت في**

---

[1] الحلقــة: 2، القســم: 1، ص ص: 90 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النـــار، وإن تأخــرت فأنـــت في النـــار...إن تقدمـــت وأنـــت تعـــرف أن في المسلميـــن مـــن هـــو أكفـــأ منـــك؛ فأنـــت في النـــار، وإن تأخـــرت وأنـــت تعلـــم أنـــك أكفـــأ المسلميـــن؛ فأنـــت في النـــار))[2]. بهـــذه الطريقـــة جاوبتـــه، وتركـــت لضميـــره الخيـــار؛ ففكـــر في الأمـــر مليـــا ثـــم أعلـــن قبولـــه بالولايـــة.

ـــ ثـــم **العبـــاس بـــن أيـــوب بـــن العبـــاس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولي أعمـــال جبـــل نفوســـة بعـــد وفـــاة أبي عبيـــدة؛ في عهـــد أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب؛ وهـــو ولـــد أيـــوب عامـــل الجبـــل الأول.

ـــ ثـــم **أبـــو يونـــس وسيـــم بـــن يونـــس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولي أعمـــال قنطنـــار بالجريـــد مـــن طـــرف أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب بـــن رستـــم.

ـــ ثـــم **سعـــد بـــن وسيـــم بـــن يونـــس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولاه أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب مكـــان أبيـــه كعامـــل عـــلى قنطنـــار بالجريـــد.

---

[2] الحلقـــة: 2، القســـم: 1، ص: 92.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **نفاث بن نصر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ نسب إليه الدرجيني حركة ما أسماه بالافتراق الثالث في الإباضية؛ ومرد ذلك كما يقول: هو حسده لرفيق دراسته؛ سعد بن وسيم؛ الذي فضله الإمام عليه؛ في ولاية قنطرار؛ وبذلك شرع في الإعلان بمخالفته لتصرفات للإمام أفلح؛ ثم أظهر بعض الاجتهادات الفقهية؛ المخالفة لما اتفق عليه.

ـ ثم **أبو ذر أَبان بن وسيم النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب. ويعتبر من أنبغ علماء نفوسة، وأبصرهم بالأحكام الشرعية. ومن الأمثلة على سرعة بديهته؛ أنه سُئِل يوما: ما هي فتوى من حلف لزوجته بالطلاق أن لا يزوج ابنتهما للذي يحبانه، أو للذي يكرهانه؟ فأجاب السائل بسرعة: يزوجها لمن لا يعرفان.

ـ ثم مجموعة من الأعلام؛ هم: **أبو زكرياء التكوتي النفوسي**، **وأبو مرداس مهاصر النفوسي**، **وأبو ميمون الجيطالي النفوسي**، **وأبو المنيب محمد بن يانس النفوسي**، **وأبو خليل**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليدركلي النفوسي، وأبو مهاصر موسى بن جعفر النفوسي، وأبو مسور يصنيتن النفوسي (كلهم من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهم جميعا من علماء نفوسة الإباضيين.

ـ ثم **أبو منصور إلياس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة في عهدي: أبي اليقظان، وأبي حاتم؛ وفي وقته زحف العباس بن أحمد بن طولون على برقة، وطرابلس؛ حيث تصدى له أبو منصور إلياس؛ ضمن مقاتلين من إباضيَّي نفوسة؛ وذلك في سنة 267هـ/880م؛ بالمكان المعروف بقصر حاتم؛ فتكبد الجيش الغازي هزيمة منكرة.

ـ ثم **أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي في البداية أعمال نفوسة في عهد أبي اليقظان؛ أقيل مرتين؛ ثم أعيد في كل مرة؛ وفي عهده حدثت وقعة قصر مانو؛ (وهو موقع أثري على ساحل البحر)؛ وذلك في عام 283هـ/896م؛ بين جيش الأغالبة، ومقاتليه من إباضية نفوسة؛ فانتصر فيها إبراهيم بن أحمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن الأغلب؛ وكانت هذه الوقعة بداية النهاية لعنفوان نفوسة.

ـ ثم **عَمْروس بن فتح المساكين النفوسي** (توفي في وقعة مانو سنة 283هـ/896م)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ ولي في منصب قضاء نفوسة؛ في عهد أبي منصور إلياس؛ وله مؤلفات في اختصاصات شتى منها: الفقه، وعلم الكلام، والأصول، وغيره؛ أشهرها كتاب العمروسة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن الخير النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ بايعه سكان جبل نفوسة لكي يتولى حكم الجبل؛ بعد سقوط الدولة الرستمية.

ـ ثم **أبو محمد ملي الأيدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ توفي في وقعة تيكرت بالجبل؛ التي انتصر فيها النفوسيون على جيش عبيد الله الشيعي؛ ولكن موته تمت بواسطة طعنة غادرة؛ صدرت من بين صفوف أنصاره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي يحيى الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) توفي أثناء عودته من معركة بين نفوسة وبين الأغالبة؛ وبالطريقة نفسها التي قتل بها والده؛ أي بطعنة غادرة.

ـ ثم **زيد بن أفصيت الدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تولى حكم الجبل بوصية من أبي زكرياء.

ـ ثم **أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشَّرْوَسي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مدرسا للعلم في مدرسته التي فتحها لطلاب العلم، والمعرفة؛ وكان مصدرا للفتوى والحكم بجبل نفوسة.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان ملما بعلوم: الأصول، والمنطق، والرياضيات، وكان يقول عن الفقه: "**علم العجائز**"؛ أسس مدرسة نموذجية في منهجها، وفي محتوى ما تقدمه من علوم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تلقى في البداية العلم عن العالم الإباضي المشرقي ابن الجمع؛ الذي التقى به في توزر، ورافقه إلى سجلماسة؛ حيث استكمل تعليمه في تلك المدينة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد؛ ولكن اختلفت آراؤهم فيما بعد. وسرد الدرجيني بعض الروايات التي تظهر تباين أفكارهما؛ من ذلك: **((وحدث غير واحد من أصحابنا أن أبا الربيع، وأبا يزيد مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة في بعض شؤوهما؛ فنزلا على حي من أحياء الوهبية؛ فأضافوهما، ولم يحتفلوا بهما كبير احتفال، ولا أحسنوا قراهما؛ فوقع من ذلك في نفس أبي يزيد شر. ثم مرا بحي من أحياء النكارة؛ فأكرموا مثواهما، وأحسنوا قراهما؛ فقال أبو يزيد لأبي الربيع: "ألا ترى ما بين الرجال والرجال؟ فهل لك في الرجوع إلى مذهب هؤلاء"؟ فقال له أبو الربيع: "لست أريد عرض الدنيا؛ فيما هو أجل من هذا؛ فأبتغيه بديني؛ فكيف بالشيء الحقير أبذل بسببه ديني. ولو كان مرادي طلب الأمور**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيوية؛ لنلت جليلها بعلمي؛ ولكن الآخرة خير لمن اتقى؛ والذي تشير به والله لا أفعله أبدا"؛ فافترقا. وانطلق ابن كيداد؛ فأظهر ما وقع في نفسه؛ من اعتقاد مذهب النكارة، وترك مذهب الوهبية. فخاب، وحاب حوبا كبيرا؛ لما أراد الله من شقاوته؛ فخسر نفسه، ودينه، ودنياه؛ نعوذ بالله من سوابق الشقاء))[1]. ولما عاد إلى بلاد الجريد تصدى للنكارة، وحاربهم بالمنطق، والحجة. يقال أنه رافق شيخين ورعين؛ في سفر أيام شتاء شديد البرد؛ فوصلوا إلى غدير في وقت الصلاة؛ فتباينت آراؤهم في وجوب التيمم؛ فتوضأ أحدهما بالماء البارد؛ بينما اكتفى أبو الربيع ابن زرقون، وصاحبه الآخر بالتيمم؛ وبعد مدة أصيب ذلك الشيخ ــ المتمسك بالوضوء ــ بعلة بسبب البرد؛ فقال له ابن زرقون: ((لم تجز لنفسك أن تتيمم لصلاة واحدة؛ فتيمم الآن لصلوات عدة)).

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 111.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو محمد زيد بن أفْصيت الدَّرَفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللاَّلُوتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي عبد الله التَّنْدَمِيرْتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن هارون النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مفتيا بجبل نفوسة؛ ثم زكاه أهل العقد لتولي حكم الجبل.

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة؛ بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو الفضل سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من حكام جبل نفوسة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثـم **أبـو زكريـاء يحـيى بـن سفيـان اللاَّلـوتي النفـوسي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة) تـولى الحكـم في جبـل نفوسـة بتزكيـة مـن أهـل العقـد.

ـ ثـم **أبـو الربيـع سليمـان بـن أبي هـارون النفـوسي** (مـن أعيـان النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة) مـن الذيـن حكمـوا جبـل نفوسـة؛ باتفـاق أهـل العقـد.

ـ ثـم **أبـو سهـل النفـوسي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة)؛ كـان مترجمـا للإمـام بتيهـرت؛ ويعـرف بالفـارسي لكـون أمـه رستميـة؛ أمـا آخـرون فينسبونـه إلى الفـرس؛ وقـال عنـه الدرجيـني: **((غلبـت عليـه هـذه العـزوة الفارسيـة؛ وليـس بفـارسي؛ وإنمـا هـو نفـوسي؛ ولا شـك أن أمـه رستميـة مـن بيـت الإمامـة؛ فغلـب نسبهـا عليـه، واشتهـر بـه. وقيـل هـو رستـمي أبا وأما؛ وأن أباه ولـد لميمـون بـن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه؛ تمسـك مـن العلـوم بسبـب؛ فليـس بـرأس فيهـا ولا ذنـب؛ إلا أن الغالـب: همـل الدمـوع، والتلهـف عـلى فائـت ليـس لـه رجـوع؛ فجعـل هجيـراه مـراثي الديـن وأهلـه، والبكـاء عليـه بوابـل الدمـع وطلـه؛ حـتى دونـت**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه؛ وقد أعجز المراثي بما أوعظ؛ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع، وأوفر حظ. وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا؛ فقف على دواوينه تكن عليه مترجما، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجما... وذكر أن قبر أبي سهل بالموضع المذكور [مرسى الدجاج**] ويُزار؛ حتى أن صنهاجة كانت ــ حينئذ ــ تزوره؛ وربما قال قائلهم: انطلقوا إلى قبر النادب ذنبه، ودينه؛ وهذا مما يصحح أنه بجزائر بني مزغنان؛ لأنها بلاد صنهاجة))**[1]. وتلك الدواوين التي ذكرها الدرجيني مكونة من اثني عشر كتابا باللغة الأمازيغية؛ ألفها للإباضية من بني درجين بالجريد.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من العلماء الذين تحلوا بالعلم، وعمل الخير؛ فكان يدرس للطلبة، ويتكفل بإطعامهم، وكسوتهم من ماله الخاص.

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ج: 2، ص ص: 351 ــ 352.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية بوادي ريغ؛ كما أنه هو مرتب سيرة الحلقة؛ التي تنظم تعليم العزابة.

ـ ثم **يخلف بن يخلف التميجاري النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بالجريد؛ ويبدو أنه كان متفتحا على المذاهب الأخرى، غير متعصب لمذهبه؛ حتى أنه كان مقصودا من أبناء المذاهب المختلفة؛ طلبا للرأي، والفتوى.

ـ ثم ولده **علي بن يخلف النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس)؛ وهو من علماء الإباضية المشتغلين بعلوم الدين؛ دون غيره؛ وكان يعاتب بعض أصحابه على ميلهم إلى فنون الأدب، والشعر؛ وقد أورد الدرجيني حكاية وقعت بينه وبين ابن خلف المدعو بالزناد الوارجلاني: **((وعظه يوما فقال: "أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، واشتغل بالفقه"؛ فقال مرتجلا:**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دَعْــنِي بِفِقْهِكَ يابْنَ يَخْلف إنَّــنِي
رَجُــلٌ غَــدَا بِفَوَائِــدِي الأَشْعَــارِ
إنَّ التَّفقُّــهَ وَالتَّنَسُّــكَ وَالتُّــقَى
أنْســاكَ ذِكْــرَ الخُــرَّدِ الأَبْكَــارِ

ولا أقــول أن هــذا في الزنــاد مجــون، أو نقلتــه مما عبــر عنــه لســان شجــون؛ بــل إنمــا حنينــه إلى الأدب؛ فجعــل لــه صفــات المجــون))[1].

ـ ثــم أبــو العبــاس أحمــد بــن سعيــد بــن سليمــان الدرجيــني النفــوسي (تــوفي حــوالي سنــة 670هـ/1271م)؛ مــن العلمــاء المهتميــن بالتاريــخ؛ إذ ألــف كتــاب طبقــات المشائــخ بالمغــرب؛ وهــو خــاص بمشائــخ الإباضيــة. وقــد نسبــه صالــح باجيــه ـ في أطروحتــه الجامعيــة المسمــاة: الإباضيــة بالجريــد؛ في العصــور الإسلاميــة الأولى ـ إلى نفوســة؛ وبالتحديــد إلى بلــدة تميجــار؛ ملحقــا إيــاه بعــلي بــن يخلــف ابــن يخلــف؛ أمــا محقــق كتــاب الدرجيــني المســمى طبقــات المشائــخ بالمغــرب؛ إبراهيــم طــلاي؛ فنسبــه إلى مزاتــة؛ متدرجــا بالنســب إلى مــن يســمى عــلي ابــن يخلــف المــزاتي. ومــن

---

[1] طبقــات المشائــخ، ج: 1، ص: 516.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهة أخرى ذكر الدرجيني اسم يخلف من بين أجداده؛ ولكنه لم يحدد أي يخلف يقصده.

***

ـ ***مواطنهم***: يقول ابن خلدون: **((كانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس، وما إليها. وهناك الجبل المعروف بهم. وهم على ثلاث مراحل قبلة طرابلس؛ يسكنه اليوم بقاياهم. وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في موطنهم، وتعزى إليهم؛ وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام. وخربها العرب بعد استيلائهم عليها؛ فلم يبق منهم إلا الأطلال، ورسوم خافية. وكان من رجالاتهم اسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأول الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الأقطار؛ بعمالات مصر، والمغرب))**[1]. ويصف محمد علي دبوز جبل نفوسة بقوله: **((إذا جئت غرب طرابلس، وصعدت إلى جبال نفوسة الشماء؛ وجدت معادن العلم، والعبقرية... وكان جبل نفوسة الأشم يشتمل على مدن كثيرة؛ كانت**

---

[1] العبـر، مج: **6**، ص : **230**.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مراكز لنواحيه، وقواعد لجهاتها. وكانت عاصمته هي مدينة شَرْوَسْ وَجَادُوا؛ ومن مدنه الكبرى: نَالُوتْ، وَكَبَاوْ، وَيَفْرَنْ، وَمِيرِي))[1].

هذا ما أمكن معرفته من معلومات تتعلق بقبيلة نفوسة. وتجدر الملاحظة ــ هنا ــ أن أخبارهم وأخبار بني سمكان كلهم؛ يكتنفها غموض كثيف. بسبب شح المصادر، وندرتها من جهة؛ والاختلافات المذهبية من جهة أخرى. وبهذا.. نكون قد أتممنا الحديث عن القبائل البترية؛ وبقي علينا الخوض في أخبار القبائل البرنسية.

***

هذا ما تيسر من موضوع القبائل البترية. وسيلي هذا الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية ــ إن شاء الله ــ الجزء الثاني الذي يعالج موضوع القبائل البرنسية..

---

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 375.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحات توضيحية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

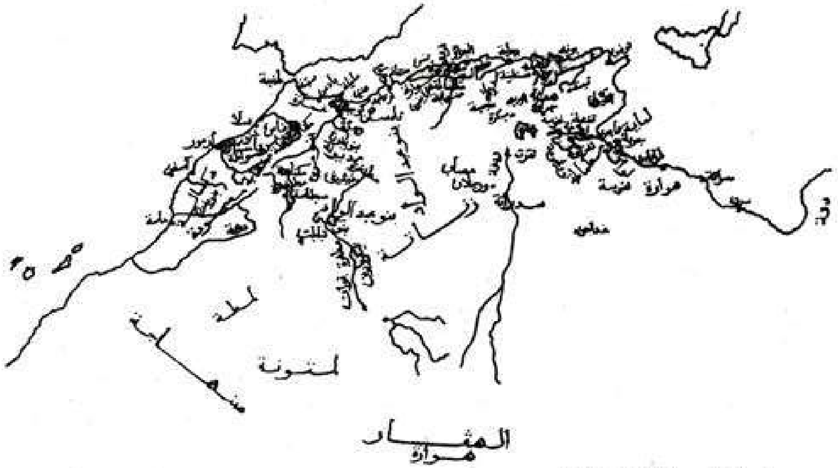

خريطة توضح مواطن أشهر القبائل
الأمازيغية قبل سقوط الدولة الموحدية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-1-

من كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور

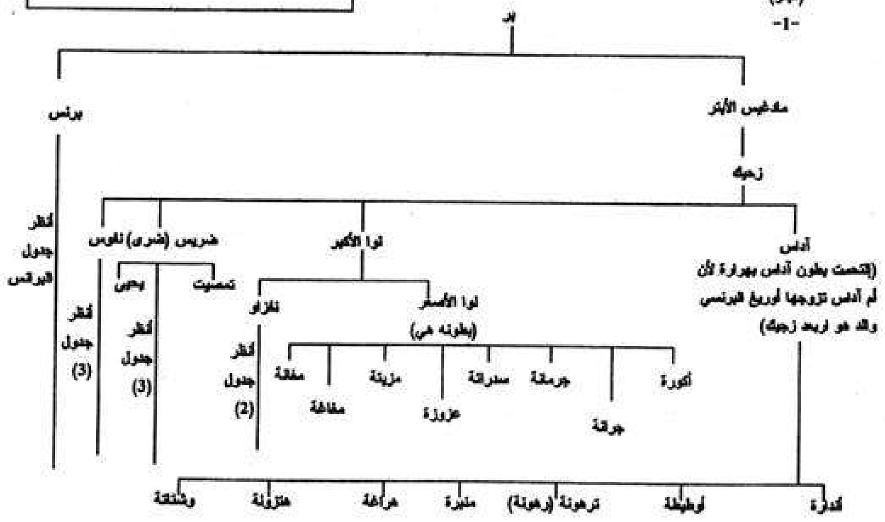

الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-2-

عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور

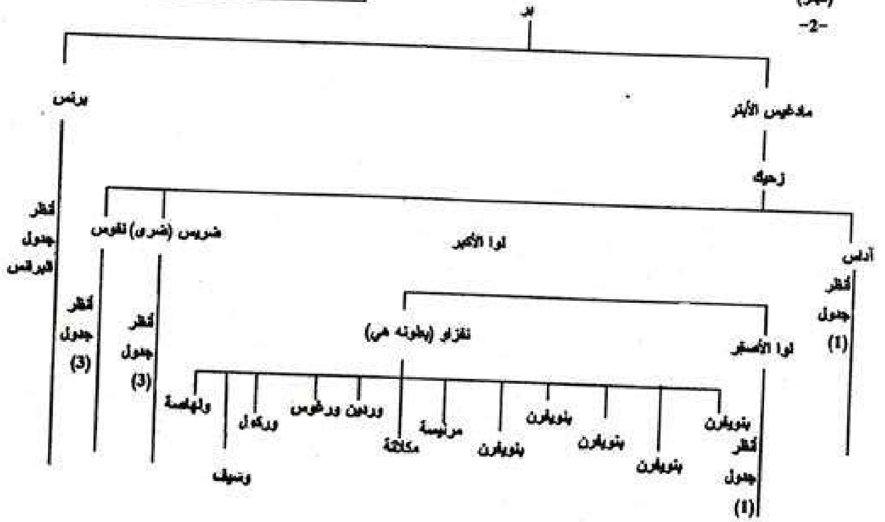

الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-3-

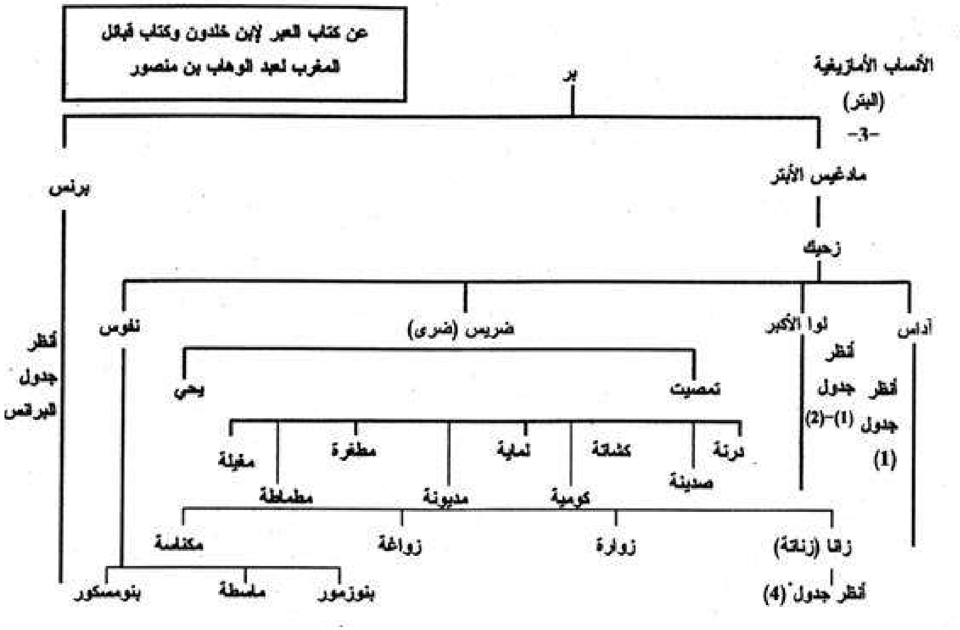

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

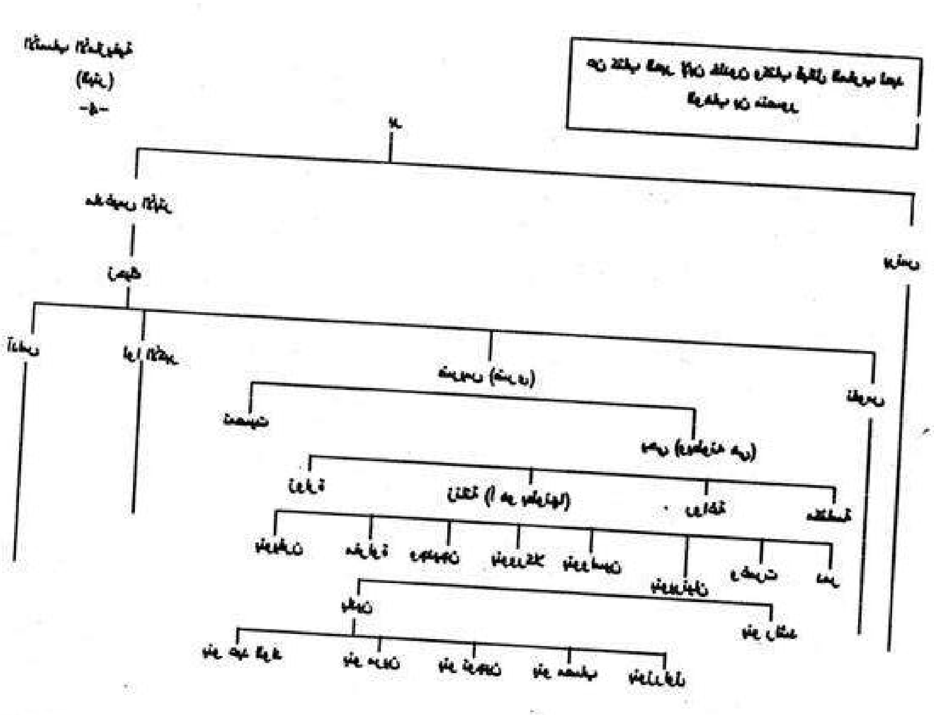

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس المحتويات

المقدمـــة: 4

القبائـــل الأمازيغيـــة: 14

البحـــث عـــن الجـــذور: 14

تسميـــات وتعاريـــف: 15

الأساطيـــر نصـــف الحقيقـــة: 20

نقـــد واعتـــراض: 27

حديـــث الحفريـــات: 42

القـــول الفصـــل: 47

لغـــة الأمازيـــغ وآدابهـــم: 51

البديـــل الأجنـــبي: 54

كتابـــة سكونيـــة: 58

التسامـــح المطلـــق: 65

الفـــن الأمازيـــغي: 67

لغـــة النقـــوش والرســـوم: 68

عصـــر الصياديـــن: 71

عصـــر الرعـــاة: 73

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عصـــر الحصـــان:	75
عصـــر الجمـــل:	76
متحـــف الشمـــس والهـــواء	76
الفـــن والحـــلي:	79
الفـــن المعمـــاري:	82
الموسيـــقى والغنـــاء والتمثيـــل:	86
النظـــام القبـــلي:	91
الهجـــرات:	106
الهجـــرة مـــن وإلى الشـــرق:	106
الهجـــرة مـــن وإلى الجنـــوب:	112
الهجـــرة مـــن وإلى الشمـــال:	114
القبائـــل البتريـــة:	133
أداســـــــــة:	136
مواطنهـــم:	136
ضريســـة:	137
بنـــو فاتـــن:	138
كوميـــة:	139
أعيانهـــم:	140

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمايـــة:	174
أعيانهـــم:	176
مواطنهـــم:	179
مديونـــة:	179
أعيانهـــم:	181
مواطنهـــم:	185
مطغــــرة:	186
أعيانهـــم:	187
مواطنهـــم:	192
مطماطـــة:	194
أعيانهـــــم:	195
مواطنهـــم:	197
مغيلــــة:	198
أعيانهـــــم:	199
مواطنهـــم:	215
بنـــو يحـــيى:	216
ورصـــطـــف:	216
مكناســـة:	217

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعيانهـــم:	221
مواطنهـــم:	238
زناتـــة:	240
مدلـــول زناتـــة:	241
أسلـــوب العيـــش:	243
اللهجـــات:	244
مواطنهـــم:	247
جـــراوة:	248
أعيانهـــم:	249
مواطنهـــم:	263
بنـــو يفـــرن:	263
أعيانهـــم:	267
مواطنهـــم:	270
مغـــراوة:	270
أعيانهـــم:	273
مواطنهـــم:	278
بنـــو يرنيـــان:	280
أعيانهـــم:	282

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مواطنهـــم:	284
وجديجـــن:	285
أعيانهـــم:	287
مواطنهـــم:	288
واغمـــرت:	288
أعيانهـــم:	289
مواطنهـــم:	290
بنـــو واركـــلا:	291
أعيانهـــم:	291
مواطنهـــم:	292
بنـــو دمـــر:	293
أعيانهـــم:	294
مواطنهـــم:	302
بنـــو وامانـــوا:	303
مواطنهـــم:	305
بنـــو يلـــومي:	306
مواطنهـــم:	308
بنـــو واسيـــــن:	308

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعيانهـــم:	311
مواطنهـــم:	346
سمكـــان:	353
زوارة:	356
زواغـــة:	358
أعيانهـــم:	359
مواطنهـــم:	360
زواوة:	361
أعيانهـــم:	365
مواطنهـــم:	378
بنـــو لـــــوا:	380
نفـــزاوة:	380
أعيانهـــم:	382
مواطنهـــم:	420
لـــواتـــة:	421
أعيانهـــم:	423
مواطنهـــم:	439
بنـــو نفـــوس:	441

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعيانهـــــم: 442
مواطنهــــم: 457
لوائـــح توضيحيـــة: 459
فهـــرس المحتويـــات: 465

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com